المركز القومى للترجمة

ترجمة
محمد السباعى

ميراث الترجمة

رباعيات عمر الخيام

المشروع القومى للترجمة

الطبعة الثانية

2/621



رباعيات

عمر الخيام

قد سألت الأرض عن سر الوجود

وسألت البحر والريح الشرود

والحيا والبرق يسرى والرعود

والدرارى والسماوات العلى

كلها صدت ولم تنصت لداع

رباعيات
عمر الخيّام

المركز القومى للترجمة
إشراف: جابر عصفور

سلسلة ميراث الترجمة
المشرف على السلسلة: طلعت الشايب

- العدد: ٦٢١/ ٢
- رباعيات عمر الخيام
- محمد السباعى
- ٢٠٠٩

هذه ترجمة:

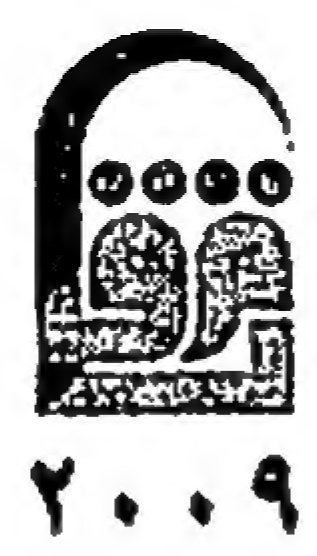
رباعيات عمر الخيام

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة . ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦
فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo
e.mail:egyptcouncil@yahoo.com Tel.: 27354524 - 27354526
Fax: 27354554

رباعيات
عمر الخيّام

تأليــــــف: عمر الخيام
تــرجمـــــة: محمد السباعى



٢٠٠٩

رقم الإيداع: ١٠٩٢٩ / ٢٠٠٩
الترقيم الدولى: 1 - 323 - 479 - 977 - 978
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز .

تقدمة الكتاب

الى صاحب العزة أحمد شوقى بك

الى شاعر النيل . ونابغة الجيل . وفخر مصر . وسيد شعراء العصر . الى امام أهل الفن . و بديع هذا الزمن . وكوكب سماء الشعر . وغرة جبين الدهر . أهدى هذا السفر . وما أنا فى ذلك إلا كمهدى التمر الى هجر والوشى الى اليمن ، والخمر الى قطربل ، والورد الى جور ، والمسك الى دارين . أو كواهب السيل قطرة . والبحر درّة . والروض ثمرة . والكنز تبرة . فلا غرو اذا تمثلت فيك قول القائل :

الشجي ، ونغمك الشهي . فكأن القارئ بين الرياض
والخمائل . والاصباء والشمائل . والحور العين المقائل .
وخرير الجداول . وهدير البلابل . وبين الأزاهر والمزاهر
يتمثل قول القائل :

حتى يخيل أني شارب ثمل
بين الرياض وبين الكاس والوتر

محمد السباعي



مقدمة

كلمة عن

عمر الخيام

الشاعر الفلكي الفارسي

ولد عمر الخيام بمدينة نيسابور من أعمال خراسان فى الشطر الثانى من القرن الحادى عشر وتوفي قبل انتهاء الربع الأول من القرن الثانى عشر . وسيرة حياته تمتزج في جميع أدوارها أشد امتزاج وألصقه بسيرة رجلين من مشهورى ذلك العصر والمصر .

كان أحد هؤلاء الثلاثة هو نظام الملك وزير السلطان ألب أرسلان نجل طغرل بك التترى ثم وزير خفيده الملك شاه بعد ذاك . وطغرل بك هو الذي انتزع ملك فارس من خليفة السلطان محمود الأكبر ثم أسس الدولة السلجوقية التى ما لبثت ان استفزت أوربا الى إشعال الحروب الصليبية . وقد أورد نظام الملك هذا فى وصيته التى تركها تذكارا لخلفه من الساسة النبذة الآتية :

« كان الامام الموفق النيسابورى من جلة علماء خراسان مبجلاً مهيباً . وقد نيف على الخمس والثمانين . وكان السائد في عقيدة أهل زمانه أن كل من قرأ عليه العلوم العربية نبغ فيها و بلغ الغاية وانساق اليه العز والجاه والنعمة والثراء . ولذلك وجهنى أبى من بلدة طوس الى نيسابور مع عبد الصمد الفقيه لأقرأ على ذلك الاستاذ النابغة الجليل . وهنالك حظيت به وحضرت عليه فوشجت بيننا أواصر المودة وتأكدت عرى الصداقة ولحظنى بعين عنايته وأنزلته من نفسى أخص منزلة وألطفها . ولبثنا على

ذلك سنين عدة . وكنت أول ما نزلت به وجلست فى حلقته لقيت تلميذين فى مثل سنى حديثى عهد مثلى بالقراءة على الامام الموفق — وهما عمر الخيام والحسن بن الصباح وكانا آيتين فى الفطنة والذكاء فأنس كلٌّ منا بصاحبيه ونمت بيننا نحن الثلاثة أحسن صحبة وأمتنها . فكان اذا قام الامام عن الدرس وانفضت الحلقة اجتمعنا فتذاكرنا ما تلقيناه عليه من المعارف . وكان الخيام من أهالى نيسابور أما الحسن بن الصباح فكان أبوه ناسكا ورعا متقشفاً ولكنه كان زنديقاً فأقبل الحسن يوماً على عمر الخيام فقال له : لقد صحَّ في أذهان الناس قاطبة انه ليس من تلميذ يتخرج على الامام الموفق إلا مصيباً عزًّا واقبالاً وثروة وجاها . فهب ان ذلك لم يتفق لنا نحن الثلاثة جميعاً فانه لا بد أن يقع لواحد منا . فماذا يكون حق الاثنين الخائبين على ذلك الفائز الظافر ؟ » قلنا له : اقترح ما تشاء . فقال : « فلنتعاهد الآن على أنه من أصاب منا الثراء فعليه أن يقسمه فيما بيننا نحن الثلاثة على السواء لا يؤثر نفسه بشيء

دون أخويه » . فأجبنا « ليكن ذلك كما قلت » . ثم تحالفنا على ذلك وتعاهدنا . ومرّت الاعوام على ذلك وغادرت خراسان متجولا في فضاء الله الى غزنة ثم الى كابل . ولما عدت تقلدت منصب الوزارة فى سلطنة السلطان ألب ارسلان وبعد مدة من الزمن عرف ذلك صاحباى فأتيانى يطلبان انجاز وعدى القديم واشراكهما فيما انحاز لى من النعمة والثراء » .

وبرّ الوزير بقسمه وأنجز وعده . والتمس الحسن بن الصباح منصباً فى السلطنة فمنحه السلطان إياه بوساطة الوزير . ولكن الحسن كره ذلك المنصب لانحطاط رتبته عما كان يطمح اليه من شرف المنزلة . فترك المنصب ودسّ نفسه فى بلاط أحد أمراء المشرق منغمسا فى غمار الدسائس والمكايد محاولاً اسقاط أميره واغتصاب الامارة . وبعد كثير من التجولات والتقلبات صار الحسن زعيم الطائفة المسماة « الاسماعيلية » ففى ١٠٩٠ بعد الميلاد استولى على قلعة الموت الواقعة جنوبى بحر القزبين . ومن ثم فصاعدا داع

صيت ابن الصباح وأصبح اسمه مبعث الرعب والذعر فى جيوش الصليبيين حتى سموه « شيخ الجبال » ومبعث الرعب أيضاً فى جميع أنحاء العالم الاسلامي وسميت فرقته فرقة الحشاشين — لعله نسبة الى المخدّر « الحشيش » الذي كان زعيمهم الحسن يفشيه بينهم تخديرًا لأعصابهم قصد الاستيلاء على عقولهم حتى يسيرهم فيما يشاء من أغراضه المخوفة ومقاصده الخطرة المرهوبة . وكان من بين ضحايا « الحشاشين » العديدة نظام الملك نفسه صديق زعيمهم وقرين حداثته وزميل تلمذته .

وقصد عمر الخيام الوزير أيضاً غير طامع في رتبة أو طامح الى منصب مخاطبه بقوله :

« لست أبغي لديك أكثر من أن تدعني أتفيأ طرفا من ظلال نعمتك الفيحاء . لأنشر ضياء العلم وأدعو لك بدوام العز وطول البقاء » . فأجابه الوزير نظام الملك الى ذلك وأجرى عليه رزقا قدره ١٢٠٠ مثقال ذهب فى العام تصرف له من خزينة نيسابور .

وكذلك عاش ومات عمر الخيام بمدينة نيسابور فى طلب العلم على اختلاف فنونه وأبوابه ولاسيما علم الفلك الذى بلغ فيه الذروة والذؤابة .

ولما أراد الملك شاه تعديل التقويم السنوى كان عمر الخيام أحد الذين انتدبوا لذلك فأظهر من الحذق والبراعة ما كان موضع الاعجاب والاجلال. وكان من بين المعجبين بذلك المؤرخ الانكليزى الأعظم « جيبون » صاحب تاريخ « هبوط وسقوط الدولة الرومانية » حتى قال « ان مذهب الخيام في تقويمه ليفضل المذهب الجريجورى دقة وإحكاما»

ومما ألفه الخيام أيضاً فى علم النجوم بضعة جداول فلكية . وقد عنى الفرنس آنفاً بترجمة ونشر مؤلف له فى علم الجبر مكتوب بالعربية .

ولقبه « الخيام » أى صانع الخيام يدل على ما لعله كان يعالجه أيام فقره وخموله من حرفة الخيامة قبل أن يفكه الوزير من قيود الحاجة ويفيده الغنى واليسار . وقد أشار عمر الى احترافه بصناعة الخيام فى بعض أبيات

فكاهية من نظمه فذلك حيث يقول :

« ان الخيّام الذى خاط خيام العلم قد وقع فى تنُّور الحزن فأحرقته ناره — وقد قطع مقراض النحس أطناب حياته . وباع سمسار الامل عمره فى سوق التلف بلا ثمن »

ومع ما كان يفيضه السلطان على الخيام من النعم والفواضل فان ما أبداه عمر من الجرأة الفكرية فى شعره ومن الآراء الاباحية جعله مستنكرًا فى عيون أهل عصره حتى استهدف لسهام مطاعنهم .

ويقال ان أشدّ الناس إبغاضا له ورعبا منه كانت طائفة المتصوفة اذ ما برح يعرّض فى شعره باعتقاداتها على سبيل السخرية والتفنيد مصرّحا ان طريقة التصوف لا توصل الى الله ولا تكشف سدول الغيب عن نور الحق . بل ان طريقة السكر هى التي تفعل ذلك والكاس هى المفتاح الأوحد لباب الغيب وكنوزه والنبراس الفريد لاجتلاء أسرار الوحدانية من وراء ستر الكائنات المسجف .

وقد استعار كثيرًا من معانيه وأفكاره من خلفه من

شعراء الفرس وفى جملتهم حافظ الشيرازى ولكنهم صبوا ما أخذوه من معانى الخيام فى قالب تصوفى أحبّ الى نفوس الشعب الفارسى وأفتن لألبابه. وما زال الفرس أمة سريعة الى الشك سريعة الى الايمان — مولعة بالملاذ الحسية ولوعها بالملاذ النفسانية — يعيشون وينعمون فى جوّ مزيج من الصنفين يسبحون فيه لذة وطربا بين عالمى الارض والسماء وملكوتى الدنيا والآخرة سبحا طويلاً بأجنحة استعارة أو كناية شعرية تنطبق على المقصدين وتحتمل الوجهين وتقبل التأويلين . ولكن عمر كان أشدّ صراحة وجهرًا بمعتقده. فلما أعياه أن يستكشف قوة مسيرة للكون غير القدر المحتوم أو عناية متعهدة له متفقدة لشؤونه خلاف القضاء المحموم. وأعجزه ادراك أن هناك حياة أخرى بعد الحياة الدنيا شرع يغتنم فرص اللذة وينتهز خلسات النعيم من حياته الدنيا جهد طاقته متمثلاً قول القائل :

خذ من زمانك ما أعطاك مغتنما

وأنت ناه لهذا الدهر آمره

فالعيش كالكاس تستحلى أوائله
لكنه ربما مجت أواخره

وقول الآخر :

باكر الى اللذات واركب لها
سوابق اللهو ذوات المراح
من قبل أن ترشف شمس الضحى
ريق الغوادى من ثغور الأقاح

وقول الآخر :

ما مضى فات والمؤمل غيب
ولك الساعة التى أنت فيها

وآثر الخيام أن يرفه النفس ويروح الروح من طريق الملاذ الحسية والشهوات المادية حاملا نفسه على الرضا بما قدمت اليه يد القدر على مائدة الحياة من مناعم مطاعمها ومطارب مشاربها والاكتفاء بثمرة الدنيا كما خلقها القدر — على أن يضايق نفسه باستجلاء غوامض الأزل والأبد واستطلاع ما وراء الطبيعة ومابعد القبر . بيد أن شهواته

الدنيوية لم تكن مقصورة على المادى الحسى منها بل ضرب بسهم وافر فى ملاذ العلوم العقلية وكل ما صنعه عمر هو تحبيذ اللذات الحسية فى صبغة يشوبها شيء من الهزل والدعابة بشكل غامض خفى لا يفوت نظر الأريب الثاقب — متهكماً أثناء ذلك من غرور الانسان بعقله الضعيف وذهنه المظلم واجترائه بهذا السلاح الكليل على محاولة هتك ما أعجز البشر من حجاب الغيب الكثيف وبابه الموصد.

كان الخيام راجح العقل ثاقب الذهن سمح البديهة حافل القريحة بديع الخيال حريصاً على استطلاع الحقيقة صباً بها مستهاماً . وقد نار فى وجه السائد فى عصره من فاسد العقائد . فكان يرى أن أساس الكون ومحوره هو الاضطرار والجبر والقدر الازلى والقضاء الاعمى . فلما وجد أن عبقريته وعلمه لم يعدوا أن زاداه بصيرة بفساد العالم وخراب الكون واختلال نظامه قذف بعبقريته وعلمه بين أنقاض هذا الخراب العام والفساد الشامل . ثم جعل من تظاهره بتحبيذ الملاذ الحسية ذريعة وسلما الى تعاطيه فى

ر باعياته تلك المسائل العويصة : الاله والقدر والروح والمادة والخير والشر – التي يظل افتتاح بابها واثارة وحشها أسهل، بكثير من مطاردته واقتفاء آثاره الى مدى يصبح معه استقراء تلك المسائل واستقصاؤها شيئاً متعباً مسؤوماً .

لقد ذهب فريق من النقاد الى أن عمر الخيام لم يكن في شعره ذلك الشهواني المادي الاباحي كما يدلنا ظاهر ألفاظه وانما كان صوفياً يرمز للذات الالهية بألفاظ « الخمر » و « الساقي » و « الكاس » وهلم جرا كحافظ الشيرازي وابن الفارض وغيرهما . ولكن أضداد هذا المذهب يقولون ان المدون المثبوت في سيرة الخيام من فرط إدمانه الكاس واستهتاره بالشراب ينفي ذلك الرأي نفياً قطعياً . فكيفما كانت الخمرة المعنوية التي تغني بأوصافها حافظ الشيرازي وقال فيها ابن الفارض :

يقولون لي صفها فأنت بوصفها خبير . أجل عندي بأوصافها علم
صفاء ولا ماء ولطف ولا هوا ونور ولا نار وروح ولا جسم

وقال فيها أيضاً :

شربنا على ذكر الحبيب مدامة
سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

فان خمرة عمر الخيام لم تكن إلا عصير العنب المتهدّل من كرومه يعصر سائلا محسوساً مرشوفا من أقداح البلور وقوارير الفضة الرنانة . ولم يقتصر الخيام على شربها مع الندمان فى مجالس الشراب . بل كان يحسوها فى الخلوة زاعما ان ما تحدثه عنده من النشوة هو أقرب وسيلة وأخصر سبيل الى ايصاله من مراتب العبادة الى تلك القمة التى منها يسهل عليه استشفاف نور الحق من وراء حجب الكائنات واجتلاء سرّ الابد من خلال ظلمة الغيب فذلك حيث يقول فى رباعياته (يريد بالمعدن المترذل نفس الخمر) :

فَلْيَلُمْ من شاء أو فليعذل
انى ، من معدنى المترذل ،
صغت مفتاحا لباب مقفل
دونه منفوس كنز طالما
رام منه النسك حصنا لا يرام

حانة ألمح فيها بارقة

من سنا الحق تجلت مشرقة

كيفما كانت : غضوبا محرقة

أو لموعا بشعاع بسما

بغيتى – لا معبد داجى الظلام

واذا لم تكن خمرة الخيام هي المادية المعصورة من الكرم ولكن الخمرة الروحية أعنى الذات الالهية — فكيف يطلب أن يغسل بها جسمه بعد الوفاة — حيث يقول :

روّ قبل الموت من برْد الشمولِ

عودى اليابس من قبل الذبولِ

واذا ما مت فاجعلها غسُولى

وبأفياء العناقيد احتفر

لى وكفنى بأوراق الثمار

ولماذا يودّ أن تُصبَّ الخمرة الروحية فى الاكواب المصنوعة من تراب الموتى — بيدِ صُوفىّ يخلفه — وذلك حيث يقول :

فانبرى كُوبٌ حزين وَلَوَلاَ

جفّ طيني من عناء وبلى

عُلّهُ الصرف العتيق السلسلا

عُلّهُ يشفي غليلي المستعِرْ

ويسرّي عن فؤادي المستطار

ان ميزة الخيام على شعراء الفرس المتصوفة ظاهرة فى انه بينما ترى شخصيات أولئك الشعراء تختفى فى ثنايا قوافيهم وتضمحل وتفنى فى طيات كناياتهم وتضاعيف رموزهم ترى شخصية الخيام بكل ما يزينها ويشينها من صفات وهنات ونزعات ونزغات وميول وشهوات واضحة لنا بارزة أمامنا كما لو كنا جالسين معه على مائدة الشراب . بين الاقداح والاكواب . والعطر والملاب . والغادة الكعاب . وهو يصبح . بالنديم الصبيح .

اشرب الصهباء في ظلّ الصبا

مازها ورد بتيجان الربى

واذا ساقى المنـايا أوجبا

شربة مضت ومرّت مطعما

فاحس جلدا خمرة الموت الزؤام

***

قف بوادي الموت وهنا نحتس

من ينابيع حياة الأنفس

قد خبا مصباح نجم الحندس

وسرَى الركب يؤمّ العدما

صاح شمر للنوى ذيل اعتزام

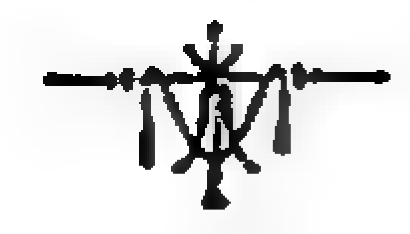
وجملة القول انه لما كان كثير من العلماء والادباء يقول بتشيع الخيام للصوفية فى رباعياته فليذهب كل امرىء مذهبه الخاص فى تأويل خمرة ذلك الشاعر وكأسه وساقيه ونحن ازاء ما يشهد به التأريخ من اشتغال الخيام بالعلوم الطبيعية والفلسفية وتفوّقه فيها على أهل زمانه تفوق منقطع القرين لا يدرك شأوه ولا يشق غباره وازاء ما تؤيده الأدلة القاطعة من انه مع ادمانه الشراب كان أشد ولوعا باللذات

العقلية . منه بالحسية . وتهافتا على منهل الوحى والالهام منه على منهل الصرف المدام . وانتجاعا لروضة الأدب . منه لروضة الطرب . وانه كان أقطف لثمار العلوم . منه لثمار الكروم

ازاء كل هذا نقول ان الخيام وان كان لم ينظم الشعر المنمق . ولم يشد بالنظم المنسق . إلا فى الخمر المادية سليلة العنقود . وخبيئة الدن والناجود . فقد كان أشد ولوعا بالمباهاة والمفاخرة بها . منه باحتسائها وشربها . يبغى بذلك مناوأة المتصوفة عشاق الخمرة الروحية . ومنابذة الباطنية طلاب النشوة الإلهية . الذين كان يراهم من أهل الرياء والمنافقة .

وتوفى الخيام فى سنة ٥١٧ هجرية الموافقة لسنة ١١٢٣ م وروى النظامى أحد تلاميذه هذه النبذة قال : « كنت كثير التحدث الى أستاذى عمر الخيام فى بعض البساتين فحدثنى ذات يوم قال : سيكون قبرى ان شاءت الاقدار فى حيث تنثر يد الصبا والشمال على رفاتى جنىّ الورد والياسمين »

ففكرت حينذاك فيما قال لاعتقادى انه لا ينطق لغوًا ولا يقول عبثًا . واتفق انى تركت نيسابور بعد ذلك ثم عدت اليها بعد مدة فما راعنى إلا قبر الخيام بجوار بستان أغنّ يانع الجنى دانى القطوف وقد مدَّت أغصانه ظلالها فوق ذلك الضريح ونشرت ذوائبها تنثر عليه النور والزهر . والورق النضر . حتى أخفت آثاره وطمست معالمه .







النشيد الاول

غَرَّدَ ٱلطَّيْرُ فَنَبِّهْ مَنْ نَعَسْ
وَأَدِرْ كَأْسَكَ فَٱلْعَيْشُ خُلَسْ[1]

سُلَّ سَيْفُ ٱلْفَجْرِ مِنْ غِمْدِ ٱلْغَلَسْ[2]
وَٱنْبَرَى فِى ٱلشَّرْقِ رَامٍ[3] أَرْسَلَا
أَسْهُمَ ٱلْأَنْوَارِ فِى هَامِ ٱلْقِلَاعْ

(١) خلس جمع خلسة وهى النهزة والفرصة يقال خلس الشيء اختطفه بسرعة على غفلة أو أخذه فى نهزة ومخاتلة . ويقال هو لك خلسة أى نهزة

(٢) الغلس ظلمة آخر الليل . قال الاخطل :

كذبتك عينك أم رأيت بواسط
غلس الظلام من الرباب خيالا

(٣) المراد هنا بالرامى الشمس ذاتها لأنها كما يقول ترمى من أشعتها أمثال السهام فتصيب بها أعالى الحصون والابراج وذلك اذا ذرّ قرنها عند أول شروقها . وهام جمع هامة وهى ذروة الشيء وأعلاه .

صَاحَ بِي فِي ٱلنَّوْمِ طَيْفٌ «هَاتِهَا [١]

تَمْلَأُ ٱلْأَكْوَابَ [٢] مِنْ يَاقُوتِهَا [٣]

قَبْلَمَا تَنْضُبُ [٤] فِي كَاسَاتِهَا

خَمْــرَةُ ٱلرُّوحِ وَتَرْتَدُّ إِلَى

مَنْبَعٍ بِٱلْغَيْبِ مَجْهُولِ ٱلْبِقَاعْ »

(١) الضمير فى هاتها يراد به الخمر وقد استغنى عن ذكرها تصريحاً لكفاية الضمير فى الدلالة عليها كقوله سبحانه وتعالى «كل من عليها فان» أعنى الارض وكقول النواسي . يعنى الدنيا

يودّ بجدع الانف لو أن ظهرها من الانس أعرى من سراة أديم

(٢) الكوب الكوز لا عروة له تسقى فيه الخمر : ويطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب .

(٣) الياقوت من الجواهر حجر صلب رزين صاف شفاف مختلف الألوان وأشيعه الاحمر . والياقوتة عند الصوفية هى النفس الكلية لامتزاج نوريتها بظلمة التعلق بالجسم . والشاعر هنا يريد بالياقوت الخمر لحمرتها وصفائها ولا يبعد أن يكون قد أشار من طرف خفى الى الخمرة الالهية أعنى نور الحق أو الشعاع المنبعث من السرّ الخفى يعرّض فى ذلك بمذهب المتصوفة — كما يستدل بما جاء فى غير موضع من الرباعيات . (٤) تغور وتذهب

نَبَّهَ الْخَمَّارَ نَدْمَانٌ[١] مَرُوحْ

حِينَ زَفَّ الصُّبْحَ هَتَّافٌ صَدُوحْ[٢]

«إِفْتَحِ الْبَابَ وَأَسْرِعْ بِالصَّبُوحْ[٣]

ثُمَّ شَيِّعْ[٤] ظَاعِناً[٥] قَدْ عَجِلَا

لِنَوًى[٦] لَا يُرْتَجَى مِنْهَا ارْتِجَاعْ»

(١) النادم أو المجالس على الشراب

(٢) الديك

(٣) ما أصبح عند القوم من الشراب . وصبحه سقاه الصبوح . واصطبح شرب الصبوح :

وهل يجوز اصطباحي من معتقة وقد أنار مشيب الرأس اصباحي

(٤) شيع فلانا تشييعاً خرج معه ليودعه

(٥) راحلاً

(٦) النوى البعد . والوجه الذى يذهب فيه وينويه المسافر (مؤنثة لاغير) والمراد بالنوى ههنا رحلة الموت المحتوم على كل حيّ ازماعها . يقول : ياصاحب الحان أسرع اليّ بالكاس ثم شيعني فانى مزمع رحلة الى العالم المجهول حيث لا عودة الى الحياة الدنيا ولا رجعة الى ملاذها ومناعمها .

جَدَّدَ ٱلنَّيْرُوزُ(١) أَدْرَاسَ(٢) ٱلْأَمَلْ

فَعَرُوسُ ٱلرَّوْضِ فِي أَبْهَى حُلَلْ

تَحْسَبُ ٱلنُّوَّارَ — مُزْدَانًا بِطَلّْ —

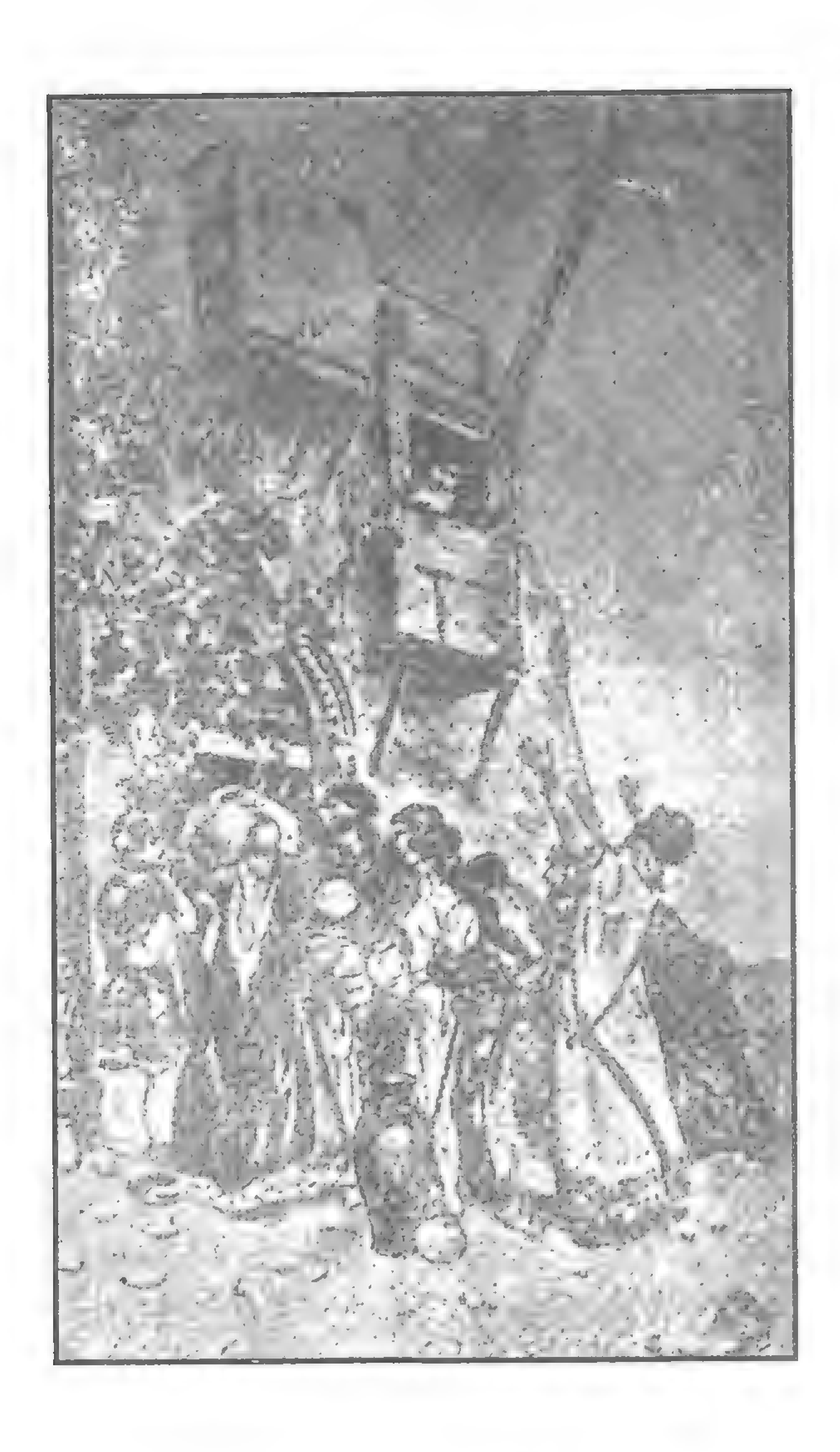
كَفَّ مُوسَى(٣) فِيهِ بَيْضَاءَ بِلَا

سُوءٍ وَٱلْأَرْضُ مِعْشَابُ(٤) ٱلتِّلَاعِ(٥) ٠

(١) النيروز أول يوم من السنة الشمسية — وعند الفرس يوم نزول الشمس أول برج الحمل — قيل قدم الى علىّ شىء من الحلاوى فسأل عنه فقالوا هـذا للنيروز فقال نيرزونا كل يوم — وفى المهرجان قال مهرجونا كل يوم . (٢) درس الرسم دروسا عفا ودرست الريح الرسم عفته : لازم متعد . ودرس الشىء ذهب أثره وتقادم واندرس الرسم والخبر انطمس . الدارس اسم فاعل وقد يجمع على أدراس:

ما فى وقوفك ساعة من باس تقضى ذمام الاربع الادراس

(٣) اشارة الى ماجاء في التنزيل : واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء . والمراد ان الربيع جدد بقدومه باليات الآمال بما جلا من زينة الارض وزخرفها وما حاك لها من وشى النبات وأفواف الازاهر . فيخيل للناظر ان كل نوّارة رصعتها لآلئ الطل كف موسى برزت من كمها ناصعة بيضاء من غير سوء . والارض مع هذا معشاب التلاع (٤) اى كثيفة العشب (٥) والتلاع جمع تلعة وهى ما ارتفع من الارض وما انهبط منها . ضد . ومسيل الماء من الاسناد والنجاف والجبال حتى ينصب فى الوادى .



هَلْ سَرَتْ أَنْفَاسُ عِيسَى[١] فِي ٱلْفَلَاةْ
فَنَفَخْنَ ٱلرُّوحَ فِي أَرْضٍ مَوَاتْ
وَنَشَرْنَ ٱلنَّبْتَ يَزْكُو مِنْ رُفَاتْ[٢]
وَبَعَثْنَ ٱلطَّيْرَ يَشْدُو هَادِلَا
فِي أَرِيكِ[٣] ٱلْأَيْكِ مَثْنَى وَرُبَاعْ

(١) اشارة الى ما جاء فى المنقول من أن عيسى كان فى قدرته احياء الموتى . فأنفاس عيسى كناية عن قوة التجديد والاحياء فى أرجاء الكون

(٢) رفته كسره ودقه فرفت هو . لازم متعد . ورفت الحبل انقطع . ورفته رفضه فهو مرفوت . وهى مولدة ولعلها تصحيف رفض ارفتّ ارفتاتا انكسر واندق وانقطع . الرفات الحطام أو كل ماتكسر وبلى . وفى التنزيل أاذا كنا عظاماً ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقاً جديداً

(٣) الأريكة سرير فى حجلة أو كل مايتكأ عليه من سرير ومنصة وفراش أو سرير منجد مزين فى قبة أو بيت . الجمع أريك وأرائك

إنْ يَكُنْ فِرْدَوْسُ شَدَّادٍ «إِرَمْ»[1]
بَادَ أوْ إبْرِيقُ جَمْشِيدَ[2] انْحَطَمْ
فَجِنَانُ الْكَرْمِ تَزْهُو مِنْ أَمَمْ[3]
يُسْبِلُ الْيَاقُوتَ فِيهَا سَلْسَلَا
كُلُّ مَعْسُولِ الْجَنَى حُلْوِ الدَّمَاعْ[4]

(١) ارم ذات العماد التي ورد ذكرها في التنزيل ويزعم أن الذي بناها هو شداد بن عاد أحد ملوك العرب البائدة . وان ارم هذه قد بادت أو اختفت فلا يعرف أين ذهبت .

(٢) أحد ملوك الفرس الاقدمين كان مولعاً بالشراب .

(٣) الأمم القرب . يقال أخذت ذلك من أمم أى من قرب . قال الشاعر :

يا حبذا لمة بالجزع ثانية ووقفة ببيوت الحيّ من أمم

(٤) الدماع ما يسيل من الكرم اذا قطع في أيام الربيع والجنى كل ما يجنى أعني الثمر وهو أيضاً الرطب والعسل والمراد به هنا العنب والمراد بلفظي « معسول الجنى » و « حلو الدماع » أى الكرم . لان جناه أى عنبه معسول ودماعه أى عصيره حلو . ويسبل يسكب يقال أسبلت السحابة مطرها والعين دمعها .

أَوْ يَكُنْ دَاوُدُ فِى ٱلْهَلْكَى مَضَى
وَتَقَضَّى لَحْنُـــهُ وَٱنْقَرَضَا
قَدْ حَبَاكَ ٱلدَّهْرُ مِنْـهُ عِوَضَا
عَاشِقَ ٱلْوَرْدِ ٱلرَّخِيمَ ٱلْبُلْبُلَا
يَتَغَنَّى فَرْطَ وَجْدٍ وَٱلْتِيَاعْ.(١)

(١) لاعه الحب يلوعه لوعا أمرضه وكذلك لوّعه تلويعاً . والتاع قلبه التياعا احترق من الهم أو الشوق وكانت به لوعة . اللائع اسم الفاعل . ورجل هائع لائع أى جبان جزوع . اللوعة حرقة فى القلب وألم من حب أو همّ أو مرض . ويزعم الزاعمون ان البلبل يعشق الورد لأنه اذا أبصره متفتحاً ناضراً مصقول الصفحتين دامى الوجنتين انطلق بأرخم الهديل وأفتن للتنغيم والترتيل وذاك دأب الطير عامة اذا أنضر الربيع البستان . وديع السحاب مطارف الجنان . قال الشاعر :

كرمتم فجاش المفحمون بمدحكم
اذا رجزوا فيكم أنبتم فقصدوا
كما أزهرت جنات عدن وأثمرت
فأضحت وعجم الطير فيها تغرّد

أَشْعِلَا فِي الْكَاسِ نِبْرَاسَ[1] الشَّرَابْ
وَاطْرَحَا فِي وَقْدِهِ ثَوْبَ الْمَتَابْ
إِنَّمَا اللَّذَّاتُ خَلْسٌ[2] وَانْتِهَابْ[3]
وَلَيَالِي الْعُمْرِ أَفْرَاسٌ إِلَى
غَايَةِ الْمَوْتِ حَثِيثَاتٌ سِرَاعْ

---

(١) هو السراج أو المصباح (٢) خلس الشيء يخلسه خلساً وخليسى سلبه وقيل اختطفه فى سرعة أو أخذه فى نهزة ومخاتلة . ويقال هو لك خلسة كما يقال نهزة . واختلس القارئ الحركة لم يبلغها ويقابله الاشباع وهو تبليغ الحركة حتى تصير بلفظ المد . ويقال الخلسة سريعة الفوت بطيئة العود والمراد بها الفرصة أى انها تفوت سريعاً ويبطئ رجوعها . وقد قيل « ان فرص الولايات . وخلس الامارات لكا ضغاث الأحلام . والفيء المتنسخ بالظلام » (٣) النهب الغنيمة جمعه نهاب ونهوب . والانتهاب أن يأخذ الشيء من شاء . والانهاب اباحته لمن شاء . أنهب الرجل ماله فانتهبوه ونهبوه وناهبوه . ويقال نهب الناس فلاناً اذا تناولوه بكلامهم . نهب الكلب الانسان اذا أخذ بعرقوبه — يقال لا تدع كلبك ينهب الناس . تناهبت الارض الابل أخذت منها بقوائمها أخذاً كثيرا . فرس يناهب فرساً أى يباريه . وفرس منهب سريع ينهب الشوط والغاية .

إِنْ تَفِضْ كَاسِي بِحُلْوٍ أَوْ بِمُرّْ
وَبِنِيسَابُورَ أَوْ بَلْخٍ أَقِرْ
فَحَيَاتِي خَمْرُهَا دَأْبًا تَدِرْ (١)
لِنُضُوبٍ وَيَنْضَى (٢) نَاسِلًا (٣)
نَاضِرُ الْأَوْرَاقِ مِنْهَا فِي تِبَاعْ

(١) درّ العرق درّاً ودروراً سال وكذلك السماء بالمطر ودرّت السوق نفق متاعها . ودر الفرس دريراً عدا عدواً شديداً .

(٢) نضاه من ثوبه ينضوه نضواً جرّده . ونضا عنه الثوب خلعه ونزعه . ونضا الفرس الخيل نضواً ونضياً سبقها وتقدمها . ونضا السيف سله من غمده . ونضا الخضاب نصل وذهب لونه . ونضى ثوبه عنه تنضية خلعه . فيكون معنى « ينضى ناصر الاوراق » ينزع عن شجرة الحياة ناضر أوراقها وهذا كناية عن انصرام العمر وتناقصه شيئاً فشيئاً كما تتساقط أوراق الشجرة واحدة اثر واحدة حتى تفنى جميعا . فهذا الفناء التام كناية عن الموت .

(٣) نسل الصوف والريش سقط . وعلى المجاز نسل ورق الشجرة سقط عنها كما ينسل الريش عن الجناح

سِرْ بِنَا نَنْزِلْ بِذِى زَرْعٍ يَسِيرْ
بَيْنَ مَهْجُورِ ٱلْفَيَافِى وَٱلْعَمِيرْ (١)
حَيْثُ لَا يُعْرَفُ عَبْدٌ أَوْ أَمِيرْ
ثُمَّ فَانْعَمْ وَٱرْحَمِ ٱلصِّيدَ (٢) ٱلْأُلَى (٣)
وَهَبُوا فِى ٱلْعِزِّ فَيْحَاءَ (٤) ٱلضِّيَاعْ (٥)

(١) العمير المعمور . والمراد به هنا البلاد الآهلة بالسكان يقول : سر بنا حتى ننزل بواد فيه قليل من الزرع واقع بين الريف والصحراء ليكون جامعاً ميزتيهما . يأخذ من الريف شيئاً من زرعه ومن الصحراء وحدتها وخلوها من الانس : يحبذ بذلك العزلة على حد قول الشاعر :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب اذ عوى
وصوت انسان فكدت أطير

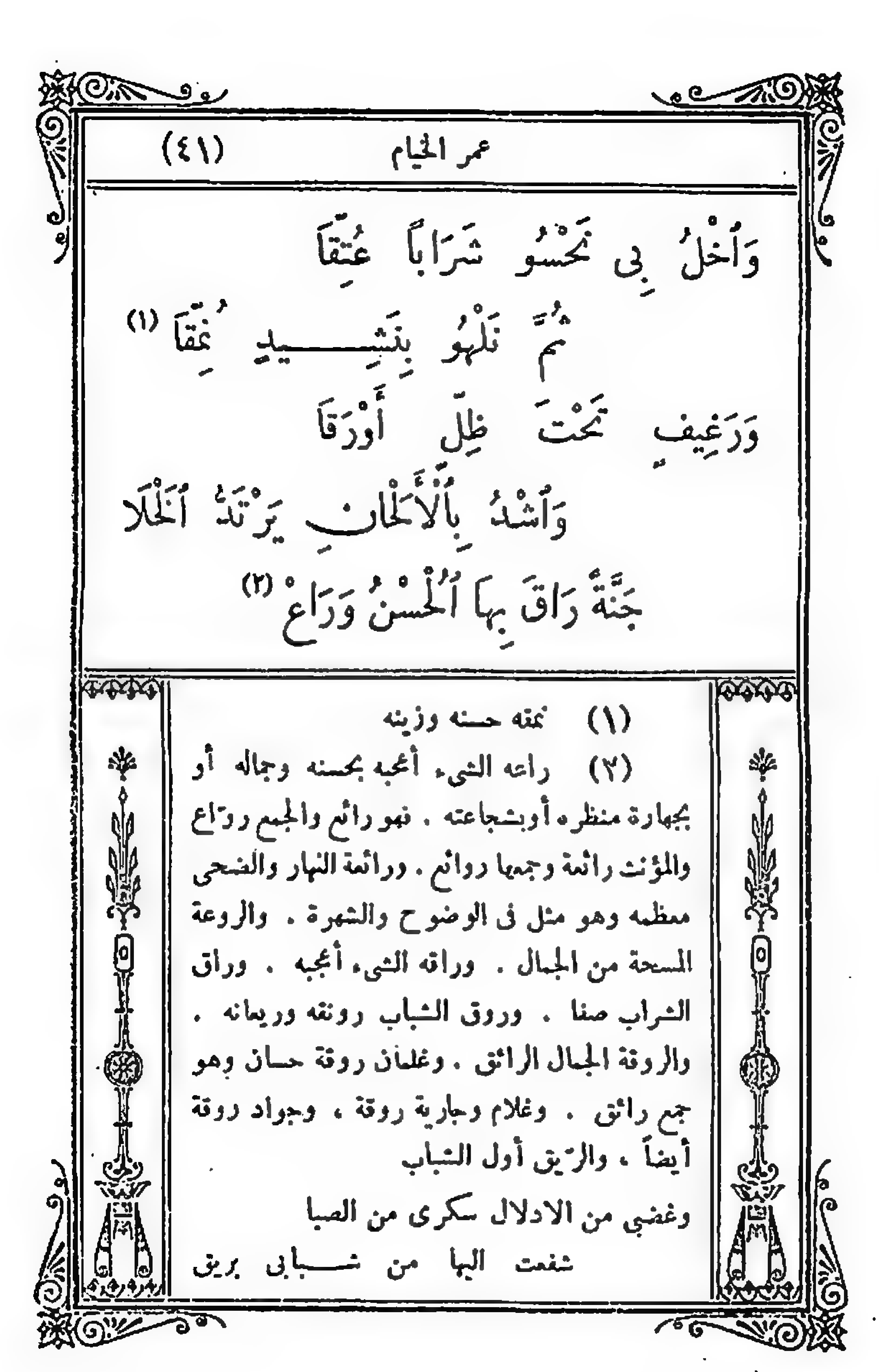
(٢) جمع أصيد وهو الملك المتكبر

(٣) الذين

(٤) مؤنث أفيح وهو الواسع الفسيح والجمع فيح

(٥) جمع ضيعة وهى العقار والارض المغلة





وَاْخلُ بِى نَحْسُو شَرَابًا عُتِّقَا

ثُمَّ نَلْهُو بِنَشِيدٍ نُمِّقَا (١)

وَرَغِيفٍ تَحْتَ ظِلٍّ أَوْرَقَا

وَأُشْدُ بِالأَلْحَانِ يَرْتَدُّ الخَلَا

جَنَّةً رَاقَ بِهَا الْحُسْنُ وَرَاعْ (٢)

(١) نمقه حسنه وزينه

(٢) راعه الشىء أعجبه بحسنه وجماله أو بجهارة منظره أوبشجاعته . فهو رائع والجمع روّاع والمؤنث رائعة وجمعها روائع . ورائعة النهار والضحى معظمه وهو مثل فى الوضوح والشهرة . والروعة المسحة من الجمال . وراقه الشىء أعجبه . وراق الشراب صفا . وروق الشباب رونقه وريعانه . والروقة الجمال الرائق . وغلمان روقة حسان وهو جمع رائق . وغلام وجارية روقة ، وجواد روقة أيضاً ، والرّيق أول الشباب

وغضى من الادلال سكرى من الصبا

شفعت اليها من شبابى بريق

ذَاكَ زَهْرُ ٱلرَّوْضِ مَا بَيْنَ نَضِيرْ

صَافَحَ ٱلصُّبْحَ بِأَنْفَاسِ ٱلْعَبِيرْ (١)

وَسَحِيقٍ خَالَطَ ٱلتُّرْبَ نَثِيرْ (٢)

وَٱلَّذِي أَنْضَرَ هٰذَا أَذْبَلَا

ذَاكَ وَٱلدَّهْرُ ٱلْتِئَامٌ وَٱنْصِدَاعْ

---

(١) العبير الزعفران أو أخلاط من الطيب تجمع بالزعفران وقال أبو عبيدة العبير عند العرب الزعفران وحده وأنشد للاعشى

وتبرد برد رداء العرو
س فى الصيف رقرقت فيه العبيرا

وفى الحديث « أتعجز احداكن أن تتخذ تومتين ثم تلطخهما بعبير أو زعفران » وهذا يدل على أن العبير غير الزعفران

(٢) السحيق المسحوق والنثير المنثور . ومعناه ما ذبل من الزهر فسقط أو ألقى على الثرى فانتثر على أديمه ثم ديس بالاقدام فانسحق .

وهذا مثل ضربه الشاعر على أن كل شيء مهما زها حيناً وراق وأعجب فلا يلبث أن يذوى ، ويضمحل ، وتغيض بهجته ، وينضب رونقه

فَامْضِ بِي وَلْنَعْتَزِلْ عَيْشَ الْغُرُورْ
وَدَعِ الدُّنْيَا بِأَهْلِيهَا تَدُورْ
وَالْهُ عَنْ صَاحِبِ تَاجٍ وَسَرِيرْ
لَا تُبَلْ: دَعْ رِسْتُمًا يَفْرِ الطُّلَا[1]
فِي الْوَغَى أَوْ حَاتِمًا يَقْرِ الْجِيَاعْ

(١) فارس بطل ورد ذكره فى أساطير الفرس القديمة ـ يشبه آخيل عند اليونان وهكتور عند الطرواديين وأورلندو واماديس دى جول عند الفرنجة وعنترة عندنا . ويفرى الطلا يحز الرقاب يقال فرى الشيء يفريه فريا قطعه وشقه فاسداً كما يفرى الذابح والسبع أو صالحاً كما يفرى الخزار الاديم . وفرى الارض قطعها . وفرى القربة أو المزادة خلقها وصنعها . وهو يفرى الفرىّ أى يأتى بالعجب فى عمله . والطلا الاعناق وأصولها جمع طلية أو طلاة . والطلى الهوى . والطلى اللذة . يقال ما فيه طلى أى لذة . والطلاء الخمرة . وتطلى الرجل لزم اللهو والطرب .

قَالَ قَوْمٌ أُعْطِنَا ٱلدُّنْيَا نَصِيبَا

حَبَّـذَا ٱلدُّنْيَا لِمُشْتَاقٍ حَبِيبَا

وَفَرِيقٌ ظَلَّ لِلاخْرَى طَلُوبَا

ضَلَّةً لِلْمَرْءِ يَسْـلُو عَاجِلَا

مِنْ نَعِيمٍ لِسَرَابٍ (١) ذِي خِدَاعْ

(١) السراب ما تراه نصف النهار من اشتداد الحرّ كالماء يلصق بالارض . وهو غير الآل الذى يرى فى طرفى النهار ويرتفع على الارض حتى يصير كأنه بين الارض والسماء . وسمى سرابا لذهابه على وجه الارض من قولهم سرب الماء جرى وسرب فلان فى الارض ذهب على وجهه فيها ومضى . وسرّب الراعى على الابل أرسلها قطعة قطعة . وتسرّب الوحش فى جحره وانسرب دخل . وفى سورة الرعد « من هو مستخف بالليل وسارب بالنهار » أى ظاهر

كَمْ تُنَاجِيكَ عَرُوسُ ٱلْجُلَّنَارْ :

« أَنَا كَنْزُ ٱلْحُسْنِ وَٱلطِّيبِ ٱلْمُثَارْ

« زِرُّ جَيْبِي فَوْقَ عِطْرٍ وَنُضَارْ

« فُضَّهُ وَٱنْثُرْ أَفَانِينَ ٱلْحُلَى

فِى ٱلرُّبَى يَحْلَى بِهَا صَدْرُ ٱلْيَفَاعْ »

(١) الجلنار زهر الرمان معرب كلنار بالفارسية ومعناه ورد الرمان . الواحدة جلنارة والمراد بعروس الجلنار الوردة من الجلنار شبهت بالعروس للنضرة والجمال .

المعنى : يقول انك كلما نظرت الى الجلنارة حسبتها تضحك سروراً وتمرح حبوراً وخيل اليك كأن لسان حالها يناغيك قائلاً أنا كنز مفعم بالحسن وبالرائحة الذكية المثارة أى المنبعثة من وعائها فياحة الارج نفاحة الشذا . وان جيبي « أى كمى » قد زر « أى انطوى » على العطر وعلى النضار أى الذهب « كناية عن الهنات الصفراء التى تكون كالمادة المسحوقة فى باطن الزهرة » . فافتح أغلفتى وخذ ما تضمنته من عطر وذهب فانثره فوق الربى يكن لصدرها كأصناف الحلى وفنون الزينة . والمراد باجراء هذا الكلام على لسان الجلنارة الادلال على ان الجلنارة سخية بما لديها من

وَسَوَاءٌ مُسْرِفٌ قَدْ بَعْثَرَا
بِدَرَ⁽¹⁾ الْمَالِ وَكَزٌّ⁽²⁾ قَتَّرَا
سَيَحُورَانِ تُرَابًا : لَنْ تَرَى
مِنْهُمَا مَنْ يَفْتَدِي بَعْدَ الْبِلَى
ذَهَبًا يُنْبَشُ حَشْرًا وَيُذَاعْ

المطايب يلذ لها أن تجود على الدنيا بما تملك من جمال ومن نضرة ومن طيب رائحة . وكذلك الطبيعة عامة وكل شيء طبيعى قل أو كثر — دق أو جل — شيمته السخاء وديدنه الكرم والوفاء الا الانسان ذلك البخيل اللئيم الكز اليدين الضيق العطن لا خير فيه ولا كرم ولا مروءة فأس رذائله وأصل خبائثه البخل وعنه تتشعب كل النقائص — فالشاعر هنا يعرض ببخل الانسان من طريق الاشارة الى سخاء الطبيعة كما يظهر فى الجلنارة . فكأنه يضرب للانسان البخيل مثلا من الجلنارة السخية حثاً له على الكرم والسخاء وحضاً له على البر والوفاء (١) جمع بدرة وهى الكيس فيه سبعة آلاف دينار (٢) كز الشيء يبس وانقبض فهو كز ورجل كز اليدين أى ذو كزز أى بخل . المعنى : يحث على انفاق الاموال فى سبيل اللذة ووجوه النعيم والترف . يقول : لن ينفع

إِنَّمَا ٱلْآمَالُ فِي ٱلدُّنْيَا خَيَالْ
فَإِذَا أَفْضَتْ إِلَى حُسْنٍ مَآلْ
لَمْ تَكُنْ إِلَّا كَمَا يَلْمَعُ آلْ(١)
أَوْ كَثَلْجٍ فِي فَلَاةٍ نَزَلَا
سَاعَةً يَبْهَى سَنَاهُ(٢) ثُمَّ ضَاعْ

بخيلا بخله كما لن يضير مسرفا اسرافه فكلاهما الى الفناء الدائم والعدم الابدى . ومهما اختلفا فى الحياة مذهبا ومشربا فسيتويان فى الممات ويؤولان فى القبر الى نهاية واحدة — هى العدم . فلن ترى أحدهما يؤول فى قبره (ساعة مايسمونه الحشر) ذهبا ينبش من الجدث وينشر . هذا الشعر شبيه جداً بالأبيات الآتية لطرفة ابن العبد . وعندى ان الخيام كان ينظر من طرف خفى الى أبيات طرفة عند نظمه هذه الرباعية . قال طرفة فى معلقته المشهورة

ألا أيهذا الزاجرى احضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى
فان كنت لا تسطيع دفع منيتى فدعنى أبادرها بما ملكت يدى
أرى قبر نحام بخيل بماله كقبر غوى فى البطالة مفسد

(١) الآل ما تراه فى أول النهار وآخره يتلألأ فى الصحراء ويرفع الأشخاص (٢) السنا الضياء . والمعنى ان الآمال أباطيل وأضاليل وأحلام نيام فان صحت مرة لم تكن الا كالبرق الخلب او الآل اللامع أو السراب لا يلبث أن يزول بلا جدوى ولا فائدة أو كالثلج يسقط على ظهر الفلاة فاذا هو قد ذاب فاضمحل

أَتُرَى ٱلدُّنْيَا سِوَى دَارِ سِفَارْ (١)

ذَاتِ بَابَيْنِ ظَلَامٍ وَنَهَارْ

كَمْ وَكَمْ مِنْ مَلِكٍ جَمِّ ٱلْفَخَارْ

حَلَّ فِيهَا بُرْهَةً وَٱرْتَحَلَا

حِينَ لَبَّى دَعْوَةَ ٱلدَّاعِي ٱلْمُطَاعْ

(١) السفار السفر . وهو مصدر سافر . والمعنى ان الدنيا ليست سوى محطة سفر ينزل بها ساعة ركب الانسانية السائر من العدم الى العدم فكأنها واحة وسط بيداء الفناء أو ينبوع فى قفار العدم . وهذه المحطة يدخلها ويغادرها افراد ركب الانسانية من بابين : الليل والنهار لأن ميلادهم أو موتهم لا يعدو أن يقع ليلاً أو نهاراً . ثم يقول الشاعر : كم من ملك جليل رب مفاخر ومآثر حل فى هذه المحطة برهة ثم أهاب به داعى الاجل المتاح ومنادى الحين المطاع فما عتم ان لبى دعوته مسرعا الى لقاء حتفه

قَبْرُ بَهْرَامَ ٱلَّذِى صَادَ ٱلْأُسُودْ
فَوْقَهُ ٱلذُّؤْبَانُ تَعْدُو وَٱلْفُهُودْ
أَتُرَاهَا أَيْقَظَتْهُ مِنْ رُقُودْ
وَبِمَلْهَى ٱلْعَزْفِ قِدْماً وَٱلطِّلَا
مِنْ حِمَى[1] جَمْشِيدَ تَهْتَاجُ ٱلسِّبَاعْ

(١) الحمى الحريم أو كل ما يحمى من مكان أو غيره والمراد به هنا قصر جمشيد الذى كان محجباً باحراس وخدام وسدنة وحجاب وسجوف وأستار .

والمعنى : ان الذئاب والفهود قد اتخذت مجال عدوها وركضها فوق مدفن الملك العظيم بهرام الذى كان يصيد الاسود . وهى مهما ركضت فوق قبره لن تستطيع ايقاظه من رقدة الموت التى لا مهب منها أبداً . كما أن السباع قد أصبحت تعيث وتهيج فى حيث كان الملك جمشيد يلهو مع ندمانه بالعزف والشراب بأطيب أمكنة قصره المحجب وأجل غرفه وحجراته .

وَقُصُورٍ زَاهِرَاتٍ زَاهِيَـــهْ
عفَّرَ الصِّيدُ الجِبَاهَ الْحَالِيَهْ(١)
فِي ثَرَاهَا لِمَلِيكٍ طَاغِيَهْ
أَصْبَحَتْ مَأْوَى حَمَامٍ رَتَّلَا
«سَاقَ حُرٍّ»(٢) فِي مَحِيلٍ(٣) مُتَدَاعٍ(٤)

(١) الجباه الحالية بالتيجان والا كاليل لانهم صيد أي ملوك . وعفره وعفره في التراب عفراً وتعفيراً مرغه ودلكه أو دسه فيه ويقال لمن أذل قد عفر وأرغم .

(٢) ساق حر — حكاية صوت الحمام قال الشاعر :

وما هاج هذا الشوق الا حمامة دعت « ساق حر » ترحة وترنما

وقد سمي الحمام « ساقا » وسمي فرخه « حرا » فيكون «ساق حر» هو فرخ الحمام أعني انه سمي بصوته كما سميت القطا بصوت هتافها وهو « قطا قطا » قال الشاعر :

تغريد ساق على ساق يجاوبها من الهواتف ذات الطوق والعطل

الساق الاول القمري والثاني ساق الشجرة

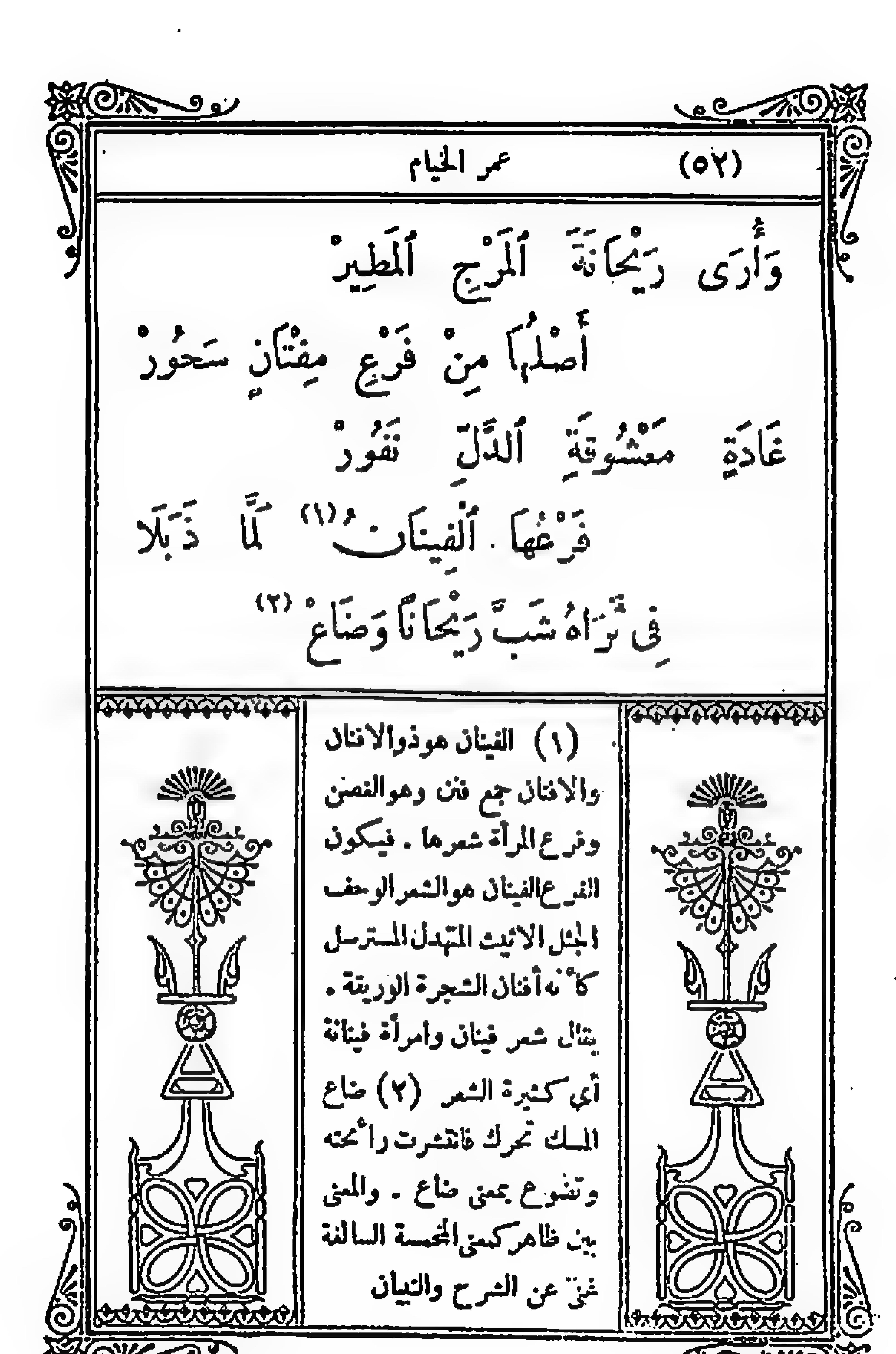
(٣) المحيل هو الدارس المندثر من الاطلال والرسوم

(٤) المتداعي المتهدم المنهار .

أَنْضَرُ ٱلوَرْدِ وَأَبْهَاهُ نَمَا
حَيْثُ رَوَّى ٱلأَرْضَ مَدْفُونٌ دَمَا
فَهُنَاكَ ٱلزَّهْرُ يُطْلَى عَنْدَمَا(١)
وَخُدُودُ ٱلوَرْدِ تَدْمَى خَجَلَا
وَعَرُوسُ ٱلرَّوْضِ حَمْرَاءُ ٱلْقِنَاعِ(٢)

(١) العندم هو البقم وهو صبغ أحمر يتخذ من ساق شجر البقم
(٢) القناع ثوب تقنع به المرأة رأسها وترسله على وجهها . وكشف القناع عن الامر كناية عن التصريح به والمجاهرة .

المعنى : ان الناس انما يخلقون ويصورون من تراب من مات من أسلافهم وكذلك الشجر والنبات والزهر ينمو ويتكون من تراب الموتى ولذلك يقول الشاعر : ان أنضر الورد وأشده احمراراً هو ذاك الذى ينبت من عظام قتيل قد أشبع الارض من دمه المهراق . فمثل هذا الورد النامى من مثل هذا الدم يلوح للناظر كما لو كان قد طلى بالعندم وتضرج خدوده حمرة كما لو كانت تدمى من الخجل كما تدمى وجنات الخفرات الخجلات من الغوانى . فاذا امتلأ روض من أمثال هذه الورود المتناهية حمرة التى كأنها شعل تتوهج وتتأجج حسبت الروض عروساً قد اختمرت بخمار أحمر .



وَأَرَى رَيْحَانَةَ ٱلمَرْجِ ٱلمَطِيرْ

أَصْلُهَا مِنْ فَرْعِ مِفْتَانٍ سَحُورْ

غَادَةٍ مَعْشُوقَةٍ ٱلدَّلِّ نَفُورْ

فَرْعُهَا ٱلْفِينَانُ[1] لَمَّا ذَبَلَا

فِي ثَرَاهُ شَبَّ رَيْحَانًا وَضَاعْ[2]

(١) الفينان هوذو الافنان والافنان جمع فنن وهو الغصن وفرع المرأة شعرها . فيكون الفرع الفينان هو الشعر الوحف الجثل الاثيث المتهدل المسترسل كأنه أفنان الشجرة الوريقة . يقال شعر فينان وامرأة فينانة أي كثيرة الشعر (٢) ضاع المسك تحرك فانتشرت رائحته وتضوع بمعنى ضاع . والمعنى بين ظاهر كمعنى المخمسة السالفة غني عن الشرح والتبيان

فَإِذَا وَافَيْتَ عُشْباً زَخْرَفَا
شَفَةً مِنْ جَدْوَلٍ أَوْ فَوَّفَا[(١)]
لَا تَعِثْ فِيهِ عَسُوفاً[(٢)] مُتْلِفَا
فَعَسَاهُ قَدْ نَمَى بَعْدَ الْبِلَى
مِنْ شِفَاهِ مُسْتَلَذَّاتِ السَّمَاعِ[(٣)]

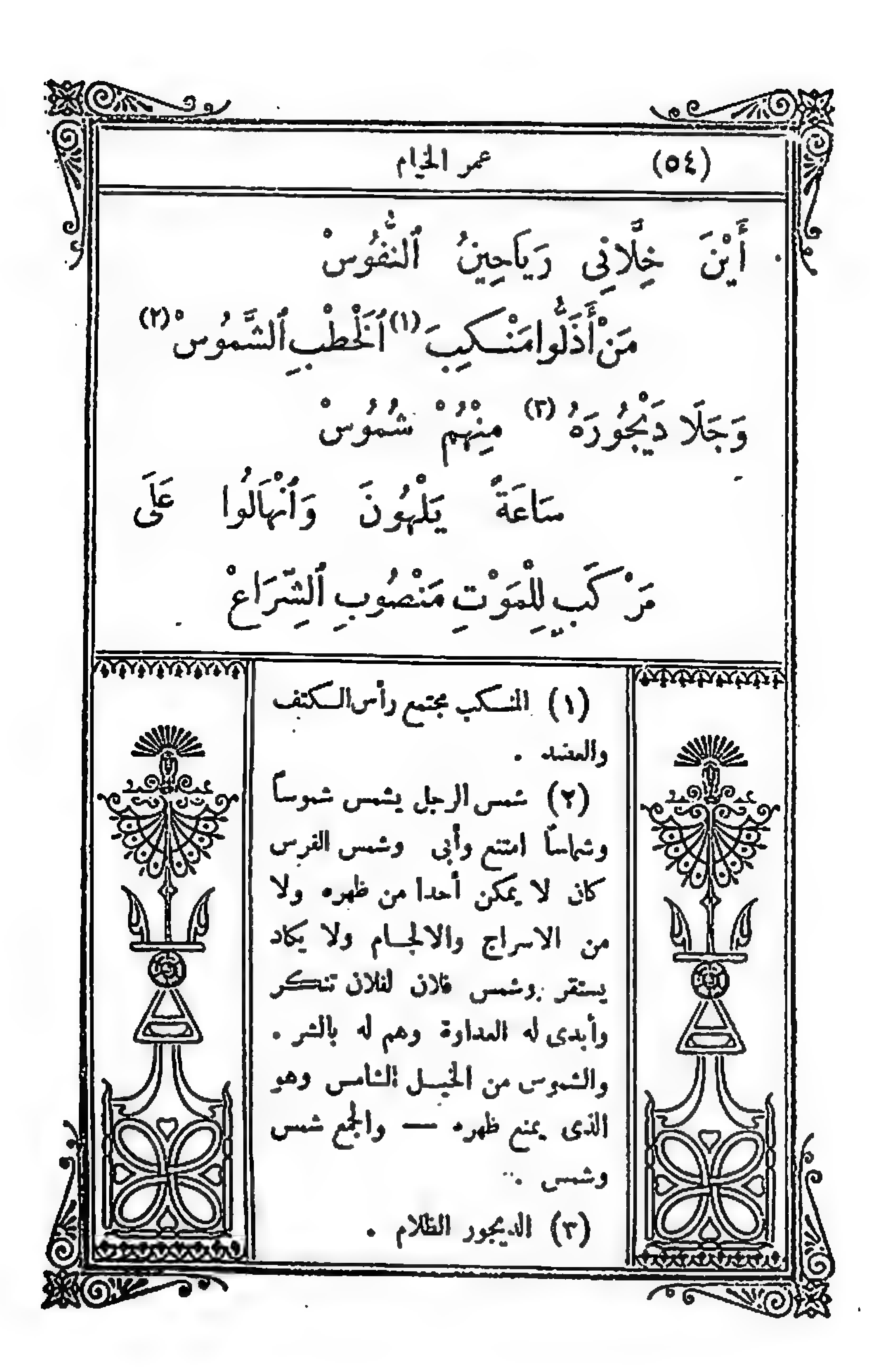
(١) الفوفة النكتة البيضاء التى تكون فى أظافر الصبيان والجمع أفواف . والفوف نوع من برود اليمن سمى بذلك لانه منقط كأظافر الاحداث . والفوف الزهر شبه بالفوف من الثياب لانه منقوش مثلها والبرد المفوف المنقوش وفوف أى نقش ودبج

(٢) العسوف هو الظلوم والآخذ بالقوة

(٣) السماع الثناء وكل ما يلذ به السامع من الاصوات .

هذا كقول المعرى

سر ان استطعت فى الهواء رويدا
لا اختيالاً على رفات العباد



أَيْنَ خِلَّانِي رَيَاحِينُ ٱلنُّفُوسْ

مَنْ أَذَلُّوا مَنْكِبَ(١) ٱلْخَطْبِ ٱلشَّمُوسْ(٢)

وَجَلَا دَيْجُورَهُ(٣) مِنْهُمْ شُمُوسْ

سَاعَةً يَلْهُونَ وَٱنْهَالُوا عَلَى

مَرْكَبٍ لِلْمَوْتِ مَنْصُوبِ ٱلشِّرَاعْ

(١) المنكب مجتمع رأس الكتف والعضد .

(٢) شمس الرجل يشمس شموساً وشماساً امتنع وأبى وشمس الفرس كان لا يمكن أحدا من ظهره ولا من الاسراج والالجام ولا يكاد يستقر .وشمس فلان لفلان تنكر وأبدى له العداوة وهم له بالشر . والشموس من الخيل الشامس وهو الذى يمنع ظهره — والجمع شمس وشمس .

(٣) الديجور الظلام .

وَلَبِسْنَا ظِلَّ عَيْشٍ خلعُوا
جُدِّدَتْ لِلأُنْسِ فِيهِ خِلَعُ
فَلَهَوْنَا بَعْدَهُمْ نَسْتَمْتِعُ
إِنَّ حَتْمًا مُبْرَمًا أَنْ نَرْحَلَا
وَنُخَلِّيهَا لِقَوْمٍ بَعْدَ سَاعْ [1]

(١) ساع جمع ساعة . يقول كم احباء لنا نسوا بالعيش زمانا ولبسوا ظله الظليل أوانا ثم ما لبثوا أن خلعوا مطارف هذا الظل الزائل فحللنا محلهم وشغلنا مكانهم ولبسنا من ظل العيش مانضوا ونزعوا . ثم تجددت لنا فى ظلال هذا العيش خلع قشيبة للانس والصفاء بعد التى أخلقها من سلفنا من أولئك الاحباب ولبثنا على هذه الحال نستمتع بمتاع الحياة حينا ولكنه من المحتوم المبرم ان نخلع نحن أيضاً ابراد هذا الظل وخلع هذا الانس لارتداء الاكفان ثم نخلى ملعب الحياة ومقصفها لمن يخلفنا من الناس .

فَٱرْتَشِفْ رِيقَ ٱلْعَنَاقِيدِ بِيَدْ[1]

مَا تُقَاسِي مِنْ تَبَارِيحِ ٱلْكَمَدْ

لَا تُؤَجِّلْ فُرْصَةَ ٱلْيَوْمِ لِغَدْ

وَا مُصَابِي مِنْ غَدٍ إِنْ أَقْبَلَا

وَرُفَاتِي هَامَةٌ تَعْوِي بِقَاعْ[2]

---

(١) يغنى — (٢) المنخفض المطمئن من الارض

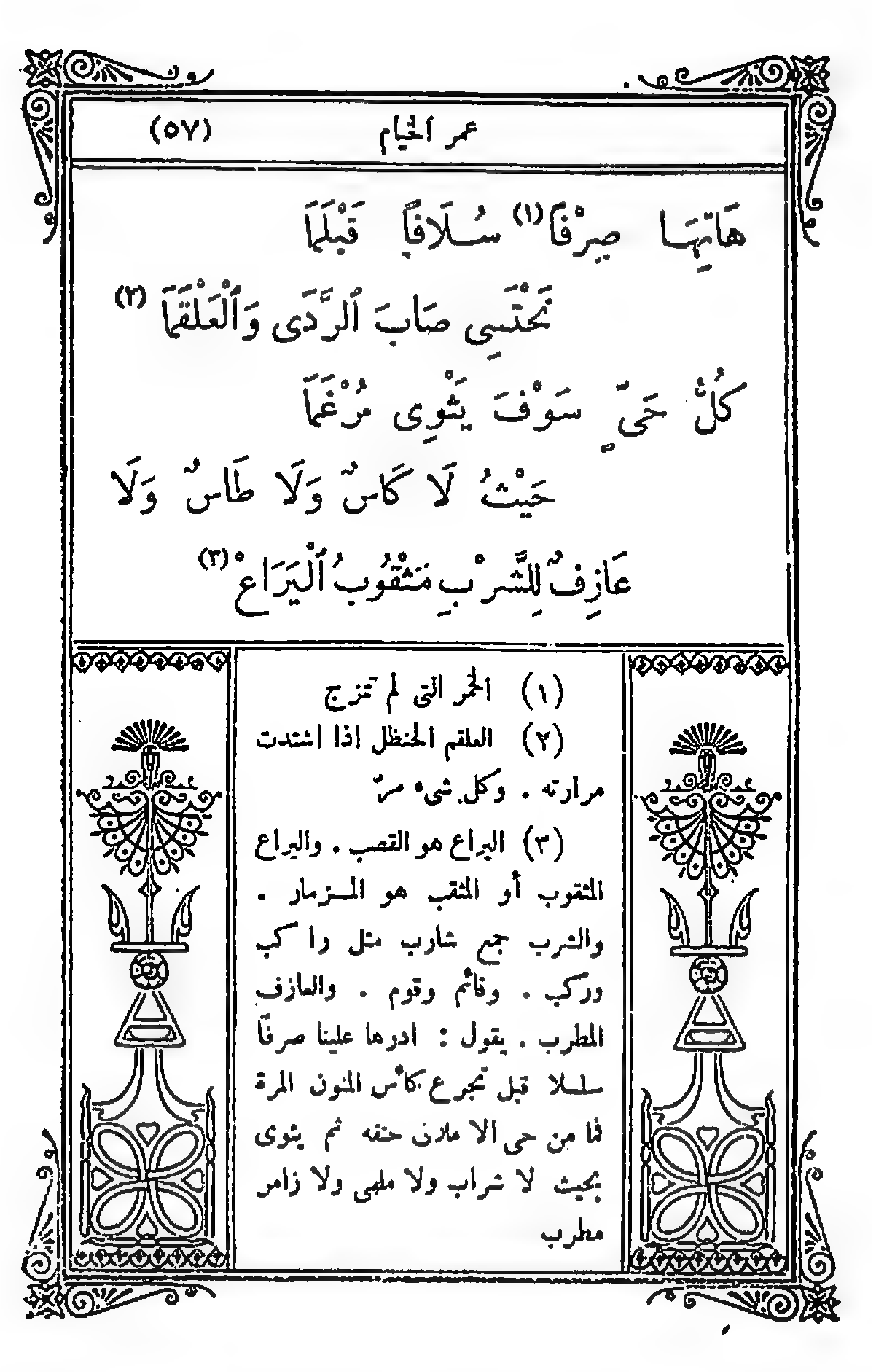
(٢) الهامة وتسمى أيضاً الصدى هى ما يبقى من الميت فى قبره وهى حشوة الرأس وتأويل ذلك عند العرب ان الرجل كان اذا قتل فلم يدرك بثاره يخرج من رأسه طائر كالبومة وهى الهامة والذكر الصدى فيعوى على قبره اسقونى اسقونى فان قتل القاتل كف ذلك الطائر — قال الشاعر :

يا عمرو الا تدع شتمى ومنقصتى
أضربك حيث تقول الهامة اسقونى

وقال الآخر :

وشربت بردا لينى من بعد برد كنت هامة
هتافة تدعو صدى بين المشقر واليمامة

ويقال فلان هامة اليوم أو غده أى يموت فى يومه أو غده .



هَاتِهَا صِرْفاً[١] سُلَافاً قَبْلَمَا
نَحْتَسِي صَابَ ٱلرَّدَى وَٱلْعَلْقَمَا[٢]
كُلُّ حَيٍّ سَوْفَ يَثْوِي مُرْغَمَا
حَيْثُ لَا كَاسٌ وَلَا طَاسٌ وَلَا
عَازِفٌ لِلشَّرْبِ مَثْقُوبُ ٱلْيَرَاعِ[٣]

(١) الخمر التى لم تمزج

(٢) العلقم الحنظل اذا اشتدت مرارته . وكل شىء مر

(٣) اليراع هو القصب . واليراع المثقوب أو المثقب هو المزمار . والشرب جمع شارب مثل راكب وركب . ونائم وقوم . والعازف المطرب . يقول : ادرها علينا صرفاً سلسلا قبل تجرع كأس المنون المرة فما من حى الا ملاق حتفه ثم يثوى بحيث لا شراب ولا ملهى ولا زامر مطرب

قُلْ لِمَنْ يَسْعَى وَرَاءَ ٱلْعَاجِلَهْ [1]

وَلِمَنْ يَرْجُو نَوَالَ ٱلْآجِلَهْ [2]

هِمْتُمَا بِٱلتُّرَّهَاتِ [3] ٱلْبَاطِلَهْ

لَيْسَ فِى ٱلْمَعْدُومِ مَأْمُولٌ وَلَا

كَائِنٌ دَانِى ٱلْأَذَى فِيهِ ٱنْتِفَاعْ

(١) العاجلة الدنيا .

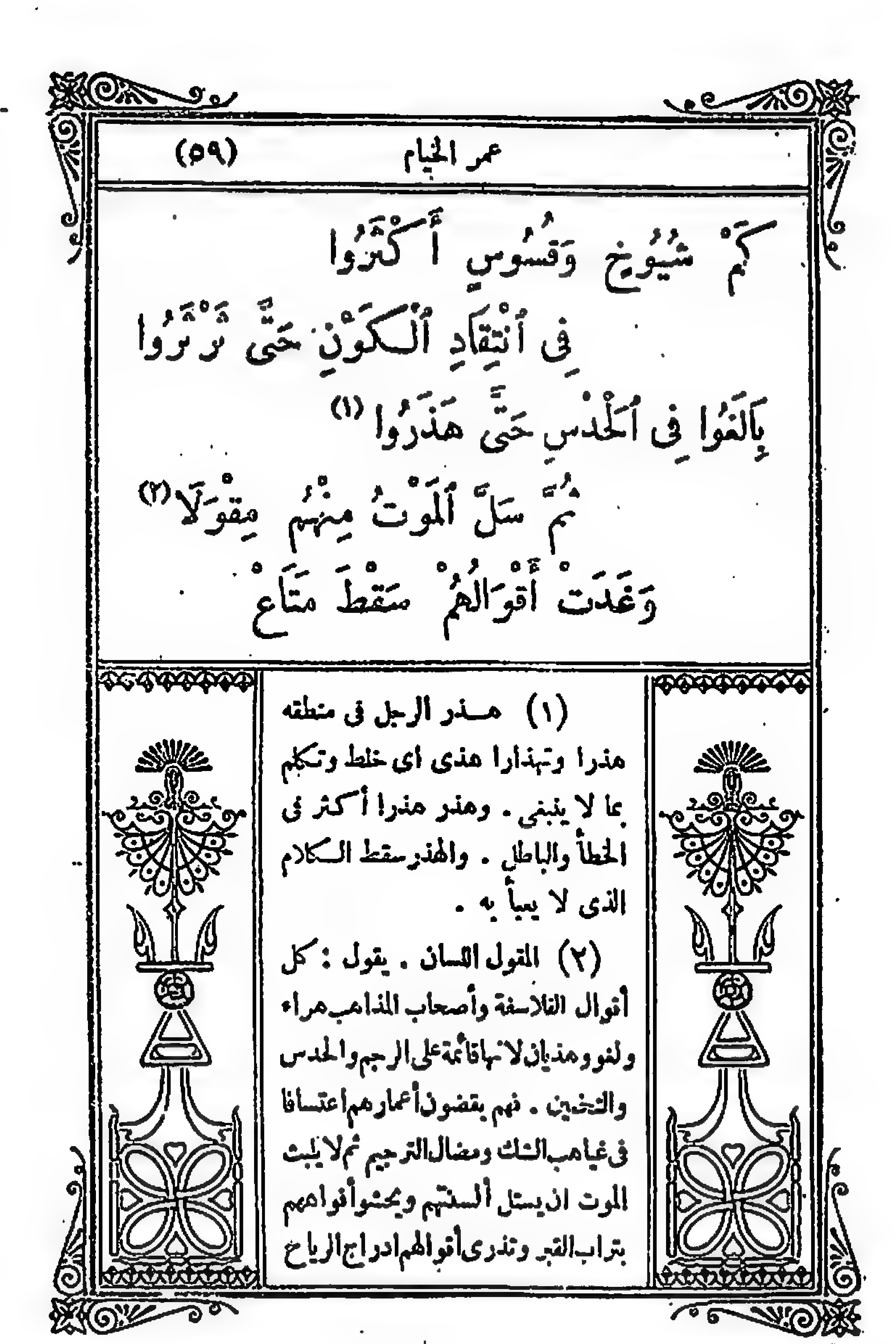
(٢) الآجلة الآخرة .

(٣) الترهات الاضاليل والاباطيل . وهى فى الاصل القفار ثم استعيرت للاباطيل والاقاويل الخالية من الطائل كـكلام المجانين . يقال الترهات البسابس . وربما جاء مضافاً يقال أخذ فى ترهات البسابس المفرد ترهة وتجمع أيضاً على تراره وتراريه قال الشاعر :

ردوا بنى الاعرج ابلى من كثب

قبل التراريه وبعد المطلب

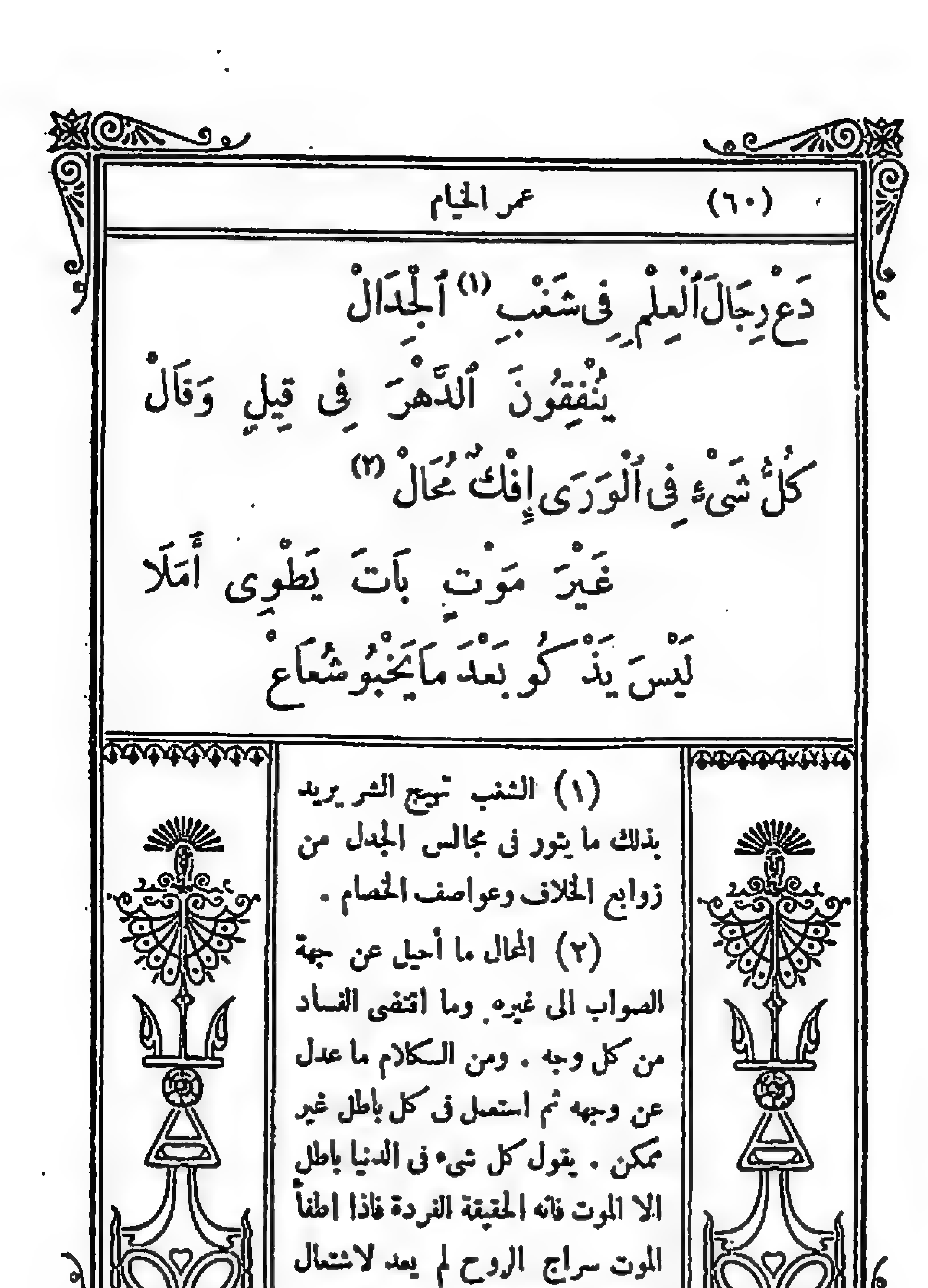
والمعنى : أولى لطالب الدنيا ولطالب الآخرة أن يقصرا جميعاً — كل عن مطلبه فليس فى هذا ولا فى ذاك ثمرة ولا طائل فالآخرة معدومة وليس فى المعدوم خير يرجى . والدنيا دانية الاذى وليس فيما هذا شأنه ثمرة ولا منفعة .



كَمْ شُيُوخٍ وَقُسُوسٍ أَكْثَرُوا
فِي انْتِقَادِ الْكَوْنِ حَتَّى ثَرْثَرُوا
بَالَغُوا فِي الْحَدْسِ حَتَّى هَذَرُوا (١)
ثُمَّ سَلَّ الْمَوْتُ مِنْهُمْ مِقْوَلاً (٢)
وَغَدَتْ أَقْوَالُهُمْ سَقْطَ مَتَاعْ

(١) هذر الرجل فى منطقه هذرا وتهذارا هذى اى خلط وتكلم بما لا ينبغي . وهذر هذرا أكثر فى الخطأ والباطل . والهذر سقط الكلام الذى لا يعبأ به .

(٢) المقول اللسان . يقول : كل أقوال الفلاسفة وأصحاب المذاهب هراء ولغو وهذيان لانها قائمة على الرجم والحدس والتخمين . فهم يقضون أعمارهم اعتسافا فى غياهب الشك ومضال الترجيم ثم لا يلبث الموت ان يستل ألسنتهم ويحثو أفواههم بتراب القبر وتذرى أقوالهم ادراج الرياح



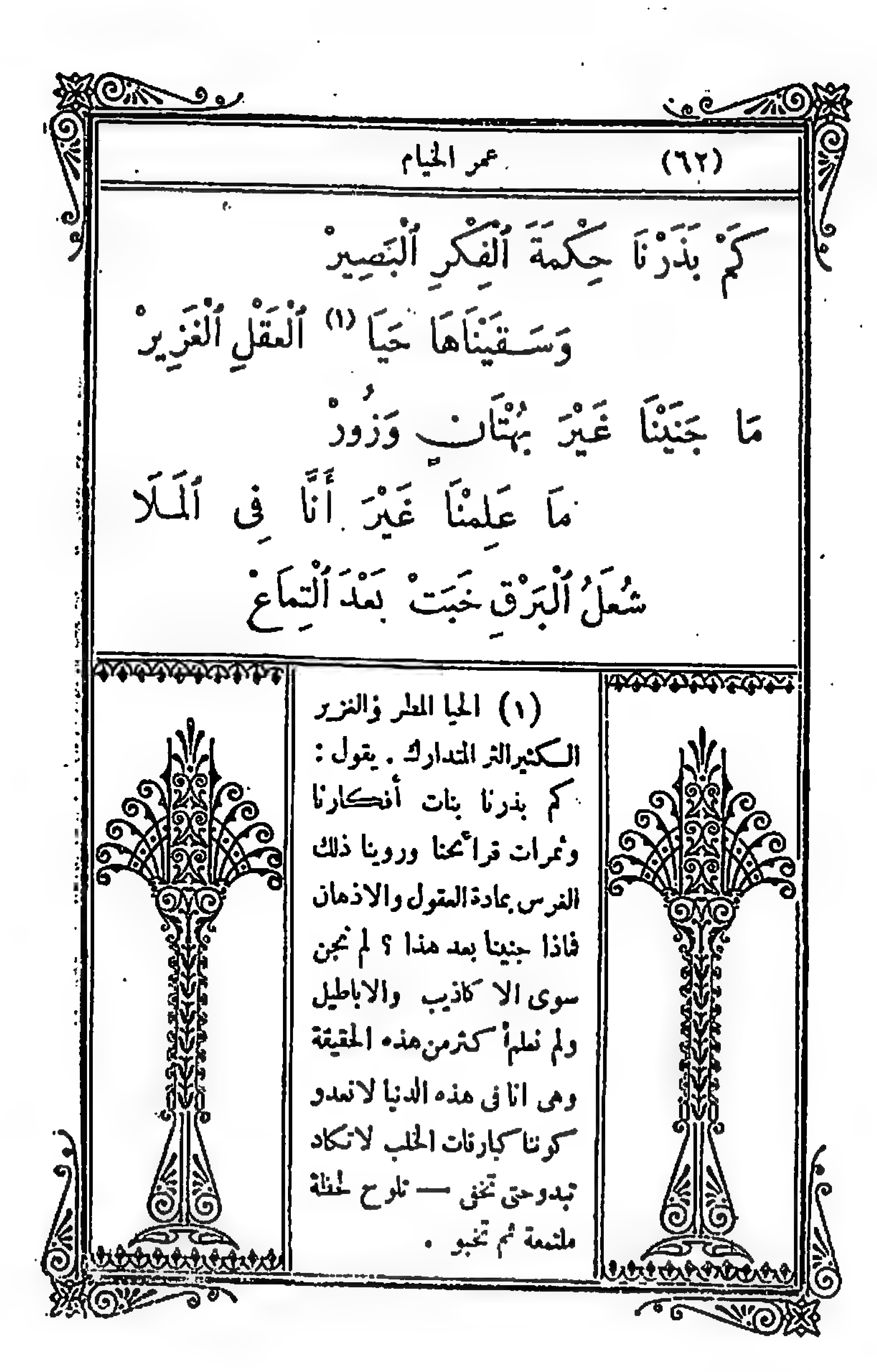
دَعْ رِجَالَ الْعِلْمِ فِى شَغْبِ[1] الْجِدَالْ
يُنْفِقُونَ الدَّهْرَ فِى قِيلٍ وَقَالْ
كُلُّ شَىْءٍ فِى الْوَرَى إِفْكٌ مُحَالْ[2]
غَيْرَ مَوْتٍ بَاتَ يَطْوِى أَمَلَا
لَيْسَ يَذْكُو بَعْدَ مَا يَخْبُو شُعَاعْ

(١) الشغب تهيج الشر يريد بذلك ما يثور فى مجالس الجدل من زوابع الخلاف وعواصف الخصام .

(٢) المحال ما أحيل عن جهة الصواب الى غيره . وما اقتضى الفساد من كل وجه . ومن الكلام ما عدل عن وجهه ثم استعمل فى كل باطل غير ممكن . يقول كل شىء فى الدنيا باطل الا الموت فانه الحقيقة الفردة فاذا اطفأ الموت سراج الروح لم يعد لاشتعال واضاءة بعد ذلك قط . مثله فى ذلك كالشعاع الذى اذا خبا لم يتقد ثانية

طَالَمَا خُضْنَا غِمَارَ ٱلْفَلْسَفَهْ
وَسَمِعْنَا مِنْ صَوَابٍ وَسَفَهْ
وَخَبَطْنَا فِي مَضَلٍّ مَعْسَفَهْ (١)
ثُمَّ صِرْنَا حَيْثُ كُنَّا أَوَّلَا
لَمْ نَسِرْ نَحْوَ ٱلْهُدَى قِيدَ ذِرَاعْ

(١) المضل اسم مكان من ضل وهو القفر الذى يضل سالكه والمسفة المجهلة من الارض يعتسفها السالك أى يخبط فيها على غير هدى . يقول : طالما خاض البشر غمرات بحار الفلسفة ولججها العماق وطالما سمعنا من المتفلسفين سفها تارة وصوابا أخرى . وطالما اعتسفنا مجاهل الكلام واتياهه وألغازه — وبعد كل ذلك لم نجد أنفسنا الا حيث كنا بادئ بدء أى انا رجعنا من حيث ابتدأنا وخرجنا من الباب الذى ولجناه أولا . وفى كل ذلك لم نتقدم خطوة واحدة نحو الحقيقة .



كَمْ بَذَرْنَا حِكْمَةَ ٱلْفِكْرِ ٱلْبَصِيرْ

وَسَقَيْنَاهَا حَيَا (١) ٱلْعقْلِ ٱلْغَزِيرْ

مَا جَنَيْنَا غَيْرَ بُهْتَانٍ وَزُورْ

مَا عَلِمْنَا غَيْرَ أَنَّا فِى ٱلْمَلَا

شُعَلُ ٱلْبَرْقِ خَبَتْ بَعْدَ ٱلْتِمَاعْ

(١) الحيا المطر والغزير الكثير الثر المتدارك . يقول : كم بذرنا بنات أفكارنا وثمرات قرائحنا وروينا ذلك الغرس بمادة العقول والاذهان فاذا جنينا بعد هذا ؟ لم نجن سوى الاكاذيب والاباطيل ولم نعلم أكثر من هذه الحقيقة وهى انا فى هذه الدنيا لانعدو كوننا كبارقات الخلب لاتكاد تبدو حتى تخفى — تلوح لحظة ملتمعة ثم تخبو .

خَبِّرُوا أَنَّى وَإِيَّانَ وَلِمْ
جِئْتُ هٰذَا ٱلْكَوْنَ كَالْمَاءِ سَجَمْ (١)
ثُمَّ أَرْتَدُّ كَأَنْفَاسِ ٱلنَّسَمْ (٢)
شَطَطٌ مِنْ عَابِثٍ قَدْ هَزَلَا
دَاوِهِ بِٱلْقَصْفِ (٣) جُهْدَ ٱلْمُسْتَطَاعْ

(١) سجم الماء والدمع سجوماً وسجاماً سال فهو ساجم وسجمت العين والسحابة الماء تسجمه سجوماً وسجاماً اسالته . والسجم الماء والدمع . وعين سجوم أى تسيل بالدمع .

(٢) نسمت الريح تحركت وهبت والنسم ههنا جمع النسمة وهى نفس الروح والانسان .

(٣) قصف الرجل قصوفاً أقام فى أكل وشرب ولهو . وتقصف على الطعام لها ولعب . والقصف اللهو . يقول : أيها الناس خبرونى من اين والى أين ولماذا جئت هذا العالم وظهرت فيه ثم لا ألبث أن أغادره وأرحل عنه — مشبهاً فى ورودى عليه الماء المنسجم وفى انطلاقى عنه انفاس النسيم . ما أحسب القضاء اذ يفعل بى هذا الا جائراً فى حكمه هزلا أو دعابة ولعل اللهو واللعب هو أفضل علاج لمداراة هذا الاذى الواقع من القضاء .

مِنْ ضَمِيرِ ٱلْأَرْضِ عَقْلِي نَجَمَا
وَٱرْتَقَى حَتَّى تَذَرَّى[1] ٱلْأَنْجُمَا
كَمْ وَكَمْ مِنْ مُشْكِلٍ حَلَّ وَمَا
حَلَّ مِنْ عَيْشٍ وَمَوْتٍ مُشْكِلَا
دُونَ ذَاكَ ٱلْغَيْبِ مَسْدُولٌ[2] ٱلْقِنَاعْ

(١) تذرى الذروة والقمة علاها وركبها .
(٢) والقناع المسدول المرسل المسجف .

يقول : انني خلقت من الارض فعقلي من احشاء الارض منجمه ومنشؤه وقد ارتقى بعد ذلك في مدارج الكائنات يبحثها ويفحصها اختبارا وتمحيصاً لادراك مهاياها وتعرف اكناهها حتى تذرى الكواكب وامتطى الافلاك (اشارة الى اشتغاله بعلم الفلك) وكم في خلال ذلك حللنا من مسائل ومعضلات ومشاكل الا مشكلة الحياة والموت فقد وقفنا عند بابها المغلق وقفة العاجز المردود الحائر المصدود .

ثَمَّ بَابٌ لَمْ أَجِدْ مِفْتَاحَهُ

وَكِتَابٌ لَا أَعِي أَصْحَاحَهُ (١)

وَقُصَارَى ٱلْمَرْءِ صَوْتٌ بَحَّهُ

فِي «أَنَا» أَوْ «أَنْتَ» يَهْذِي (٢) جَدَلَا

وَ«أَنَا» أَوْ «أَنْتَ» رَهْنٌ بِضَيَاعْ

(١) الاصحاح هو السورة أو الفصل من التوراة

(٢) هذى الرجل يهذى هذيا وهذيانا تكلم بغير معقول . فهو هاذ وهذّاء أى كثير الهذيان . والمعنى : هنالك باب لم أعثر على مفتاح له يريد باب الغيب . وثمّ أيضاً كتاب لا أفهم آياته يريد كذلك كتاب الغيب . وغاية مجهود الانسان فى توخى ادراك الغيوب أن يبح صوته بالكلام يناظر ويجادل فى مسائل « أنا » و « أنت » يعنى الروح أى روح المتكلم وروح المخاطب وما هو أصلها وفصلها وكنهها وماهيتها . على ان هذه الروح الكائنة فى « أنا » و « أنت » أى فىّ وفيك — هى رهن بالزوال والفناء أى لا تستحق كل هذا الكد والعناء .

قَدْ سَأَلْتُ ٱلْأَرْضَ عَنْ سِرِّ ٱلْوُجُودْ
وَسَأَلْتُ ٱلْبَحْرَ وَٱلرِّيحَ ٱلشَّرُودْ
وَٱلْحَيَا وَٱلْبَرْقَ يَسْرِي وَٱلرُّعُودْ
وَٱلدَّرَارِي(١) وَٱلسَّمٰوَاتِ ٱلْعُلَى
كُلُّهَا صَدَّتْ وَلَمْ تُنْصِتْ لِدَاعْ

(١) الدرارى الكواكب . يقول : وقفت وسط هذا العالم العجيب والكون الرائع المدهش وقفة الحيران ثم تلمست سر هذا النظام وحاولت استكشاف أصله واجتلاء غامضه من كل شيء أمامى فتارة أبحث فى الارض وطبقاتها (كناية عن الابحاث الجيولوجية) وتارة أبحث فى الرياح ومهابها والسحاب والامطار وأخرى فى الاجرام والافلاك فلم توصلنى هذه الابحاث الى بغيتى ولم تمنى هذه المشاهد الكونية والآثار الطبيعية على اجتلاء أدنى طرف من أمنيتى بل كأنها جميعاً صدت عنى ولم تصغ لاسئلتى ودعواتى

ثُمَّ سَاءَلْتُ ٱلرَّقِيبَ ٱلْمُخْتَفِي
خَلْفَ سِتْرِ ٱلْكَائِنَاتِ ٱلْمُسْجَفِ
أَيُّ نُورٍ لِلضَّلُولِ ٱلْمُسْدِفِ (١)
يَكْشِفُ ٱللَّيلَ ٱلْبَهِيمَ ٱلْأَلْيَلَا (٢)
قَالَ عَقْلٌ مُظْلِمٌ خَابِى ٱلشُّعَاع

(١) الضلول صيغة مبالغة من ضال . أى الشديد الضلال والمسدف الذى أظلمت عيناه من آفة يقال أسدف الرجل اذا أظلم نوز بصره من كبر أو غيره .

(١) والاليل الشديد الظلام .

المعنى : ثم وجهت سؤالى الى القوة المسيطرة على نظام العالم الرقيبة على تصرفات الكون وحركات البشر المختفية وراء ستر الطبيعة المنسدل فقلت لهذه القوة « خبرينى ماذا أعددت من النور تزودين به الانسان الضال الهائم فى ظلمات الحياة ليكون له نبراساً يكشف به غياهب هذا الليل الأليل ؟ »

فأجابت هذه القوة (أعنى قوة القضاء) :

« أعددت له وزودته بعقل مظلم خامد الشعاع — لا يغنى فتيلاً ولا قطميراً . »

فَقَصَدْتُ ٱلْجَامَ أَسْتَنْدِي فَمَهْ
بِفَمِي أَسْتَلُّ سِرًّا أَعْجَمَهْ (١)
عَنْ رَحِيقِ ٱلْخُلْدِ قَالَ ٱلْجَامُ « مَهْ (٢)
« قَدْ أَبَى ظَعْنُ ٱلرَّدَى أَنْ يَقْفِلَا (٣)
فَٱدِرْهَا قَبْلَمَا يَنْعَاكَ نَاعْ

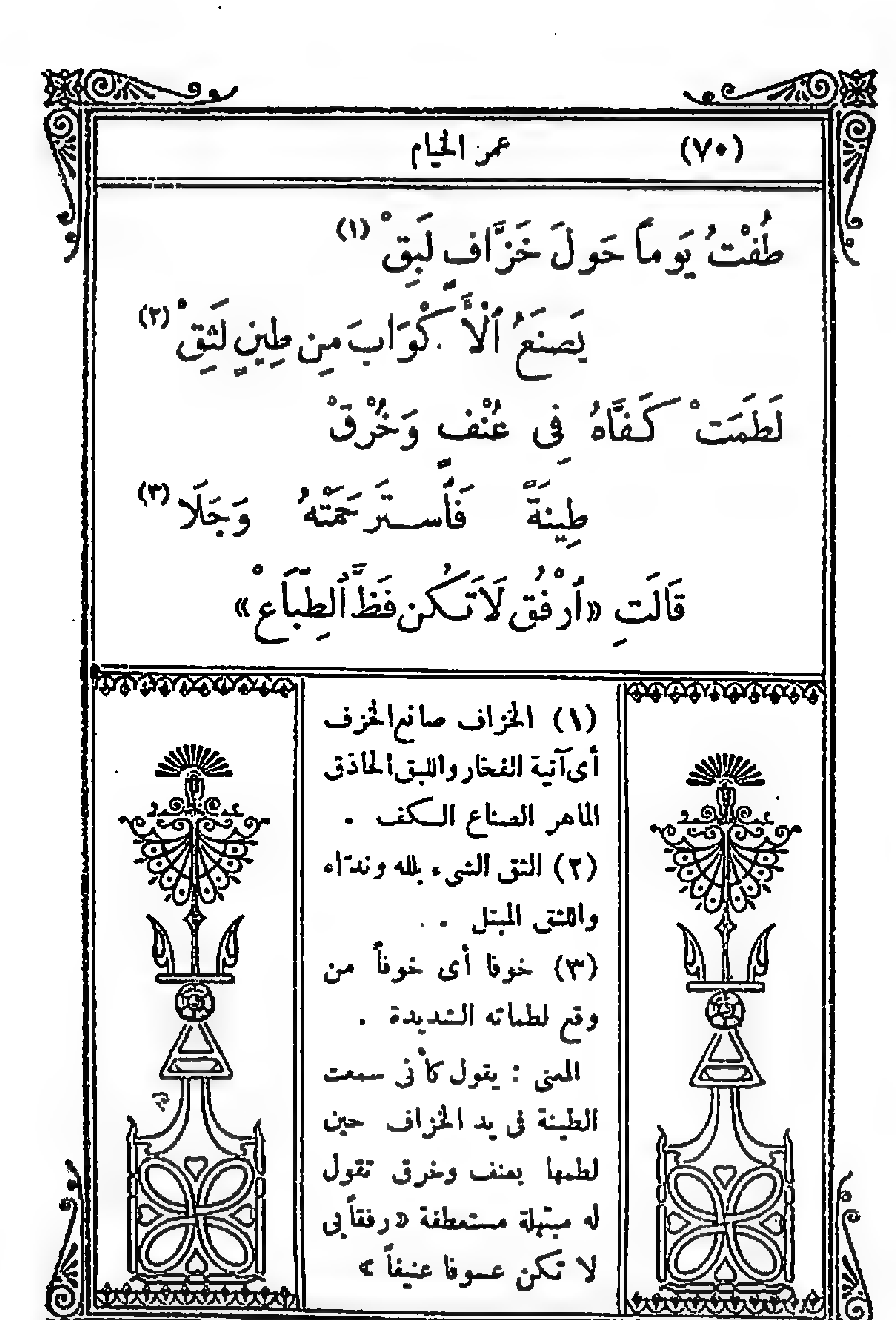
(١) أبهمه وستره . (٢) مه اسم فعل مبنى على السكون بمعنى انكفف (أى أقصر واسكت) ولا تقل بمعنى اكفف لان اكفف يتعدى ومه لا يتعدى . (٣) يرجع .

المعنى : لما لم أجد فائدة من طروق ما طرقت من تلك الابواب فى سبيل استطلاع سر الغيب الغامض قصدت جام الشراب أستندى فمه بفمى أى أرشف فمه بفمى ألتمس نداه أى برده وخصره أو أستنديه بمعنى أطلب نداه أى عطاءه ويكون عطاؤه اذن بمعنى ما أبتغى لديه من الافضاء الىّ بسرّ الخلود (المعبر عنه فى الابيات برحيق الخلد) . فبماذا أجابنى الجام ؟ قال انكفف عن هذا أى أقصر واسكت ودعك من هذه المسائل وحسبك أن تعلم ان ظاعنى الموت متى سلكوا سبيله فلا رجعة لهم أبدا . فاستمتع بالكاس قبل الممات .

كَانَ هٰذَا ٱلْجَامُ حَيًّا يُرْزَقُ
وَهُوَ ٱلْيَوْمَ جَمَادٌ يَنْطِقُ
كُلَّمَا قَبَّلْتَ فَاهُ يَخْفُقُ
هَيَمَانًا(١) وَيَرُدُّ ٱلْقُبَــلَا
مِنْهُ حَيُّ ٱلْحِسِّ مَشْبُوبٌ(٢) رُوَاعٌ(٣)

(١) هام الرجل هيما وهيمانا أحب انسانا . وعلى وجهه ذهب من العشق أو غيره لايدرى أين يتوجه فالهيمان الولوع والشوق قال الشاعر
وألثم فاه كى تزول حرارتى   فيشتد ما ألقى من الهيمان
(٢) المشبوب هو المتوقد حدة وذكاء يقال رجل أروع مشبوب
☆ من قريش كل مشبوب أغر ☆
(٣) الرواع هو الرجل الحيّ النفس الذكيّ الفؤاد يقال شهم رواع

المعنى : يقول لا تعجبوا من توجيه سؤالى للجام وردّه علىّ الجواب . فان هذا الجام المصنوع من التراب انما صيغ من تراب رفات الموتى فهو كان حيناً ما بشرا مثلنا حياً يرزق . فاذا رأيته اليوم جمادا فانه جماد ناطق (أى بلسان الحال والعبرة) فاذا قبلت فمه خفق من ذكرى عهود الصبابة يوم كان عاشقاً مثلك ولثمك مثل ما تلثمه .



طُفْتُ يَوماً حَولَ خَزّافٍ لَبِقْ (١)

يَصنَعُ الأكوابَ مِن طِينٍ لَثِقْ (٢)

لَطَمَتْ كَفّاهُ فِي عُنْفٍ وَخُرْقْ

طِينَةً فَاستَرحَمَتْهُ وَجَلاً (٣)

قَالَتِ «ارْفُقْ لا تَكُن فَظَّ الطِّبَاعْ»

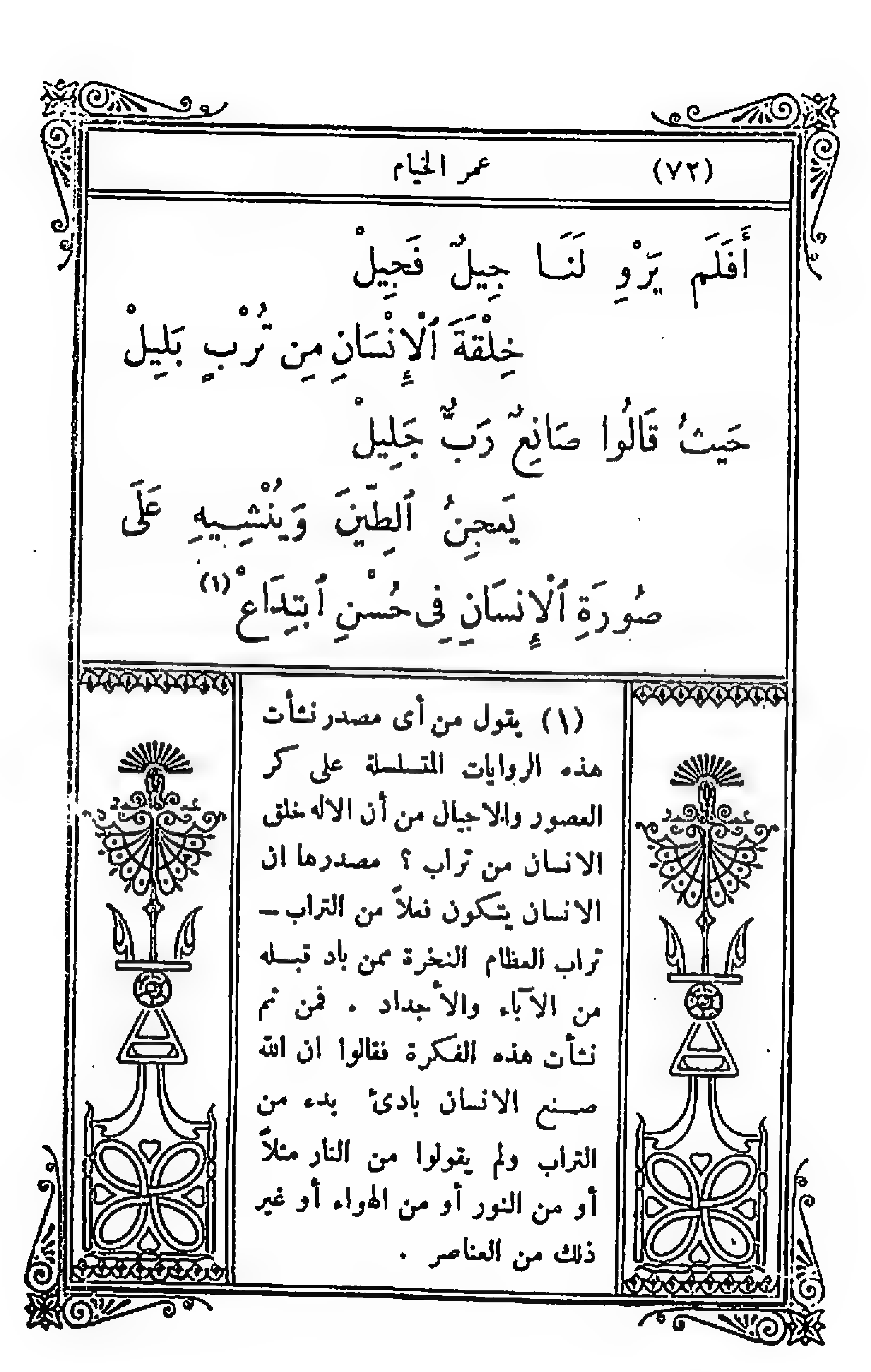
(١) الخزاف صانع الخزف أى آنية الفخار واللبق الحاذق الماهر الصناع الكف .

(٢) اللثق الشىء بلله ونداه واللثق المبتل . .

(٣) خوفا أى خوفاً من وقع لطماته الشديدة .

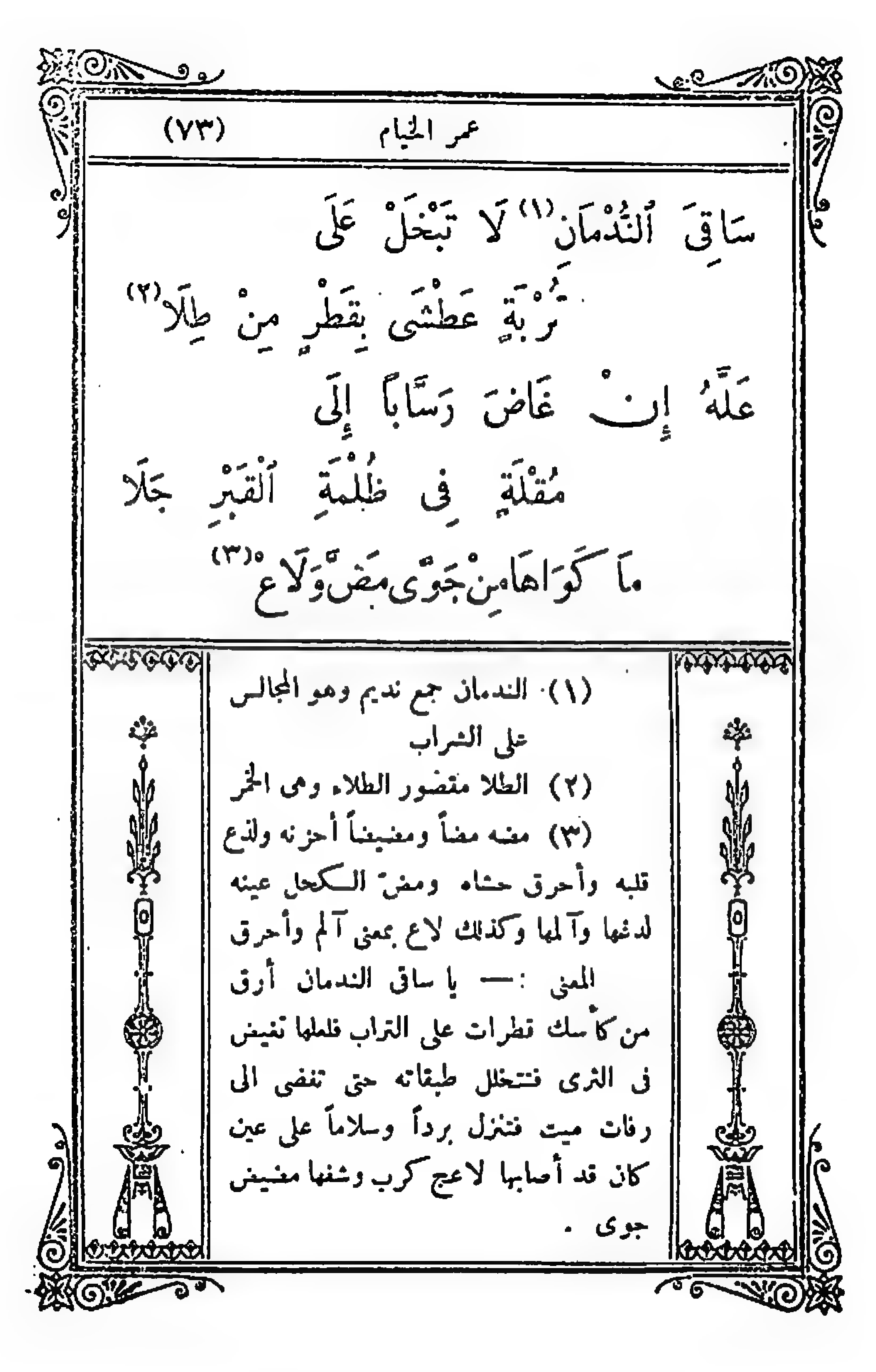
المعنى : يقول كأنى سمعت الطينة فى يد الخزاف حين لطمها بعنف وخرق تقول له مبتهلة مستعطفة « رفقاً بى لا تكن عسوفا عنيفاً »





أَفَلَمْ يَرْوِ لَنَا جِيلٌ فَجِيلْ
خِلْقَةَ ٱلْإِنْسَانِ مِن تُرْبٍ بَلِيلْ
حَيثُ قَالُوا صَانِعٌ رَبٌّ جَلِيلْ
يَعجِنُ ٱلطِّينَ وَيُنْشِيهِ عَلَى
صُورَةِ ٱلْإِنسَانِ فِى حُسْنِ ٱبتِدَاعْ(١)

(١) يقول من أى مصدر نشأت هذه الروايات المتسلسلة على كر العصور والاجيال من أن الاله خلق الانسان من تراب ؟ مصدرها ان الانسان يتكون فعلاً من التراب — تراب العظام النخرة ممن باد قبله من الآباء والأجداد . فمن ثم نشأت هذه الفكرة فقالوا ان الله صنع الانسان بادئ بدء من التراب ولم يقولوا من النار مثلاً أو من النور أو من الهواء أو غير ذلك من العناصر .



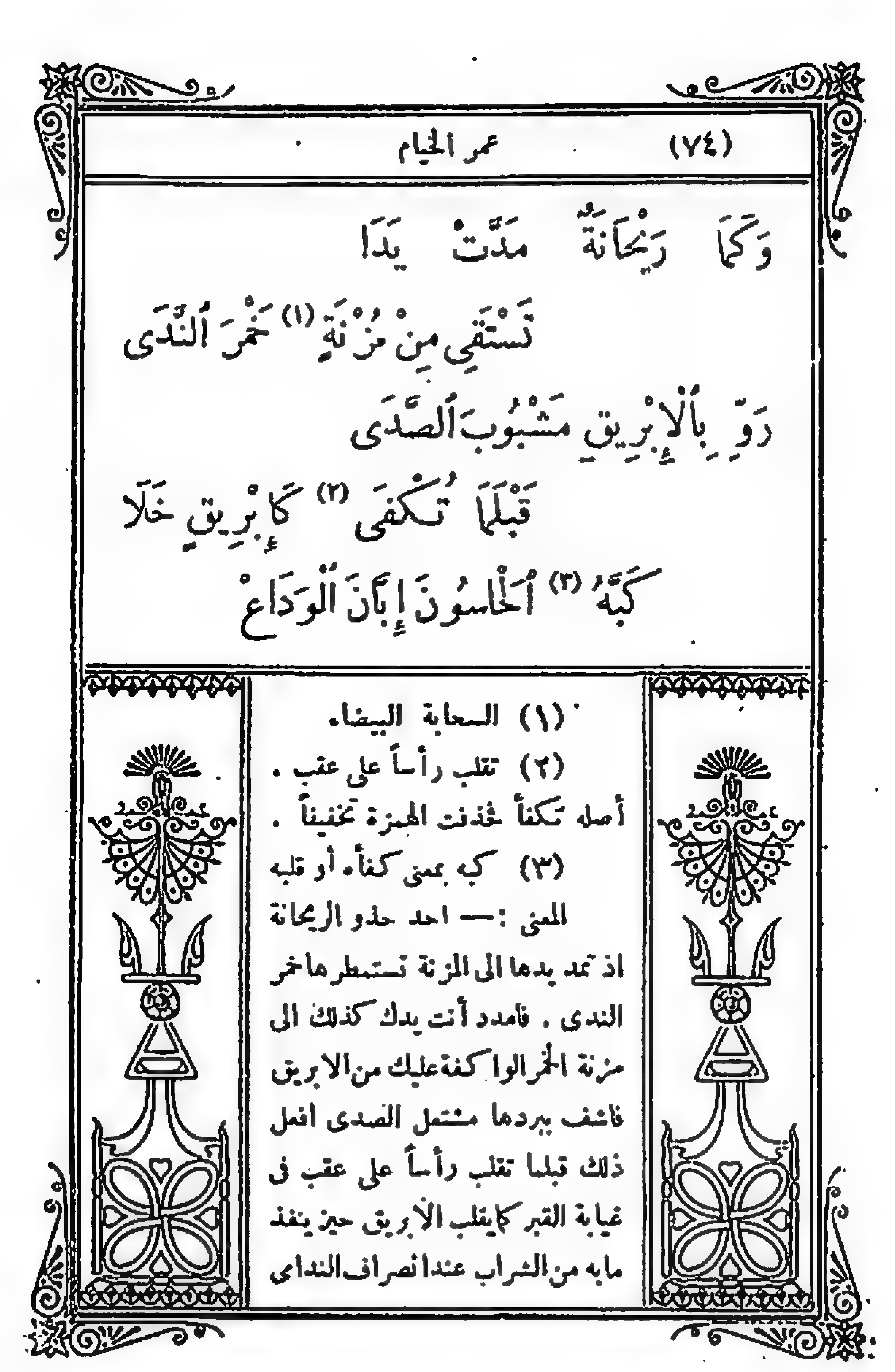
سَاقِىَ ٱلنُّدْمَانِ(١) لَا تَبْخَلْ عَلَى
تُرْبَةٍ عَطْشَى بِقَطْرٍ مِنْ طِلَا(٢)
عَلَّهُ إِنْ غَاضَ رَسَّاباً إِلَى
مُقْلَةٍ فِى ظُلْمَةِ ٱلْقَبْرِ جَلَا
مَا كَوَاهَا مِنْ جَوًى مَضٍّ وَلَاعٍ(٣)

(١) الندمان جمع نديم وهو المجالس على الشراب

(٢) الطلا مقصور الطلاء وهى الخمر

(٣) مضه مضاً ومضيضاً أحزنه ولذع قلبه وأحرق حشاه ومضّ الكحل عينه لدغها وآلمها وكذلك لاع بمعنى آلم وأحرق

المعنى :— يا ساقى الندمان أرق من كأسك قطرات على التراب فلعلها تغيض فى الثرى فتتخلل طبقاته حتى تنفى الى رفات ميت فتنزل برداً وسلاماً على عين كان قد أصابها لاعج كرب وشفها مضيض جوى .



وَكَمَا رَيْحَانَةٌ مَدَّتْ يَدَا
تَسْتَقِي مِنْ مُزْنَةٍ (١) خَمْرَ النَّدَى
رَوِّ بِالْإِبْرِيقِ مَشْبُوبَ الصَّدَى
قَبْلَمَا تُكْفَى (٢) كَإِبْرِيقٍ خَلَا
كَبَّهُ (٣) الْخَاسُونَ إِبَّانَ الْوَدَاعْ

(١) السحابة البيضاء.
(٢) تقلب رأساً على عقب . أصله تكفأ حذفت الهمزة تخفيفاً .
(٣) كبه بمعنى كفأه أو قلبه

المعنى :— احذ حذو الريحانة اذ تمد يدها الى المزنة تستمطرها خمر الندى . فامدد أنت يدك كذلك الى مزنة الخمر الواكفة عليك من الابريق فاشف بردها مشتعل الصدى افعل ذلك قبلما تقلب رأساً على عقب فى غيابة القبر كما يقلب الأبريق حين ينفد ما به من الشراب عند انصراف الندامى

وَاحْتَضِنْ فِى كَرَّةِ الْعُمْرِ الزَّفِيفْ(١)

كُلَّ غُصْنٍ أَهْيَفِ الْقَدِّ رَهِيفْ

قَبْلَمَا تَحْضُنُكَ الْأُمُّ الْعَطُوفْ

فِى حَشَاهَا حِينَ تَلْقَى الْأَجَلَا

لَيْسَ لِلثَّاوِى بِمَلْحُودٍ(٢) مَتَاعْ

(١) الزفيف السريع . زف الظليم وغيره يزف زفا وزفوفاً وزفيفاً أسرع . ومنه يقال زف القوم أسرعوا . وفى التنزيل : « فأقبلوا اليه يزفون » أى يسرعون . وزفت الريح هبت فى مضاء ولين .

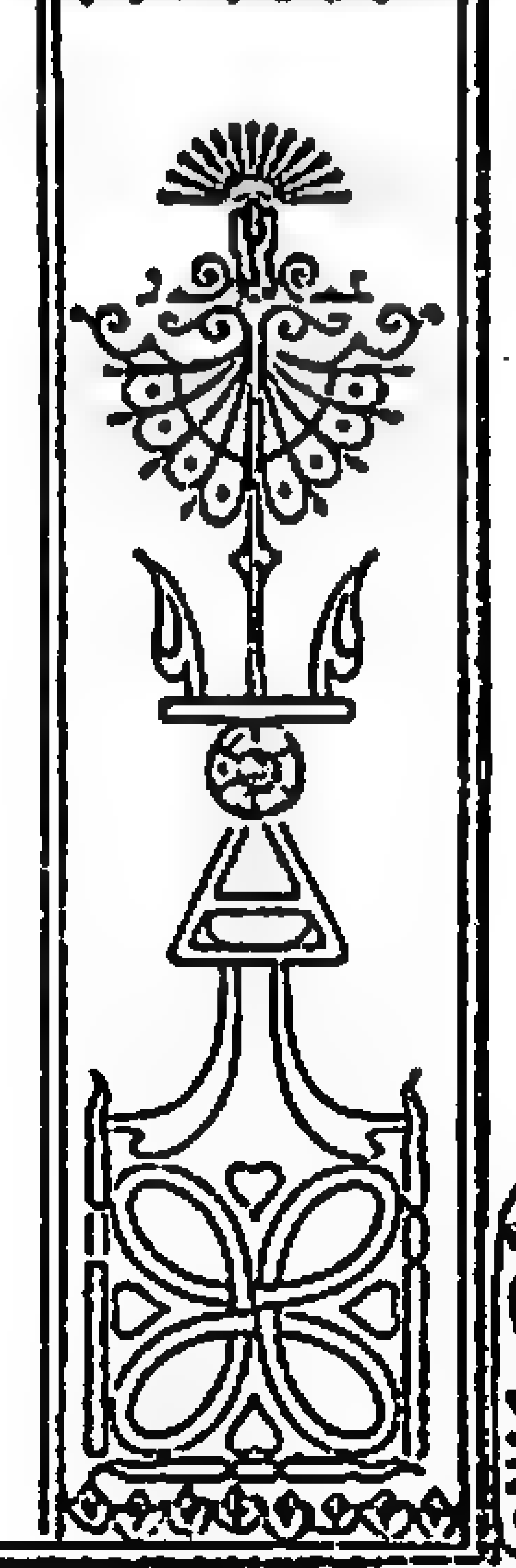
(٢) الملحود هو اللحد وهو الشق المائل يكون فى عرض القبر أى جانبه ج الحاد ولحود .

المعنى : يقول خذ ريك وشبعك من اللذات والمناعم فى سويعات العمر القليلة معتنقاً كل ما يعرض لك من القدود الهيف المياسة من خوط بان . أو قد غانية مفتان — افعل ذلك قبلما تحضنك أمك الحدبة العطوف عليك أعنى الارض تأخذك فى أحضانها حينما يرميك ثمت الموت ثم لا تحسبن ان بعد الممات لذة فليس بعد ذلك سوى الثواء فى القبر ولا متاع هنالك .

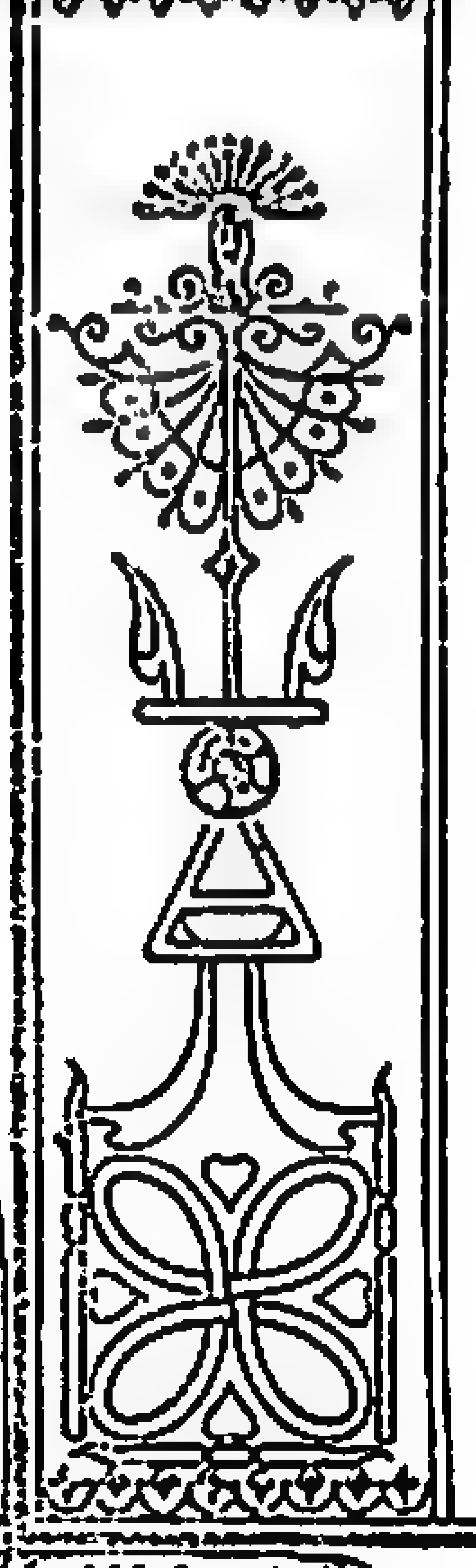


النشيد الثانى

اشْرَبِ ٱلصَّهْبَاءَ فِى ظِلِّ ٱلصِّبَا
مَا زَهَا وَرْدٌ بِتِيجَانِ ٱلرُّبَى
وَإِذَا سَاقِى ٱلْمَنَايَا أَوْجَبَا
شَرْبَةً مَضَّتْ وَمَرَّتْ مَطْعَمَا
فَٱحْسُ جَلْدًا خَمْرَةَ ٱلْمَوْتِ ٱلزُّؤَامْ(١)

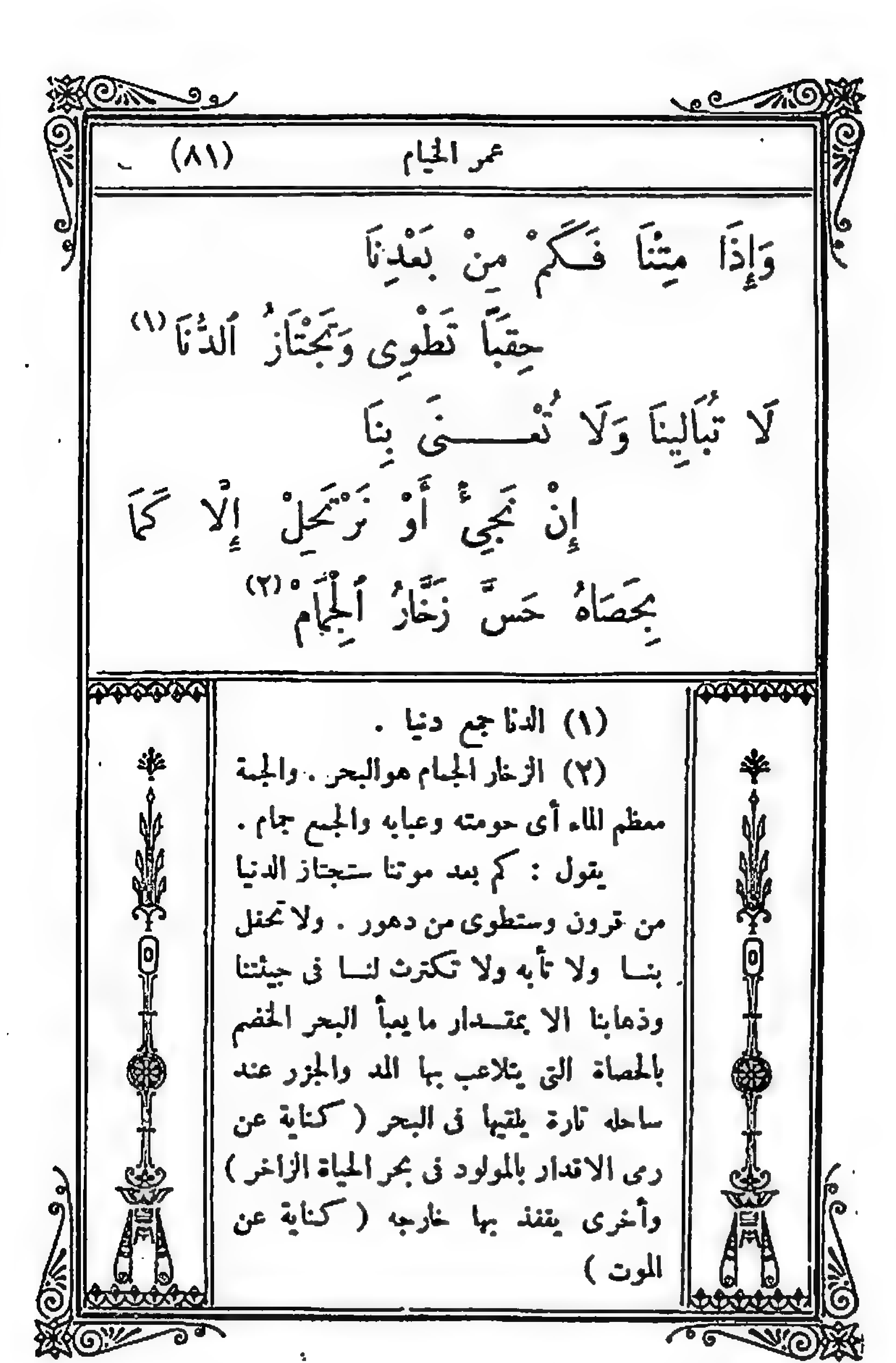


(١) الزؤام من الموت الكريه أو المجهز أى السريع يقال زأم الرجل يزأم زأما وزؤاما مات سريعاً . يقول اشرب الصهباء (وهى الخمر أو المعصورة من عنب أبيض وهو اسم لها كالعلم سميت به للونها الاصهب أى الاحمر أو الاشقر) فى نعيم الشباب ما دامت الدنيا . حتى اذا طلع عليك الموت وأدار عليك ساق المنون كأسه الكريهة فاشربها جلداً جريئاً غير هياب ولا جزع .



أَتُرَى إِنْ مِتَّ أَنَّ ٱلْعَالَمَا
يَفْقِدُ ٱلْفَذَّ ٱلْفَرِيدَ ٱلْعَلَمَا
أَمْ تُرَى ٱلْقَالَبَ أَمْسَى حُطِمَا
كَمْ حَبَابٍ مِثْلِنَا قَدْ سَجَمَا
وَأَرَاهُ سَاجِمًا، سَاقِي ٱلدَّوَامْ (١)

(١) الدوام هو الابد . وساقى الدوام كناية عن الاله الذى لا يزال يصب على أديم هذا العالم الأرضى من صحنه الأبدى فواقع وحبابا فصحنه الأبدى كناية عن خزانة الغيب المملوءة بالخلائق قبل ابرازها الى الدنيا . والفواقع والحباب المصبوبة من هذا الصحن أو هذه الخزانة هى النـاس . يقول : لا تحسبن موتك مصابا جللا على الدنيا فانها بخسارتها اياك لن تخسر شيئاً عظيما ولن تفقد الرجل الفرد الفذ النادر المثال . ولا تخالن ان القدرة الالهية التى صاغتك ستعجز بعدك عن صوغ مثلك كما لو كان قالبك قد تحطم ولا يمكن ايجاد قالب مثله .



وَإِذَا مِتْنَا فَكَمْ مِنْ بَعْدِنَا

حِقَبًا تَطْوِى وَتَجْتَازُ ٱلدُّنَا (١)

لَا تُبَالِينَا وَلَا تُعْنَى بِنَا

إِنْ نَجِئْ أَوْ نَرْتَحِلْ إِلَّا كَمَا

بِحَصَاهُ حَسَّ زَخَّارُ ٱلْجِمَامْ (٢)

(١) الدنا جمع دنيا .

(٢) الزخار الجمام هو البحر . والجمة معظم الماء أى حومته وعبابه والجمع جمام .

يقول : كم بعد موتنا ستجتاز الدنيا من قرون وستطوى من دهور . ولا تحفل بنا ولا تأبه ولا تكترث لنا فى جيئتنا وذهابنا الا بمقدار ما يعبأ البحر الخضم بالحصاة التى يتلاعب بها المد والجزر عند ساحله تارة يلقيها فى البحر (كناية عن رمى الاقدار بالمولود فى بحر الحياة الزاخر) وأخرى يقذف بها خارجه (كناية عن الموت)

قِفْ بِوَادِي ٱلْمَوْتِ[(١)] وَهْنًا[(٢)] نَحْتَسِ
مِنْ يَنَابِيعِ حَيَاةِ ٱلْأَنْفُسِ[(٣)]
قَدْ خَبَا مِصْبَاحُ نَجْمِ ٱلْحِنْدِسِ[(٤)]
وَسَرَى ٱلرَّكْبُ[(٥)] يَؤُمُّ ٱلْعَدَمَا
صَاحِ شَمِّرْ لِلنَّوَى ذَيْلَ ٱعْتِزَامْ

(١) المراد بوادى الموت الدنيا لأنها مكان الموت ودار الفناء .

(٢) الوهن نحو من نصف الليل أو بعد ساعة منه . وقال الاصمعى هو حين يدبر الليل وهو المراد ههنا .

(٣) وحياة الانفس هى هذه الحياة الدنيا .

(٤) والحندس الظلام .

(٥) والمراد بالركب بنو البشر أعنى ركب الانسانية الذى يهوى من ظلمات العدم الى هذه الحياة الدنيا فيلبث فيها برهة ثم يرحل عنها والجا ظلمات العدم ثانيا . والمراد : قف بهذه الحياة الدنيا قليلاً فاشرب ماء الحياة من ينابعه أى تمتع بالحياة وتنسم أنفاسها ثم شمر أذيالك للرحيل فان أهل جيلك قد هموا بالرحلة الى أفق العدم .

لَا تَضِقْ هَمًّا لِأَمْسٍ وَغَدِ
أَمْسُ أَوْدَى(١) وَغَدٌ لَمْ يُولَدِ
وَيْلَتَا إِنْ ضَاعَ يَوْمِي مِنْ يَدِي
عَاطِلًا مِنْ زِينَةِ اللَّهْوِ وَمَا
صَقَلَتْ أَطْرَافَهُ شَمْسُ الْمُدَامْ

(١) هلك وذهب . والمعنى لا تحزن على مافات . ولا تتلهف على ماهوآت . ولا توزع قلبك بين حسرة على فرصة أفلتتك بعد لجاج فى طلبها واعناق . واشفاقة على أمنية تخشى عليها بوادر الاخفاق . ولا تجعل فؤادك نهباً مقسما بين ماض لا تأمل رجوعه ولا ترتجيه . ومستقبل لا تعلم ما الله صانع فيه . وليكن همك محصوراً فى يومك الذى بين يديك . فهذا أنفع لك واجدى عليك فويل لك ان أفلت يومك منك ولم تستمتع به ولا حليته بمحاسن اللاذ والمناعم . ولا صقلت طرفيه بريق المدام . وبريق الجام .

تُنْفِقُ ٱلعُمْرَ ٱلقَصِيرَ ٱلمُزْهَقَا (١)

فِى ٱجْتِلَاءِ ٱلسِّرِ جَهْلاً مُطْبِقَا (٢)

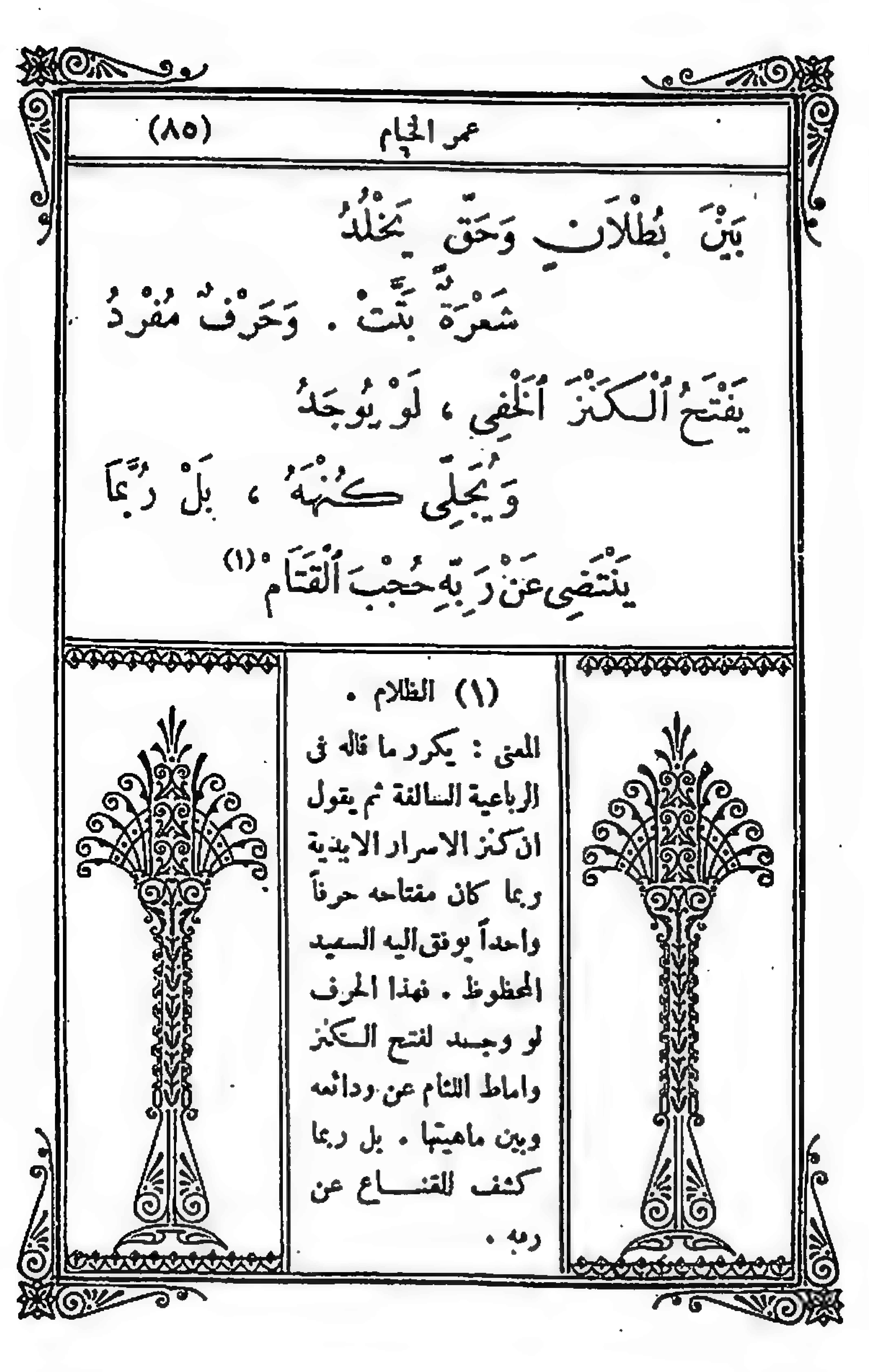
أَتُرَى عُمْرَ ٱلفَتَى قَدْ عُلِقَا

بِسِوَى خَيْطٍ ؟ وَمَاذَا حَسْمَا

غَيْرُ خَيْطٍ بَيْنَ نُورٍ وَظَلَامْ (٣)

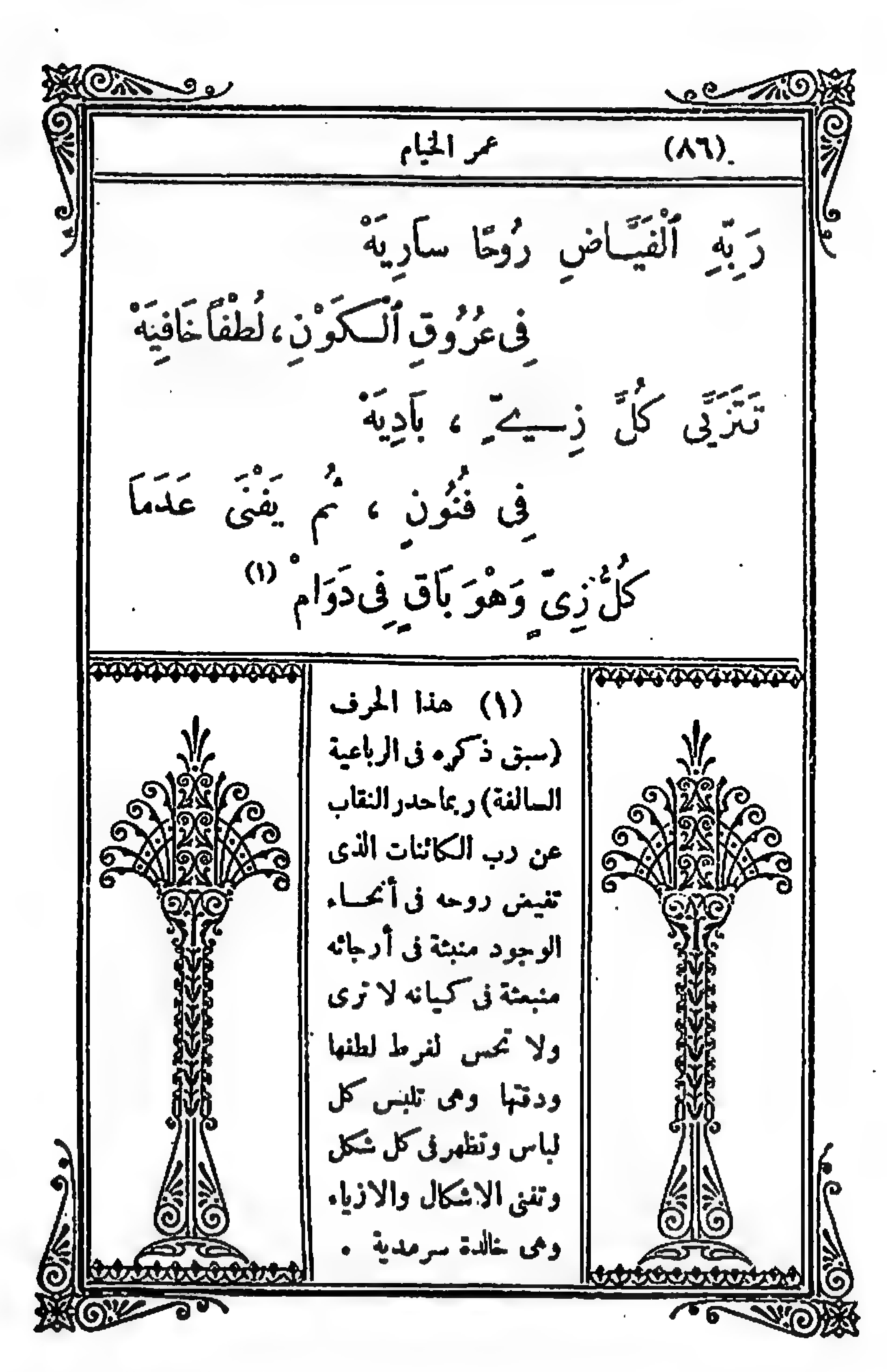
(١) الذاهب (٢) سرّ عالم الغيب (٣) النور كناية عن العلم والظلام كناية عن الجهل . المعنى : يقول « أتحاول حمقاً وسفها أن تستكشف سرّ الغيب — فاذا أعطيت من العمر وطول المكث فى هذه الحياة حتى توهمت ان فى قدرتك محاولة هذا الامر الذى قد يستنفد الازمان المديدة بلا جدوى فكيف بعمرك القصير الناصل المعلق على خيط أى على أهون سبب وأقل حادث يفنيه أيسر طارىء . ثم استطرد من ذلك الى مايشبهه من تعلق ظهور الحق واختفاء الباطل على خيط أيضاً أى على أقل فكرة أوخاطرة تسنح لذهن الانسان فتكون الحاسم بين ما انقشع بفضل هذا الوحى والالهام من ظلمات الجهل وما يخلفه من نور العلم والعرفان . ولا بدع فان معظم النظريات العلمية التى قلبت نظام العالم وغيرت شكله كانت من قبيل الوحى والالهام الذى يخيل للانسان كأنه كان معلقاً على شعرة .

بَيْنَ بُطْلَانٍ وَحَقٍّ يَخْلُدُ
شَعْرَةٌ بَتَّتْ . وَحَرْفٌ مُفْرَدُ
يَفْتَحُ الْكَنْزَ الْخَفِي ، لَوْ يُوجَدُ
وَيُجَلِّي كُنْهَهُ ، بَلْ رُبَّمَا
يَنْتَضِي عَنْ رَبِّهِ حُجْبَ الْقَتَامْ (١)



(١) الظلام .

المعنى : يكرر ما قاله فى الرباعية السالفة ثم يقول ان كنز الاسرار الايدية ربما كان مفتاحه حرفاً واحداً يوفق اليه السعيد المحظوظ . فهذا الحرف لو وجد لفتح الكنز واماط اللثام عن ودائعه وبين ماهيتها . بل ربما كشف القناع عن ربه .



رَبّهِ ٱلْفَيّاضِ رُوحًا سارِيَهْ

فِي عُرُوقِ ٱلْكَوْنِ، لُطْفًا خافِيَهْ

تَتَزَيّى كُلَّ زِيٍّ، بادِيَهْ

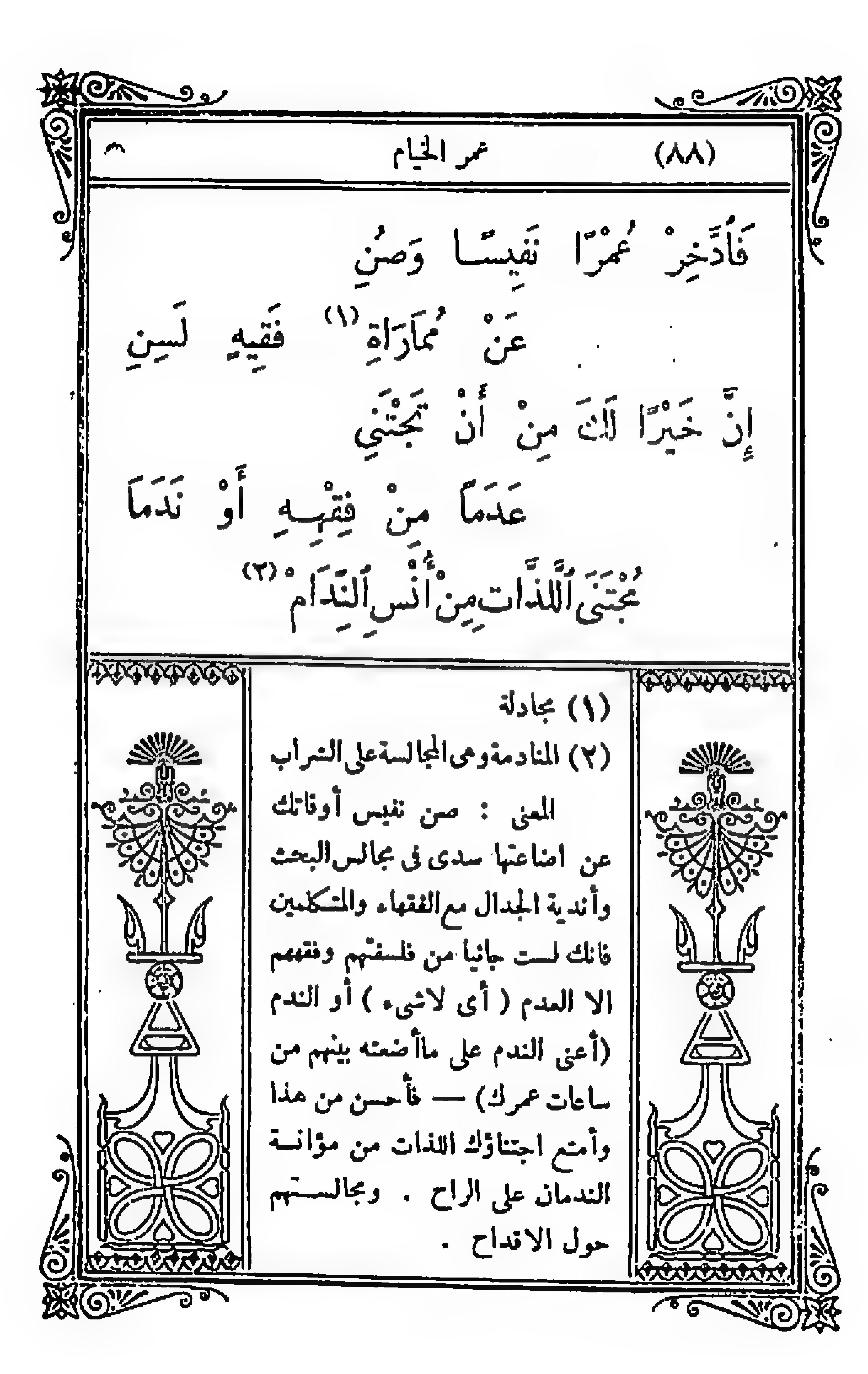
فِي فُنُونٍ، ثُمَّ يَفْنَى عَدَمَا

كُلُّ زِيٍّ وَهْوَ بَاقٍ فِي دَوامْ (١)

(١) هذا الحرف (سبق ذكره فى الرباعية السالفة) ربما حدر النقاب عن رب الكائنات الذى تفيض روحه فى أنحاء الوجود منبثة فى أرجائه منبعثة فى كيانه لا ترى ولا تحس لفرط لطفها ودقتها وهى تلبس كل لباس وتظهر فى كل شكل وتفنى الاشكال والازياء وهى خالدة سرمدية .

يَشْهَدُ ٱلْمَلْهَاةَ حَيٌّ رُبَّمَا
كُلَّ ظَنٍّ فِي عَوِيصٍ أَبْهَمَا
ثُمَّ يَطْوِيهَا بِغَيْبٍ أَظْلَمَا
رَبُّهَا ، نَظَّارُهَا ، مَنْ نَظَمَا
عِقْدَهَا ، لَعَّابُ أَدْوَارِ ٱلنِّظَامْ (١)

(١) المعنى : يقول ان ملهاة الحياة أى مهزلتها أو روايتها الهزلية تمثل بمرأى من البشر فيشهدها كل حيّ لايبرح من تفهمها وتعرف معمياتها ومشكلاتها فى نصب ناصب وبرح مبرح . ثم تطوى عن بصره الملهاة أى الرواية (وهذا كناية عن موته هو — لان الرواية باقية سرمدية وتمثيلها مستمر يشغل الابد الدائم) ومن ذا الذى يطوى الرواية وراء ظلمة الغيب ؟ يطويها ربها الذى لايزال يشهد تمثيلها وهو الذى نظم عقدها أى ألفها ووضعها وهو أيضاً الذى يلعب أدوارها أعنى انه هو فى آن واحد المؤلف والممثل والمتفرج



فَادَّخِرْ عُمْرًا نَفِيسًا وَصُنِ
عَنْ مُمَارَاةِ[١] فَقِيهٍ لَسِنِ
إِنَّ خَيْرًا لَكَ مِنْ أَنْ تَجْتَنِي
عَدَمًا مِنْ فِقْهِهِ أَوْ نَدَمَا
مُجْتَنَى اللَّذَّاتِ مِنْ أُنْسِ النِّدَامِ[٢]

(١) مجادلة

(٢) المنادمة وهى المجالسة على الشراب

المعنى : صن نفيس أوقاتك عن اضاعتها سدى فى مجالس البحث وأندية الجدال مع الفقهاء والمتكلمين فانك لست جانيا من فلسفتهم وفقههم الا العدم (أى لاشيء) أو الندم (أعنى الندم على ماأضعته بينهم من ساعات عمرك) — فأحسن من هذا وأمتع اجتناؤك اللذات من مؤانسة الندمان على الراح . ومجالستهم حول الاقداح .

قُلْ لِمَنْ يهْوَى بِمَيْدَانِ ٱلْجَدَلْ

أَنْ يُضِلَّ ٱلْعقْلَ فِى لُغْزِ ٱلْأَجَلْ

حَبَّذَا لَوْ فِى تَلَافِيفِ [١] ٱلْخُصَلْ [٢]

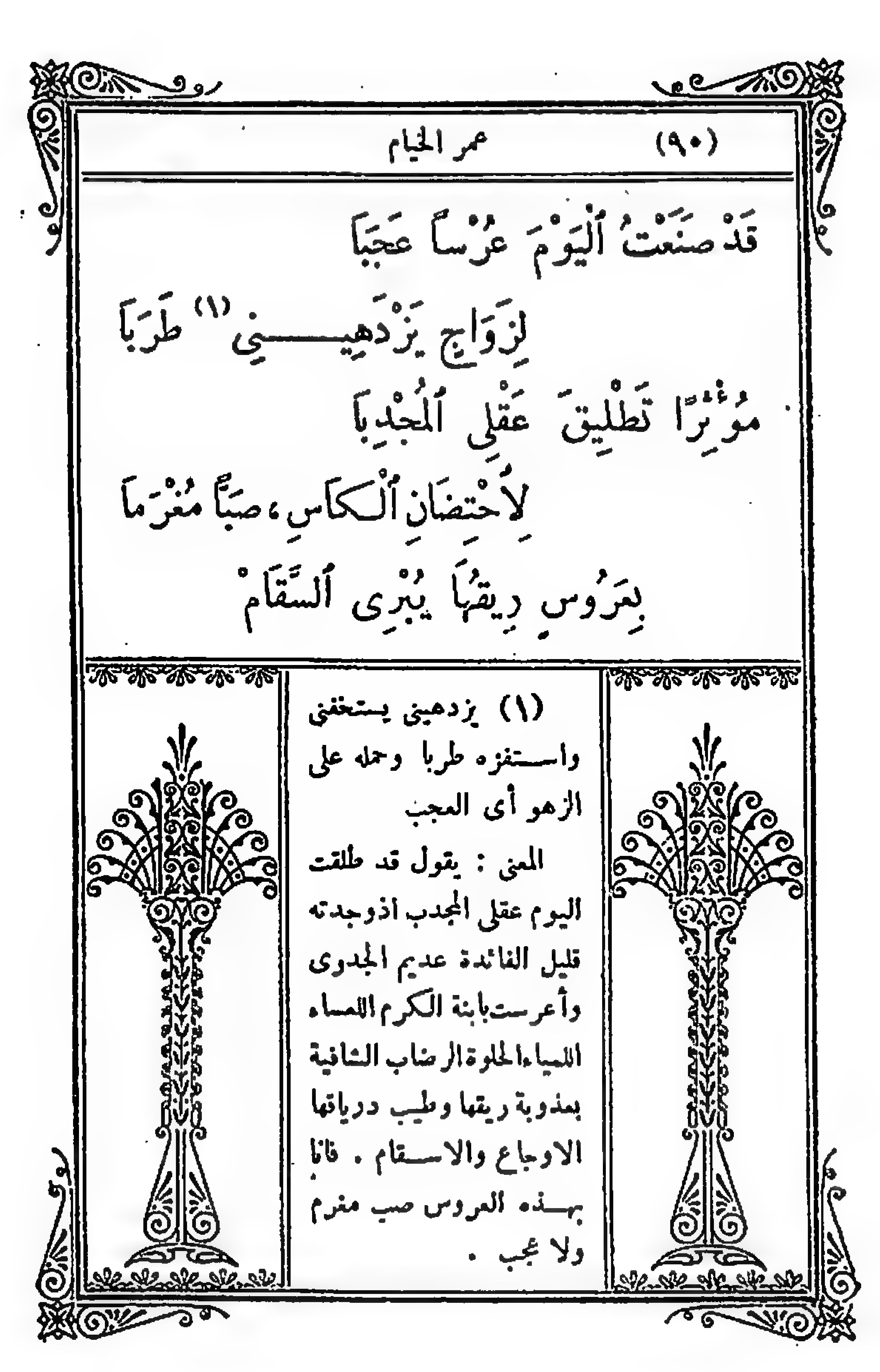
ضَلَّ كَفَّاكَ بِتِيهٍ أَظْلَمَا

مِنْ دَيَاجِى فَرْعِ هَيْفَاءَ ٱلْقَوَامْ

(١) التلافيف النبات الملتف . يقال فى أرضهم تلافيف من عشب

(٢) والخصلة من الشعر الذؤابة وتلافيف الخصل الشعر المجعد الجثل الذى كأنه النبات الملتف .

المعنى : قل للذى يحب اضلال عقله مع طائفة الجدليين فى مسائل الموت والقيامة والفناء والخلود وماشاكل ذلك من الالغاز والمعميات — خير لك أن تضل كفيك فى ألغاز أحلى وأتياه أشهى من هذه . أعنى فى ظلمات الذوائب المنسدلة من فروع الخرد الغيد . الهيف القدود .



قَدْ صَنَعْتُ ٱلْيَوْمَ عُرْساً عَجَبَا

لِزَوَاجٍ يَزْدَهِينِي[1] طَرَبَا

مُؤْثِرًا تَطْلِيقَ عَقْلِي ٱلْمُجْدِبَا

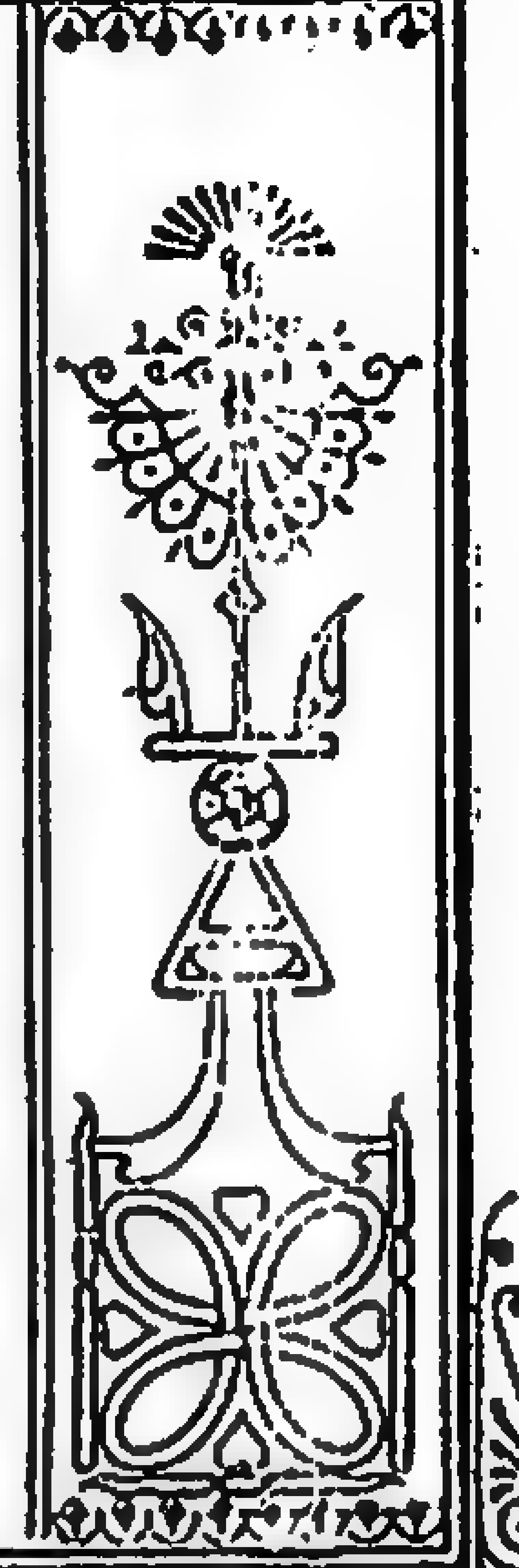
لِٱحْتِضَانِ ٱلْكَاسِ، صَبًّا مُغْرَمَا

بِعَرُوسٍ رِيقُهَا يُبْرِي ٱلسَّقَامْ

(١) يزدهيني يستخفني واستفزه طربا وحمله على الزهو أي العجب

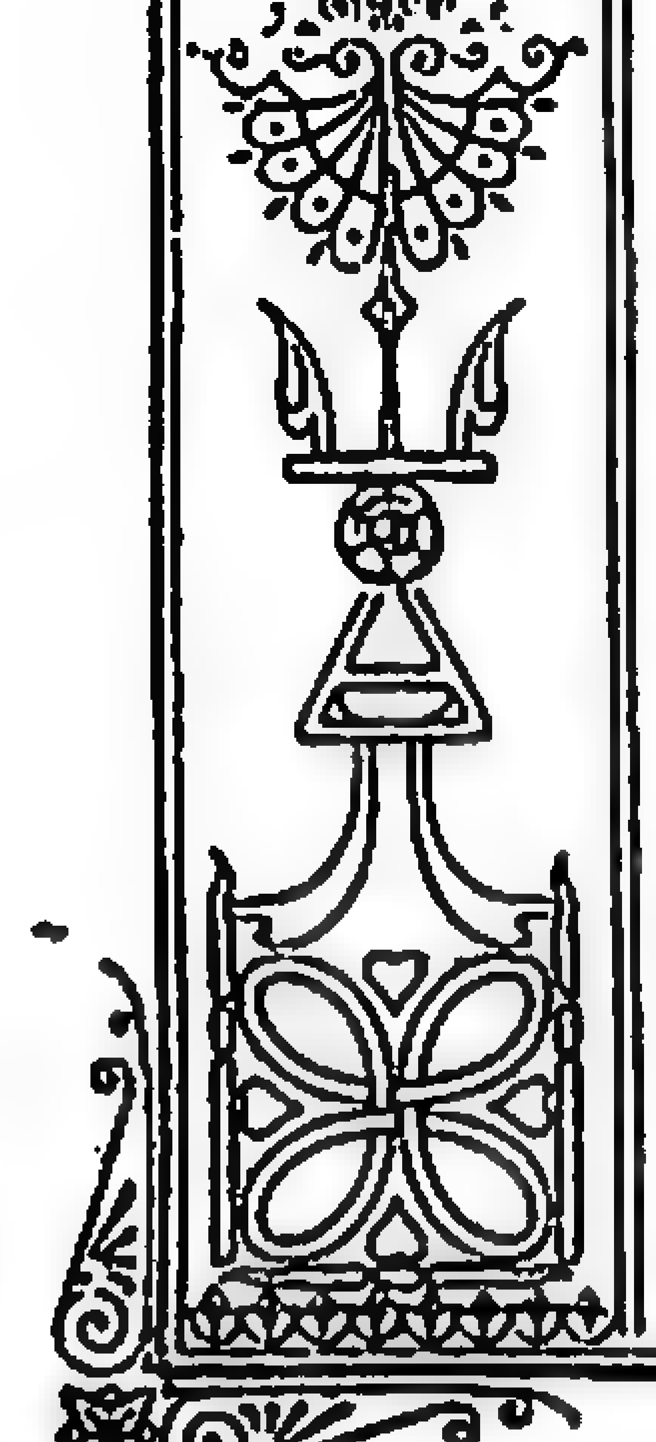
المعنى : يقول قد طلقت اليوم عقلي المجدب اذ وجدته قليل الفائدة عديم الجدوى وأعرست بابنة الكرم اللمساء اللمياء الحلوة الرضاب الشافية بعذوبة ريقها وطيب درياقها الاوجاع والاسقام . فانا بهذه العروس صب مغرم ولا عجب .

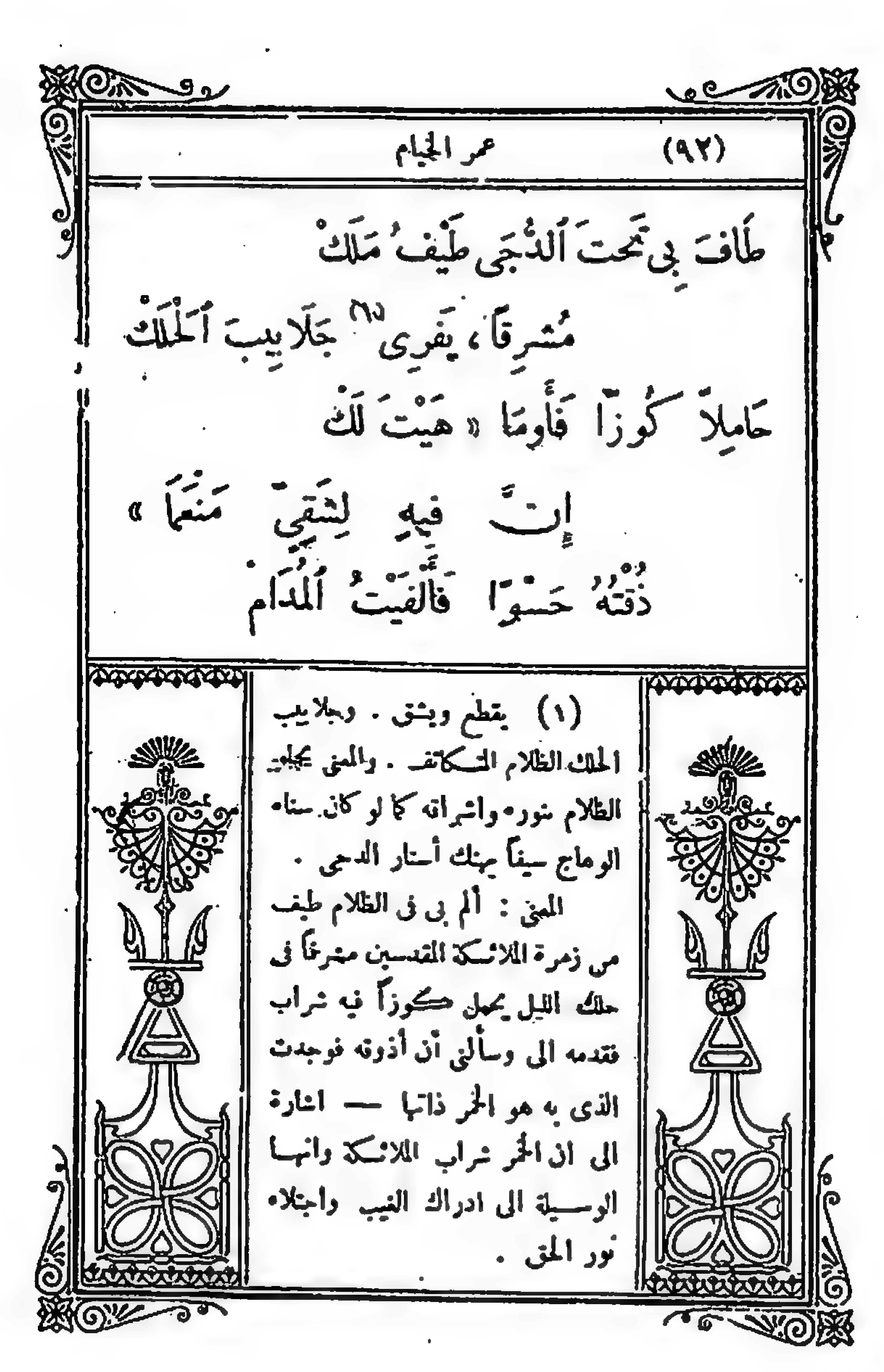
أنا مهما رمتُ تكييفَ[1] الأبدْ
والفنا ، حمقاً ، بوزنٍ أو بعدْ
أو نعتُ الروحَ بتعريفٍ وحدْ
لم أنلْ أعماقَ شيْء غيرَ ما
خضتُ من أعماقِ إبريقٍ وجامْ



(١) كيف الشيء تكييف اصطلاح عند المتكلمين بمعنى جعل له كيفية فصارت له . أي جعل له صورة معينة محدودة

المعنى : انى مهما حاولت تفسير معنى البقاء والفناء حمقاً منى وجهلا بواسطة الاعداد والموازين (يريد بذلك الآلات المستعملة فى تجارب الرياضيين والكيميائيين) ومهما حاولت وصف الروح وتعريفه فلا أزال فى علمى وبحثى جاهلا سطحياً لم أتناول غير القشور والاغلفة ولم أتعمق فى شيء ما الا فى أكواب المدام .

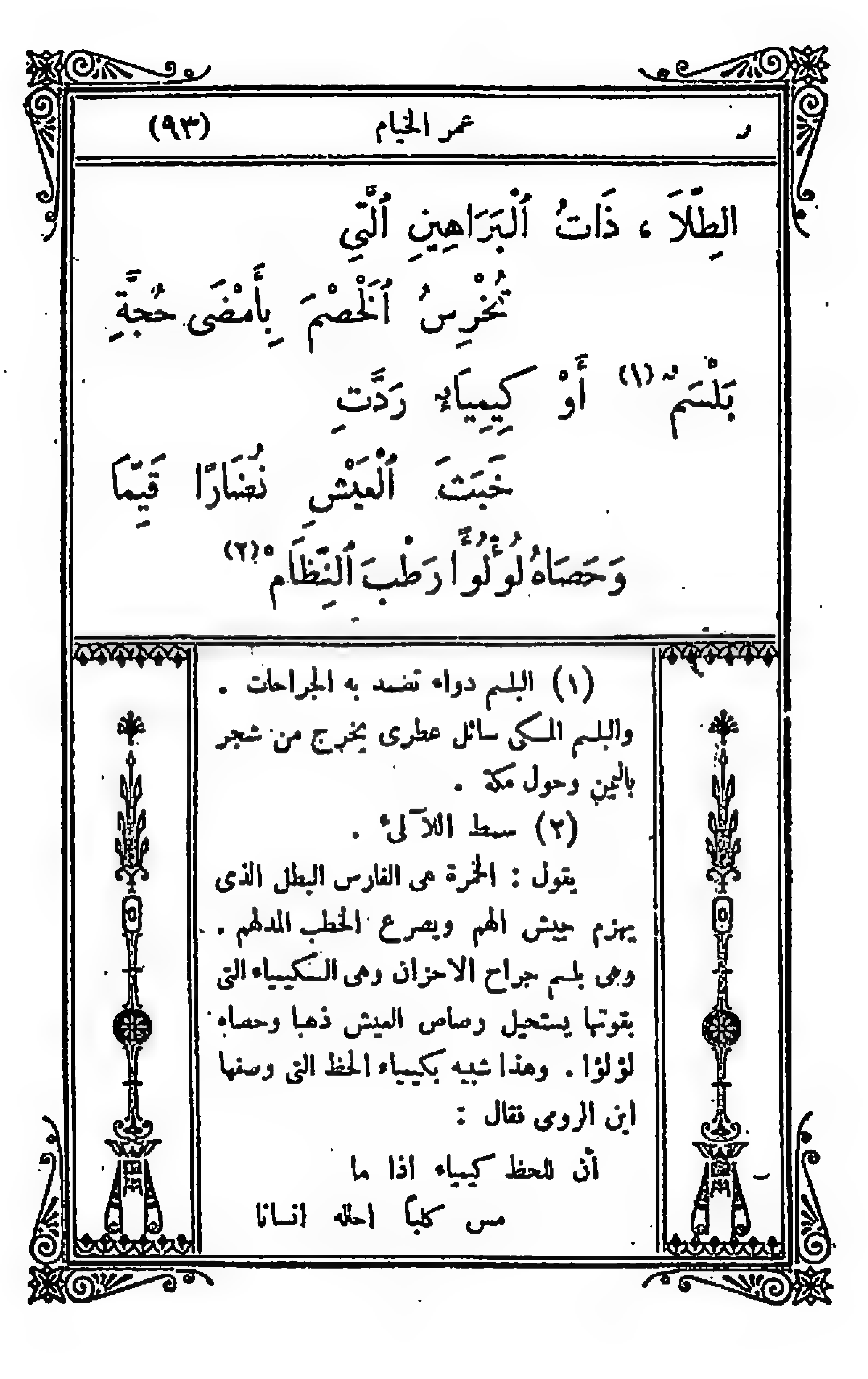




طَافَ بِي تَحتَ ٱلدُّجَى طَيفُ مَلَكْ
مُشرِقًا، يَفرِي(١) جَلَابِيبَ ٱلحَلَكْ
حَامِلاً كُوزًا فَأَومَا «هَيتَ لَكْ
إنَّ فِيهِ لِشَقِيٍّ مَنعَمًا»
ذُقتُهُ حَسْوًا فَأَلفَيتُ ٱلمُدَامْ

(١) يقطع ويشق . وجلابيب الحلك الظلام المتكاثف . والمعنى يجلو الظلام بنوره واشراقه كما لو كان سناه الوهاج سيفاً يهتك أستار الدجى .

المعنى : ألم بي في الظلام طيف من زمرة الملائكة المقدسين مشرقاً في حلك الليل يحمل كوزاً فيه شراب فقدمه الى وسألني أن أذوقه فوجدت الذى به هو الخمر ذاتها — اشارة الى ان الخمر شراب الملائكة وانها الوسيلة الى ادراك الغيب واجتلاء نور الحق .



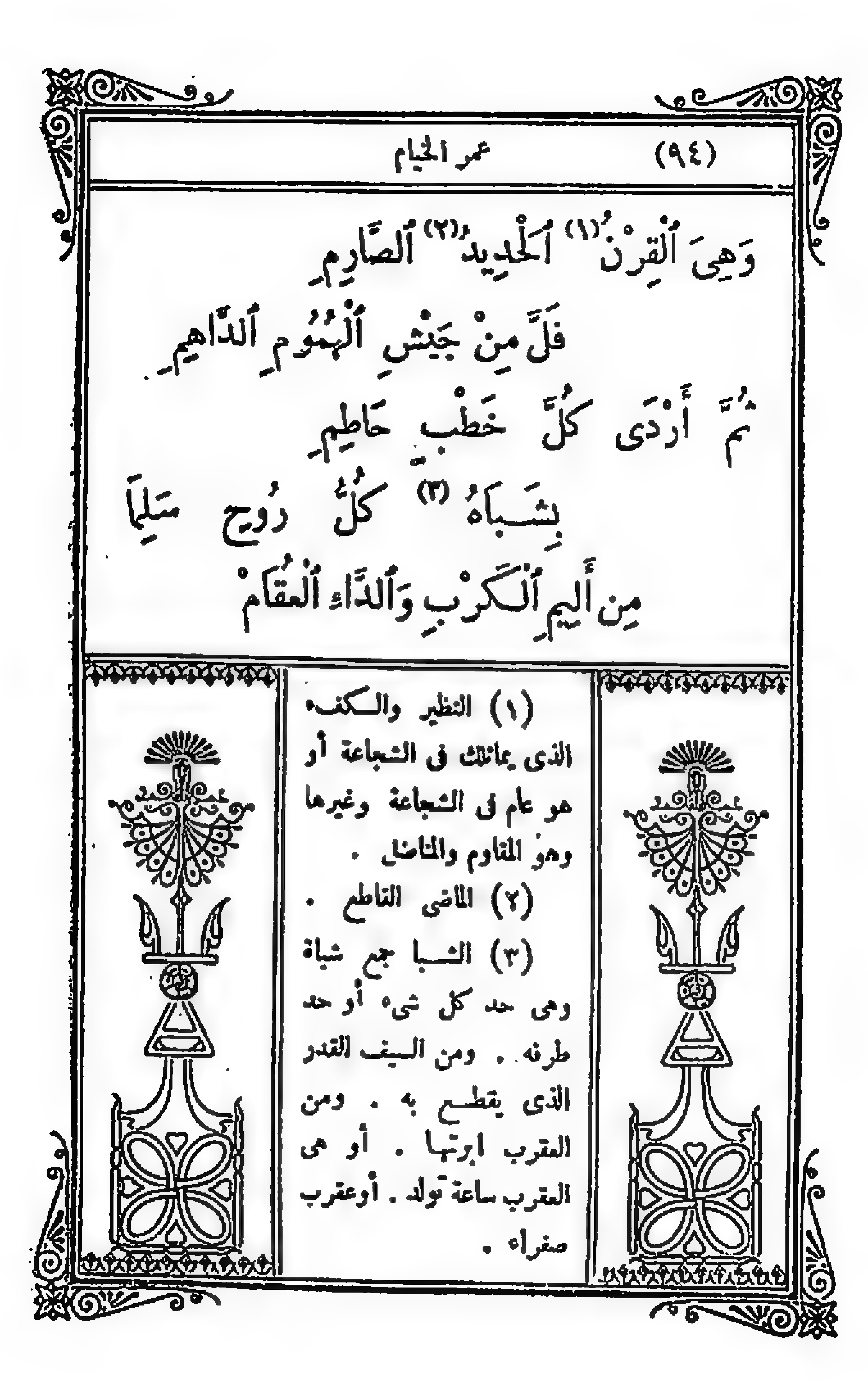
الطِّلاءِ ، ذاتُ ٱلبَرَاهِينِ ٱلَّتِي
تُخرِسُ ٱلخَصْمَ بِأَمْضَى حُجَّةِ
بَلْسَمٌ(١) أَوْ كِيمِياءٌ رَدَّتِ
خَبَثَ ٱلعَيْشِ نُضَارًا قَيِّمَا
وَحَصَاهُ لُؤْلُؤًا رَطْبَ ٱلنِّظَامِ(٢)

(١) البلسم دواء تضمد به الجراحات . والبلسم المكى سائل عطرى يخرج من شجر باليمن وحول مكة .

(٢) سمط اللآلئ .

يقول : الخمرة هى الفارس البطل الذى يهزم جيش الهم ويصرع الخطب المدلهم . وهى بلسم جراح الاحزان وهى الكيمياء التى بقوتها يستحيل رصاص العيش ذهبا وحصاه لؤلؤا . وهذا شبيه بكيمياء الحظ التى وصفها ابن الرومى فقال :

أن للحظ كيمياء اذا ما
مس كلبا احاله انسانا



وَهِيَ ٱلْقِرْنُ(١) ٱلْحَدِيدُ(٢) ٱلصَّارِمِ

فَلَّ مِنْ جَيْشِ ٱلْهُمُومِ ٱلدَّاهِمِ

ثُمَّ أَرْدَى كُلَّ خَطْبٍ حَاطِمِ

بِشَبَاهُ(٣) كُلُّ رُوحٍ سَلِمَا

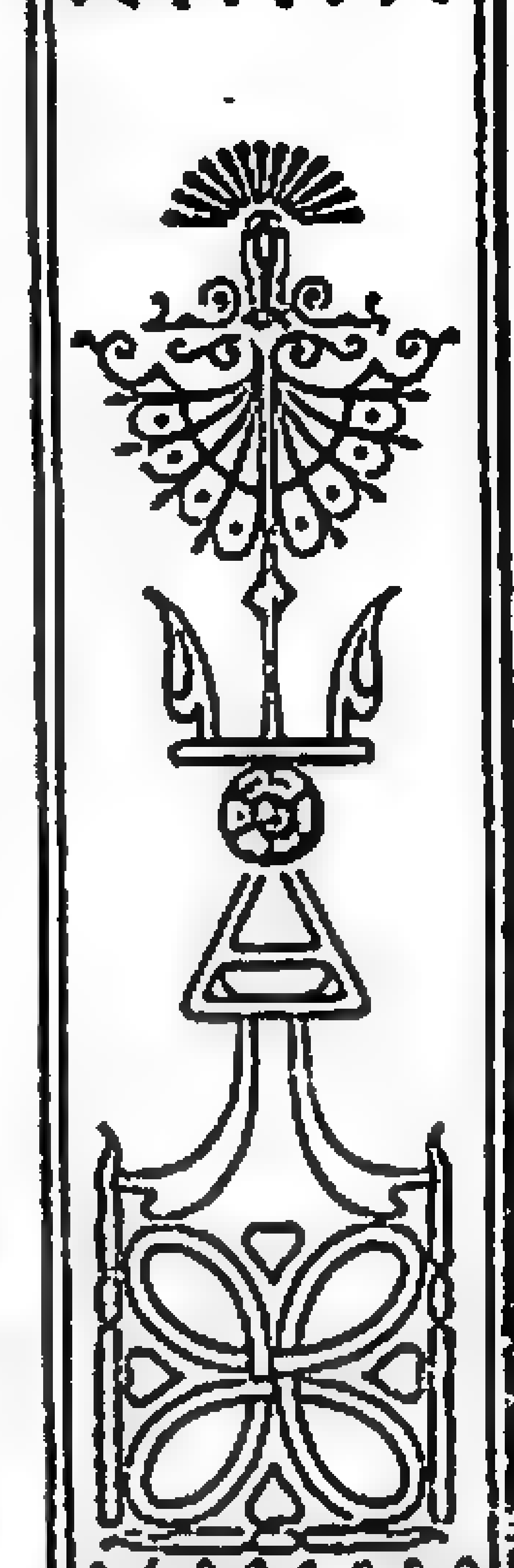
مِنْ أَلِيمِ ٱلْكَرْبِ وَٱلدَّاءِ ٱلْعُقَامْ

(١) النظير والكفء الذى يماثلك فى الشجاعة أو هو عام فى الشجاعة وغيرها وهو المقاوم والمناضل .

(٢) الماضى القاطع .

(٣) الشبا جمع شباة وهى حد كل شىء أو حد طرفه . ومن السيف القدر الذى يقطع به . ومن العقرب ابرتها . أو هى العقرب ساعة تولد . أوعقرب صفراء .

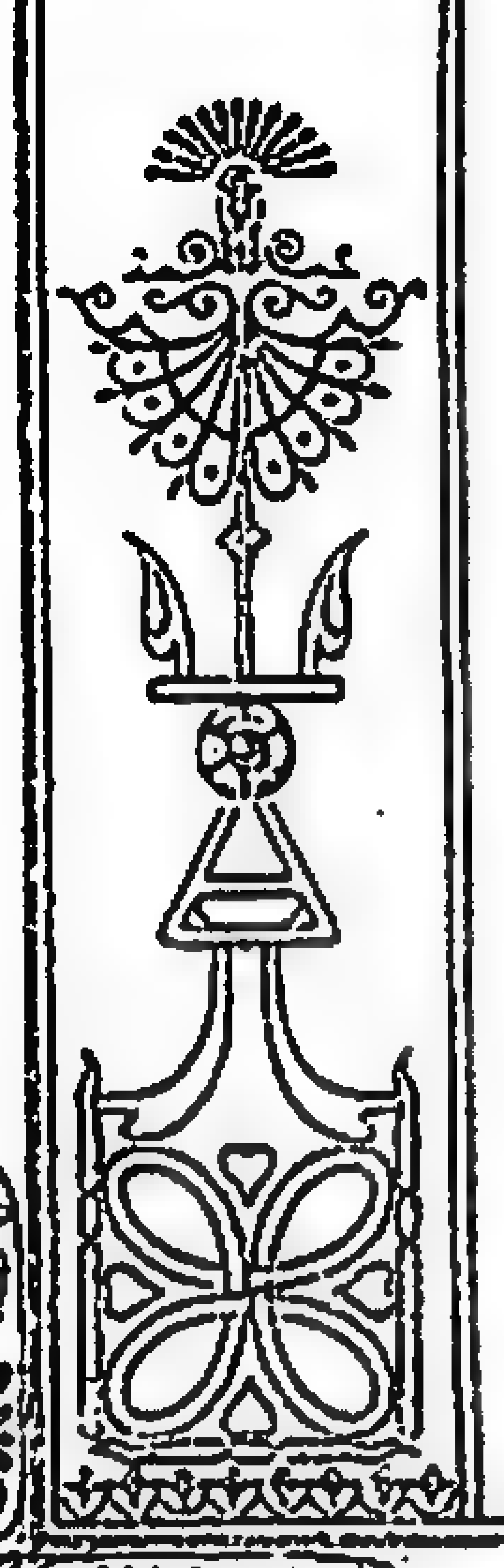
مَنْ عَذِيرِى مِنْ عَذُولٍ قَدْ نَهَاكَا
عَنْ شِبَاكِ[1] ٱلْكَرْمِ يَدْعُوهَا شِبَاكَا[2]
إِنَّمَا ٱلْكَرْمُ بَرَاهَا مَنْ بَرَاكَا
نِعْمَةً جُلَّى ، وَإِلَّا فَلِمَا
خَلَقَ ٱلْعُنْقُودَ خَلَّاقُ ٱلْأَنَامْ

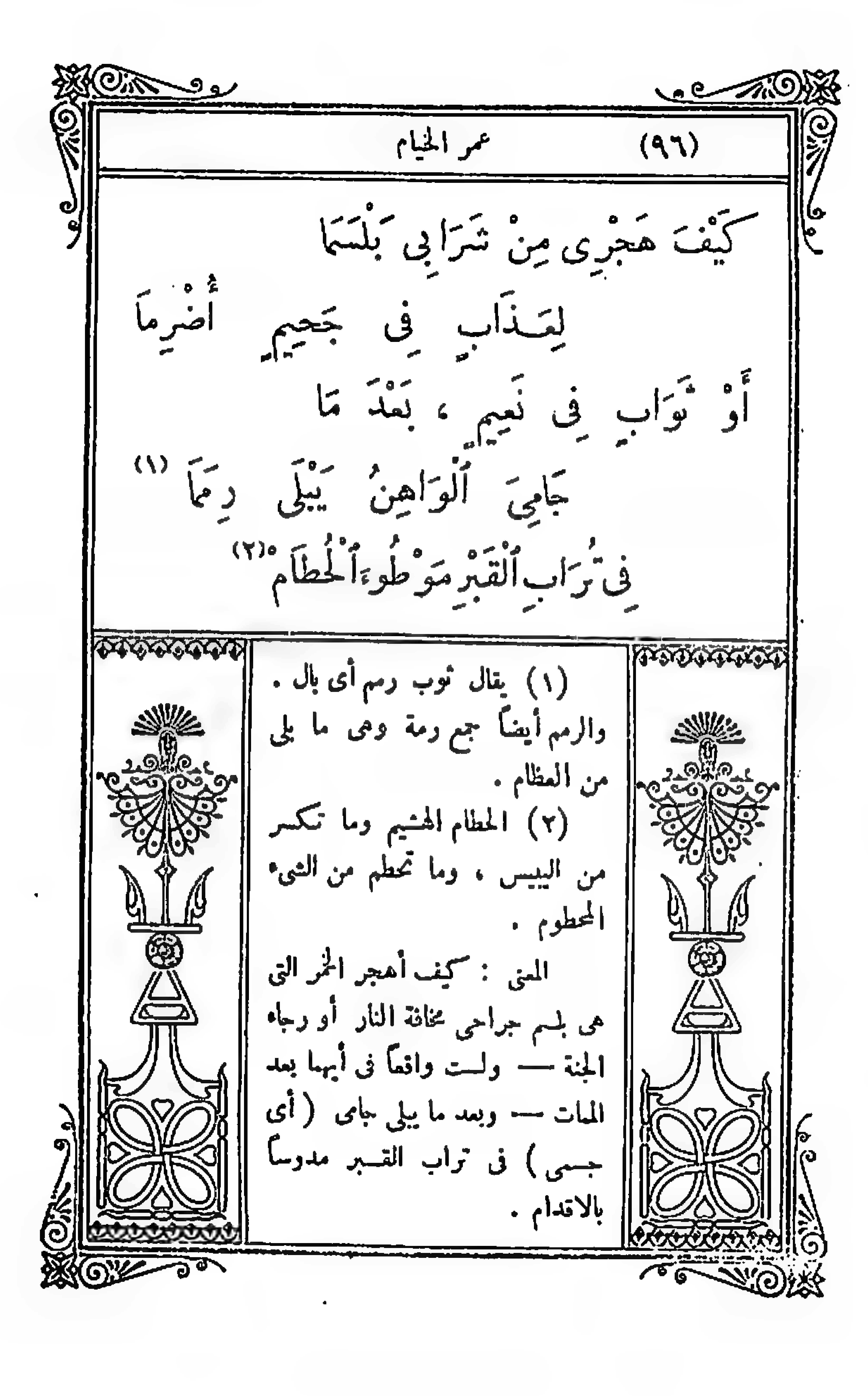


(١) المراد بشباك الكرم عروشه التى ينمو عليها ويتعلق بها وذلك انها مثل الشباك (جمع شبكة) لما يشبك فيها من أعواد الخشب

(٢) الشباك جمع شبكة وهى شركة الصياد فى الماء والبر .

المعنى : من مجيرى من العاذل فى الخمر الذى يسمى عروشها المشتبكة شباكا للآثام والمعاصى واشراكا للخبائث والرذائل ألا فقل لمثل هذا العاذل لا تطعن على الخمر فان خالقها هو الذى خلقك .



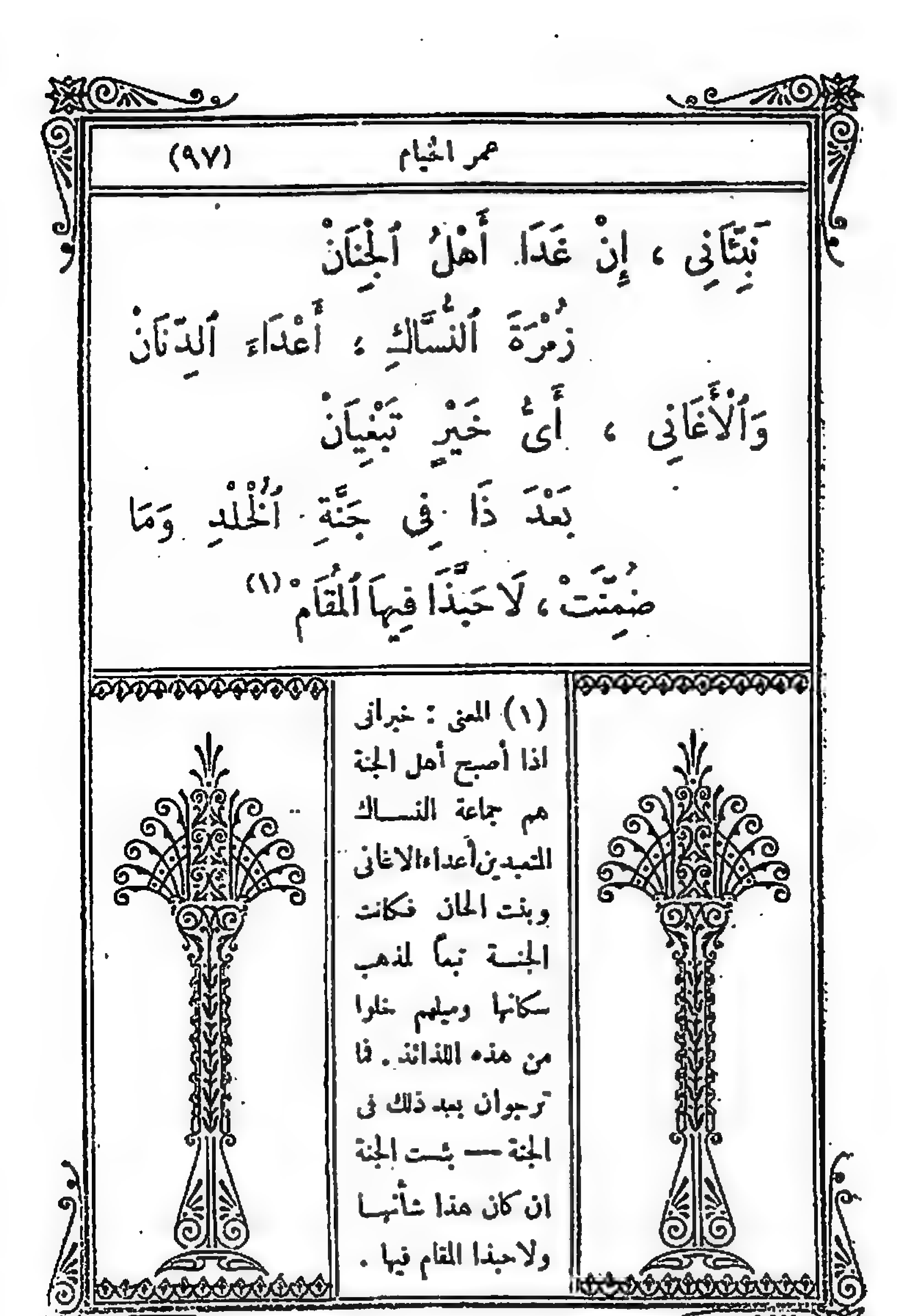


كَيْفَ هَجْرِي مِنْ شَرَابِي بَلْسَمَا
لِعَذَابٍ فِي جَحِيمٍ أُضْرِمَا
أَوْ ثَوَابٍ فِي نَعِيمٍ ، بَعْدَ مَا
جَامِيَ ٱلْوَاهِنُ يَبْلَى رِمَمَا (١)
فِي تُرَابِ ٱلْقَبْرِ مَوْطُوءَ ٱلْحُطَامِ (٢)

(١) يقال ثوب رمم أى بال . والرمم أيضاً جمع رمة وهى ما بلى من العظام .

(٢) الحطام الهشيم وما تكسر من اليبس ، وما تحطم من الشىء المحطوم .

المعنى : كيف أهجر الخمر التى هى بلسم جراحى مخافة النار أو رجاء الجنة — ولست واثقاً فى أيهما بعد الممات — وبعد ما يبلى جامى (أى جسمى) فى تراب القبر مدوساً بالاقدام .



نَبِّئَانِى ، إِنْ غدَا أَهْلُ الْجِنَانْ
زُمْرَةَ النُسَّاكِ ، أَعْدَاءَ الدِّنَانْ
وَالأَغَانِى ، أَىُّ خَيْرٍ تَبْغِيَانْ
بَعْدَ ذَا فِى جَنَّةِ الْخُلْدِ وَمَا
ضُمِّنَتْ ، لَا حَبَّذَا فِيهَا الْمُقَامْ (١)

(١) المعنى : خبرانى اذا أصبح أهل الجنة هم جماعة النساك المتعبدين أعداء الاغانى وبنت الحان فكانت الجنة تبعاً لمذهب سكانها وميلهم خلوا من هذه اللذائذ . فما ترجوان بعد ذلك فى الجنة — بئست الجنة ان كان هذا شأنها ولا حبذا المقام فيها .



هَالَنِي أَنْ لَا أَرَى مِمَّنْ عَرَا (١)

مَنْهَجَ الْمَوْتِ الْمَخُوفِ الْمُنْكَرَا

عَائِدًا يَرْوِي لَنَا مَا أَبْصَرَا

فِي طَرِيقٍ مُظْلِمٍ لَنْ يَعْلَمَا

مَا حَوَاهُ غَيْرُ وَرَّادِ (٢) الْحِمَامْ

(١) عراه يعروه ويعريه غشيه .

(٢) الوراد صيغة مبالغة من وارد وهو الذي يرد الماء لينهل منه . وراد الحمام هو الذي يرد منهل الموت الذي لا يصدر عنه صادر . قالت الخنساء ترثي صخراً :

ياصخر وراد ماء قد تناذره
أهل المياه وما في ورده عار

عَجَبًا لِلرُّوحِ ! - إِنْ كَانَ يُطِيقْ
نَضْوَ سِرْبَالٍ(١) مِنَ الطِّينِ صَفِيقْ
وَسُمُوًّا لِمَدَى النَّجْمِ السَّحِيقْ
مَا لَهُ ، تَبًّا لَهُ ، قَدْ لَزِمَا
سِجْنَهُ السُّفْلِيَّ(٢) ، مَذْمُومَ اللِّزَامْ .

(١) المراد بسربال من الطين هنا جسم الانسان الذى كأنه ثوب ترتديه الروح وتشتمل به (٢) والمراد بسجنه السفلى أيضاً هذا الجسم . فانه للروح كالسجن يحبسها ويمنعها حرية الانطلاق فى ملكوت السموات حيث تلابس الملائكة وأهل العوالم العلوية وحيث تتجلى لها ذات الحق المقدسة . ومكان هذه العوالم العلوية هو كما يزعم بعض علماء الكلام هو فى عالم الافلاك — ومن ثم قال عمر الخيام فى هذه الرباعية « سموا لمدى النجم السحيق » يقصد بذلك الملكوت الاعلى حيث النعيم السرمدى ومقام الارواح الطاهرة المقدسة .

المعنى : يقول اذا كان فى استطاعة الروح أن يتخلص من هذا الجسد الخبيث الدنس ويخلع هذا السربال المصنوع من الطين أى الحمأ المسنون وكان فى استطاعته أيضاً أن يسمو الى مدى النجوم السحيقة حيث ملكوت الله الاعلى ومقام أرواح الابرار فى نعيم الخلد — اذا كان الروح يستطيع كل ذلك فماله — تبا له وسحقا — قد لزم هذا

السجن السفلى . أى هذا الجسد السفلى الخبيث الجوهر الكثير الكدر
الخيام فى هذا يجرى على مذهب العديدين من فلاسفة العصور الوسطى والقديمة . قال ارسطاطاليس فى كتاب الثالوجيائية الرمزانى « ربما خلوت بنفسى وخلعت بدنى وصرت كأنى جوهر مجرد بلا بدن فأكون داخلا فى ذاتى خارجا عن جميع الاشياء فأرى فى ذاتى من الحسن والبهاء ما أبقى له متعجباً مبهوتا فأعلم انى جزء من أجزاء العالم الاعلى الشريف الفاضل » .

وقال فيثاغورس فى الوصية الذهبية : « اذا فعلت ما قلت لك يا ديوجانس وفارقت هذا البدن أصبحت سابحاً فى عوالم الفلك غير عائد الى الانسانية ولا قابلا للموت » .

ويحكى فى الحكمة القديمة انه من قدر على خلع جسده ورفض حواسه وتسكين وساوسه وصعد الى الفلك جوزى هناك بأحسن الجزاء . ويقال ان بطليموس كان يعشق علم النجوم وجعل الهندسة سلماً صعد به الى الفلك فمسح الافلاك وأبعادها والكواكب وأحجامها ثم دونه فى المجسطى . وانما كان ذلك الصعود بالنفس لا بالجسد

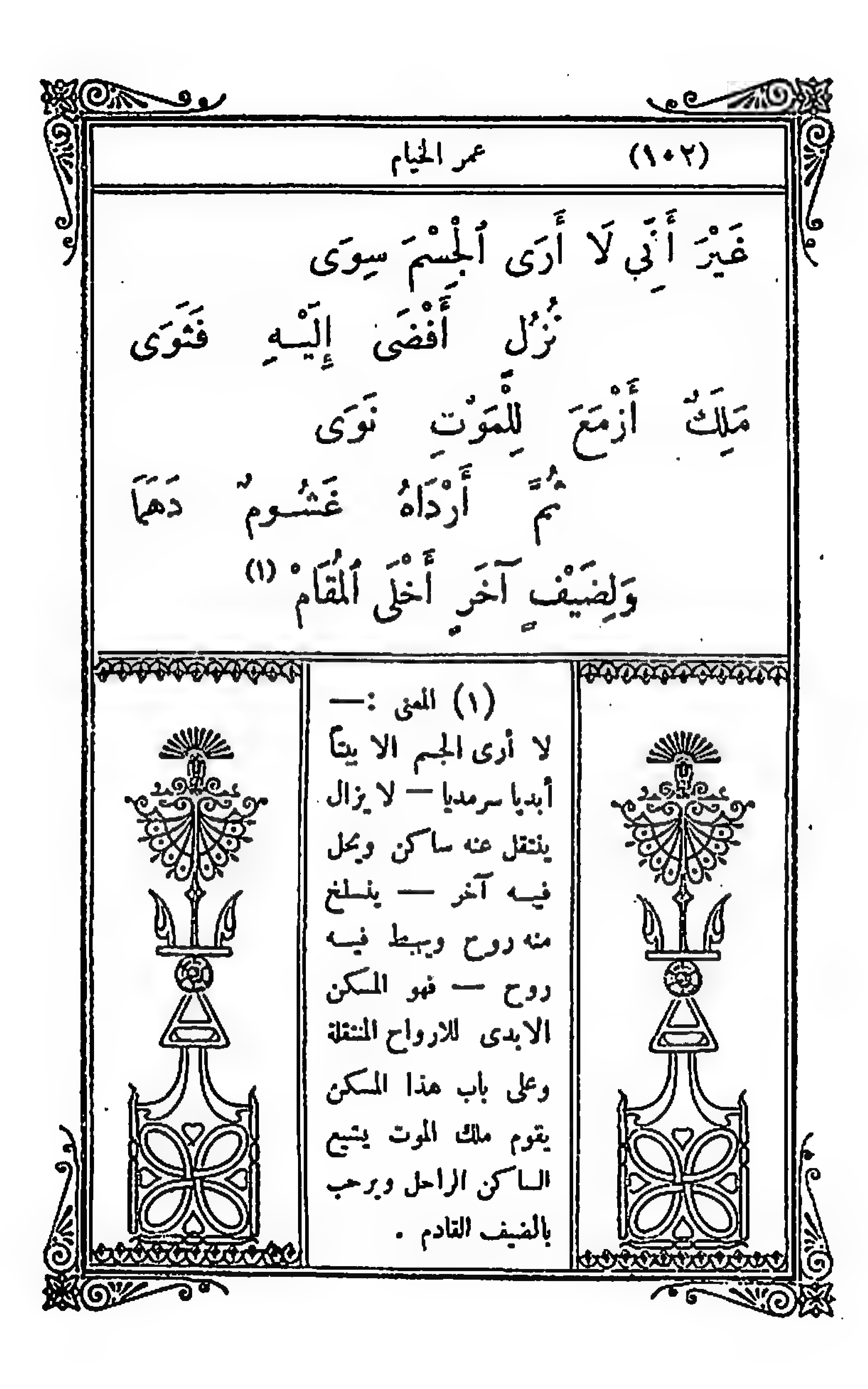
ويحكى عن هرمس (وهو فيما يزعم ادريس النبى) انه صعد الى فلك زحل ودار معه ثلاثين سنة حتى شاهد جميع أحوال الفلك ثم نزل الى الارض فخبر الناس بعلم النجوم — قال الله تعالى : ورفعناه مكانا عليا .

وقال المسيح عليه السلام للحواريين فى وصية له : اذا فارقت هذا الهيكل فأنا واقف عن يمنة عرش ربى وأنا معكم حيثما ذهبتم فلا تخالفونى حتى تكونوا معى فى عالم السماء غدا .

ومن مأثور قول الحكماء ان العاقل الفهم اذا نظر فى علم النجوم وفكر فى سعة هذه الافلاك وعظم هذه الكواكب وعجيب حركاتها وغريب صفاتها اشتاقت نفسه الصعود الى الفلك والنظر الى محتوياته معاينة ولكن ذلك لا يمكنه ما دامت الروح متعلقة بهذا البدن الكثيف مثقلة بادرانه ودناساته فاذا فارقته — وكانت نزيهة طاهرة نقية صعدت الى الفلك فى طرفة عين لايحول دونها زمان ولا مكان — لان كونها حيث تكون همتها وبغيتها كما تكون نفس العاشق حيث معشوقه . فاذا كانت منيتها ومواها هو الكون مع هذا الجسد ومعشوقها هذه اللذات المحسوسة الجرمانية ومرادها هذه الزينة الجسمانية فهى لا تبرح من ههنا ولا تشتاق الصعود الى عالم الافلاك ولا تفتح لها أبواب السموات ولا تدخل الجنة مع زمر الملائكة بل تبقى تحت فلك القمر سابحة فى قعر هذه الاجسام المستحيلة المتضادة . تارة من الكون الى الفساد وتارة من الفساد الى الكون — كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب لابثين فيها أحقابا مادامت السموات والارض لايذوقون فيها برد عالم الارواح الذى هو الروح والريحان . ويروى عن رسول الله انه قال : الجنة فى السماء والنار فى الارض .

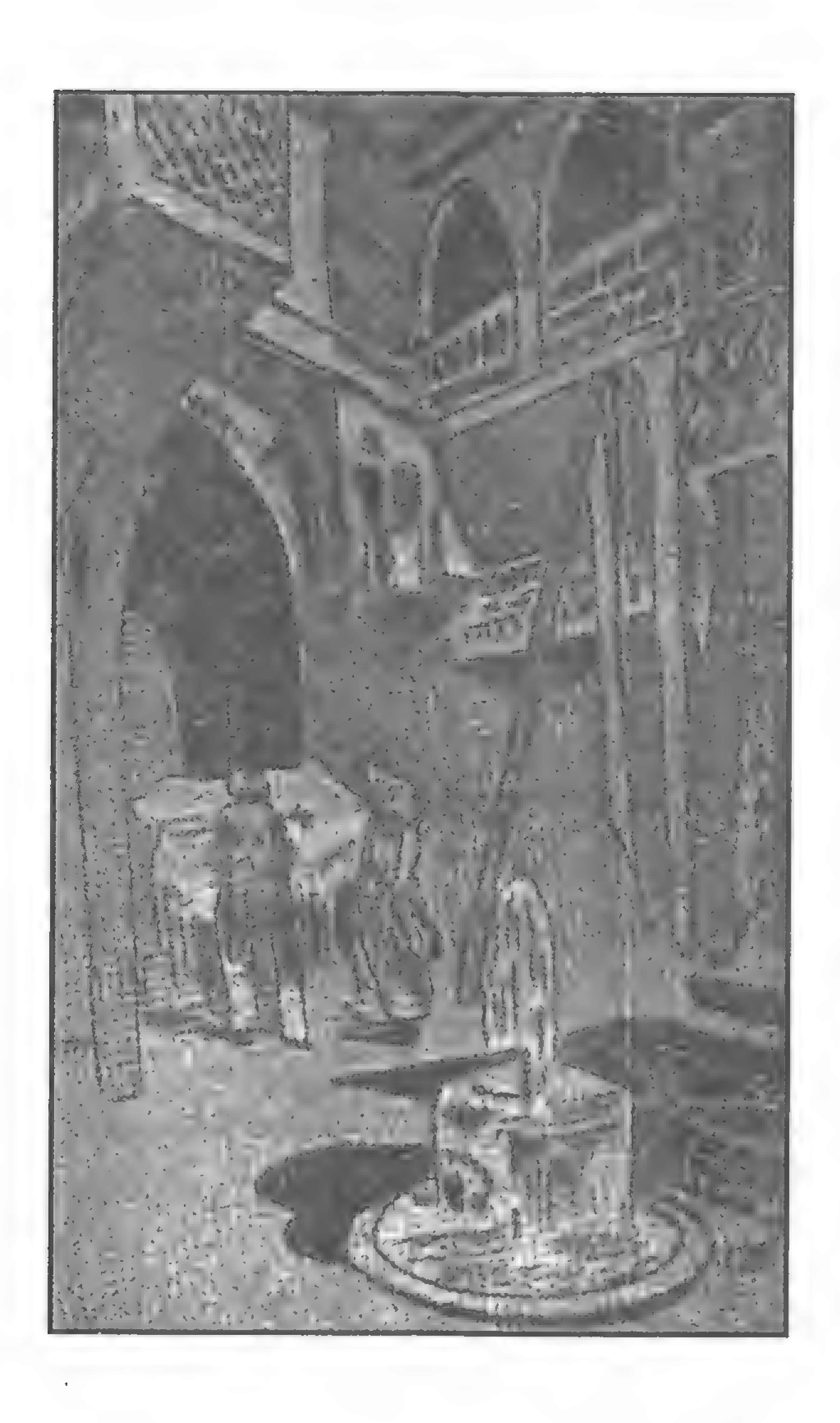
والى هذه المعانى كان ينظر ابن الرومى حينما قال يرثى امه ويصف صعود روحها بعد فراق الجسد الى الفلك حيث أخذت مكانها بين الكواكب

تأمل خليلى فى الكواكب كوكبا ... ترفع كالمصباح فى ذروة العلم
ولم يره الراؤن من قبل موتها ... بحيث بدا لا المعربون ولا العجم
وهل كان الا كوكبا كان بيننا ... نودعنا . جادت معاهده الرهم
رأى المسكن العلوى أولى بمثله ... فبان وأضحى بين أشكاله نجم



غَيْرَ أَنِّي لَا أَرَى ٱلْجِسْمَ سِوَى
نُزُلٍ أَفْضَى إِلَيْـهِ فَثَوَى
مَلَكٌ أَزْمَعَ لِلْمَوْتِ نَوَى
ثُمَّ أَرْدَاهُ غَشُـومٌ دَهَمَا
وَلِضَيْفٍ آخَرٍ أَخْلَى ٱلْمُقَامْ (١)

(١) المعنى :—
لا أرى الجسم الا بيتاً أبديا سرمديا — لا يزال ينتقل عنه ساكن ويحل فيـه آخر — ينسلخ منه روح ويهبط فيـه روح — فهو المسكن الابدى للارواح المتنقلة وعلى باب هذا المسكن يقوم ملك الموت يشيع الساكن الراحل ويرحب بالضيف القادم .



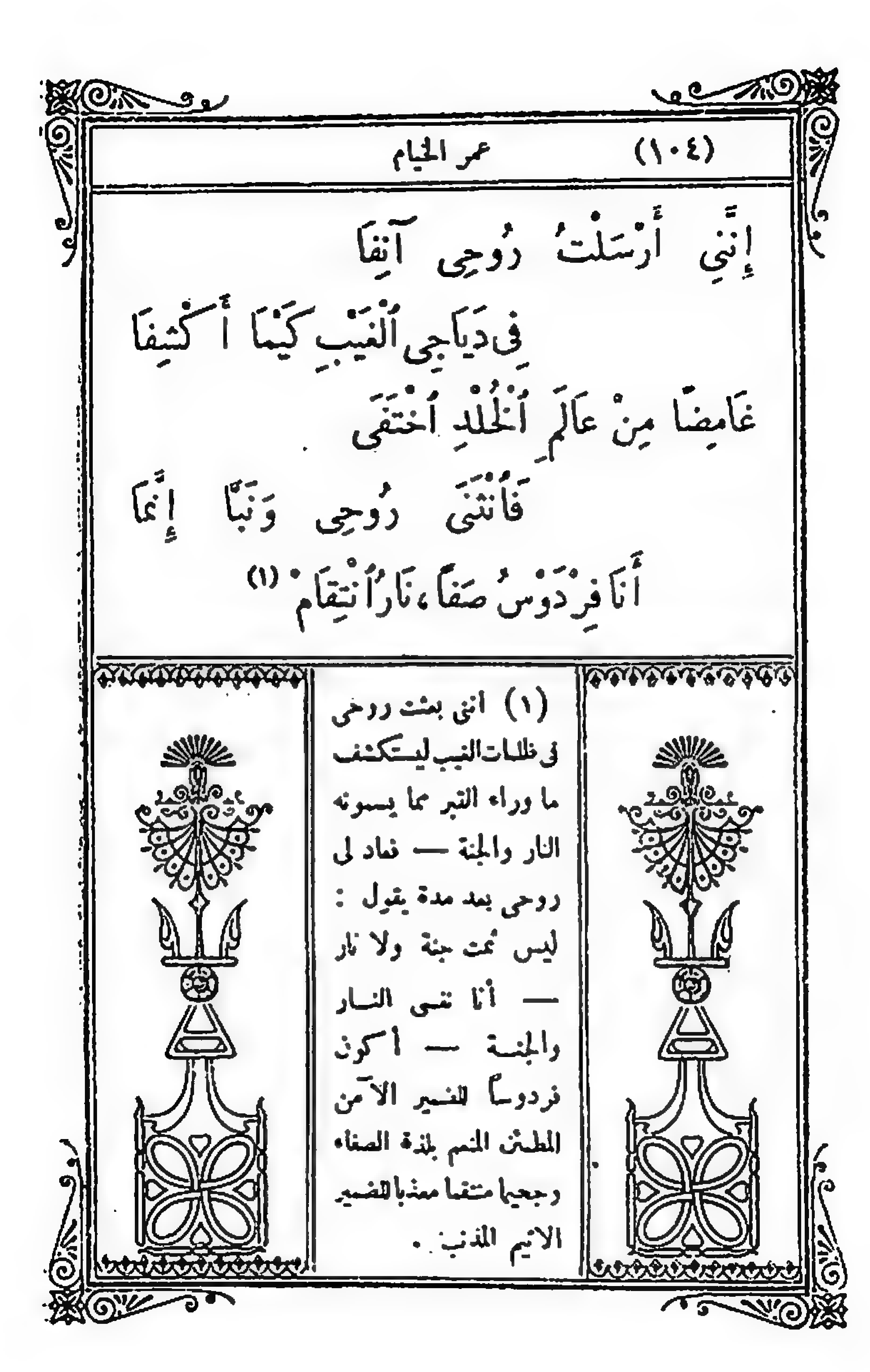
إنَّنِي أرْسَلْتُ رُوحِي آنِفَا

فِي دَيَاجِي الْغَيْبِ كَيْمَا أكْشِفَا

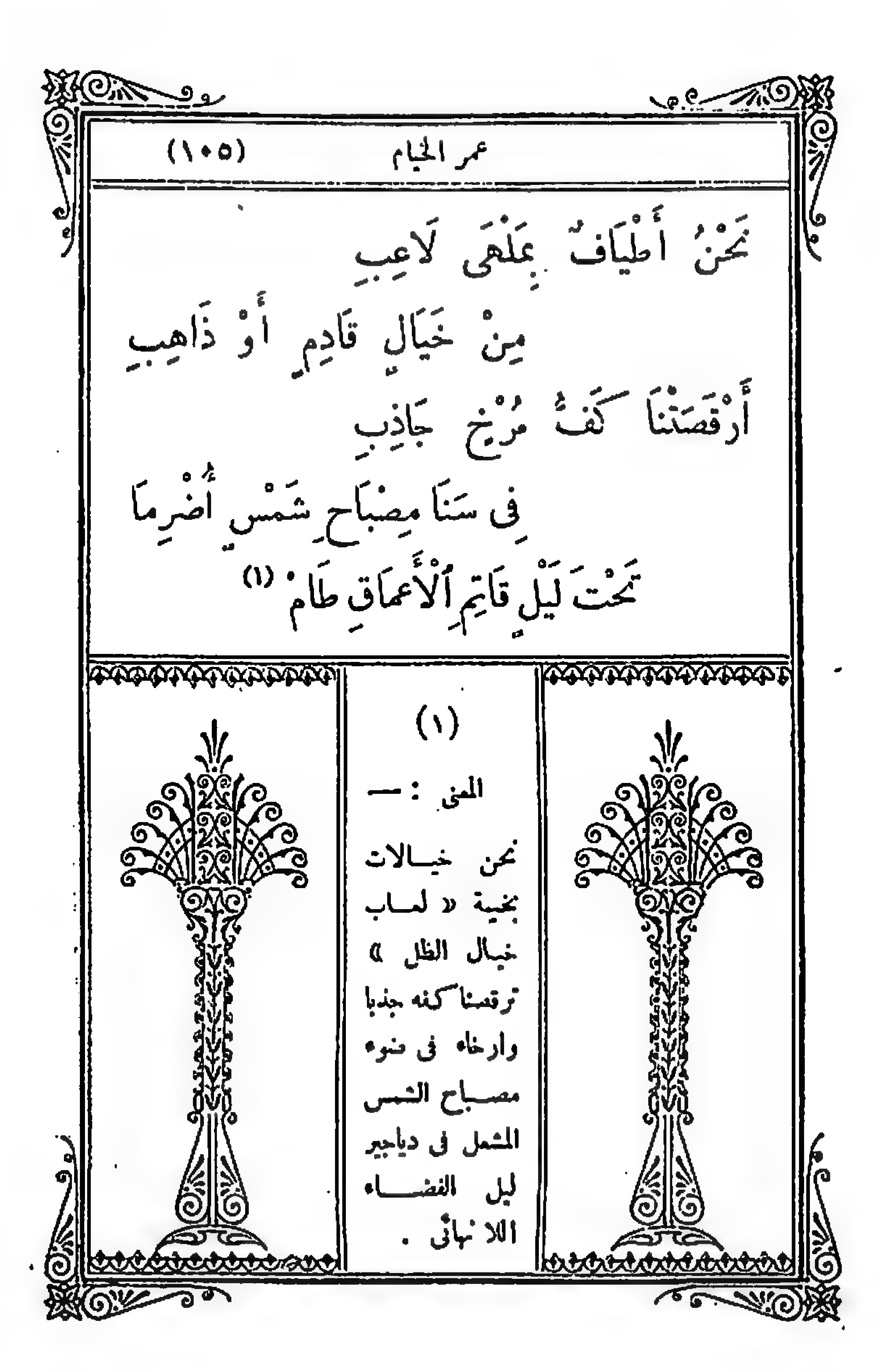
غَامِضًا مِنْ عَالَمِ الْخُلْدِ اخْتَفَى

فَأَتَتْنِي رُوحِي وَنَبَّا إنَّمَا

أَنَا فِرْدَوْسُ صَفَاءٍ، نَارُ انْتِقَامْ (١)



(١) انني بعثت روحي في ظلمات الغيب ليستكشف ما وراء القبر مما يسمونه النار والجنة — فعاد لي روحي بعد مدة يقول: ليس ثمت جنة ولا نار — أنا نفسي النار والجنة — أكون فردوساً للضمير الآمن المطمئن المنعم بلذة الصفاء وجحيما متقدا معذبا للضمير الاثيم المذنب.

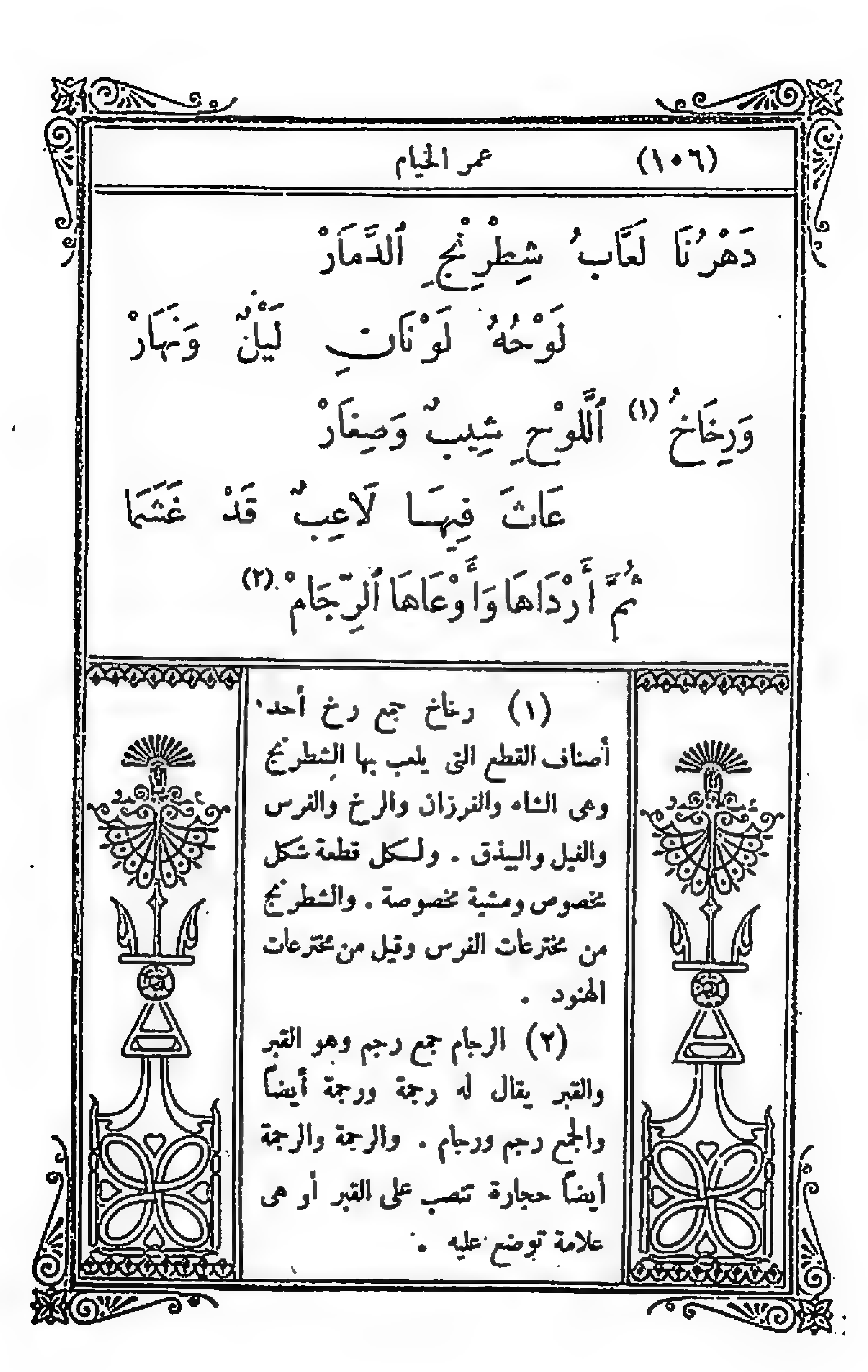


نَحْنُ أَطْيَافٌ بِمَلْهَى لَاعِبِ
مِنْ خَيَالٍ قَادِمٍ أَوْ ذَاهِبِ
أَرْقَصَتْنَا كَفُّ مُرْخٍ جَاذِبِ
فِي سَنَا مِصْبَاحِ شَمْسٍ أُضْرِمَا
تَحْتَ لَيْلٍ قَاتِمِ الْأَعْمَاقِ طَامْ (١)

(١)

المعنى : —

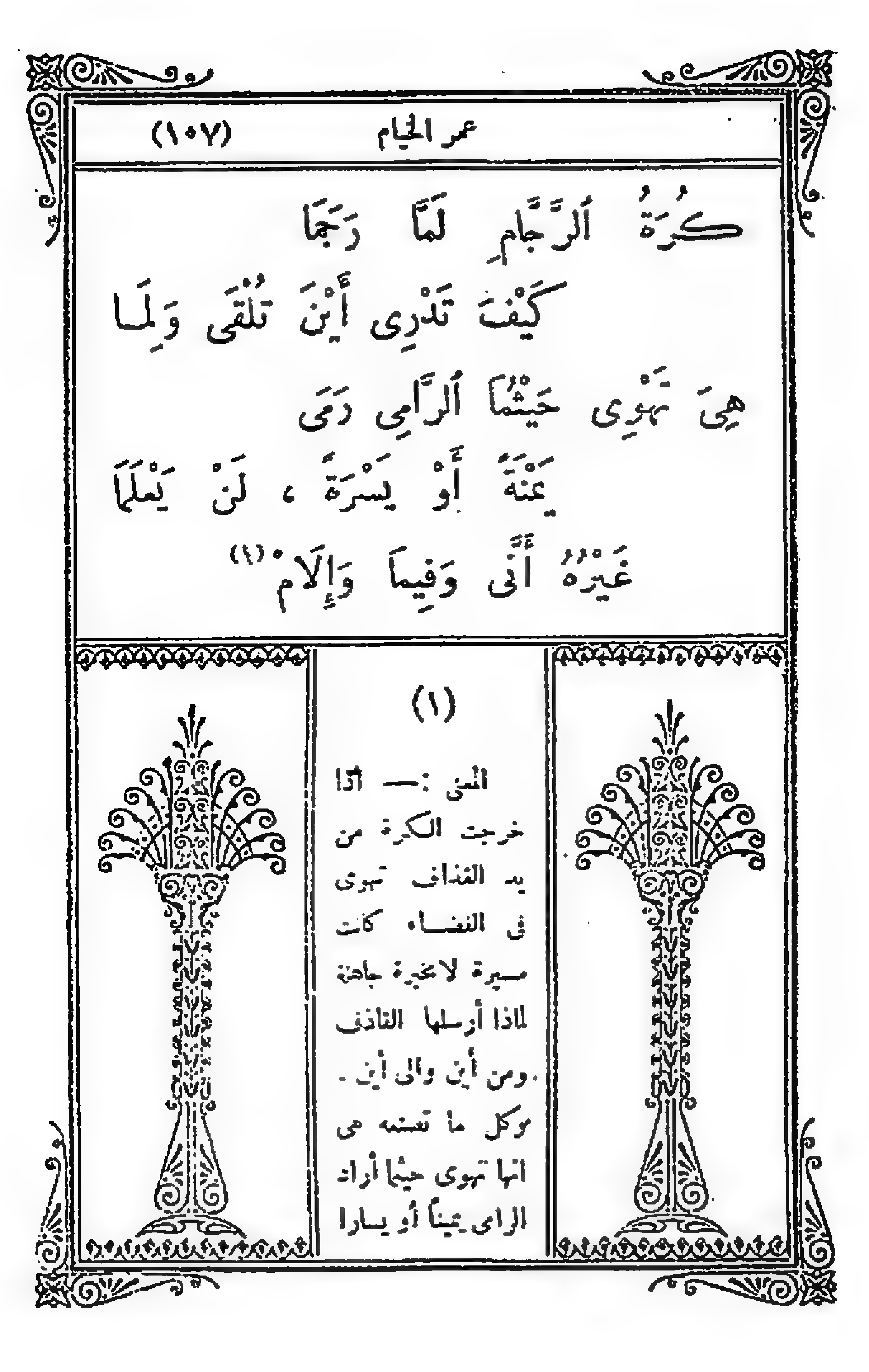
نحن خيالات بخيمة « لعاب خيال الظل » ترقصنا كفه جذبا وارخاء فى ضوء مصباح الشمس المشعل فى دياجير ليل الفضاء اللانهائى .



دَهْرُنَا لَعَّابُ شِطْرَنْجِ ٱلدَّمَارْ
لَوْحُهُ لَوْنَانِ لَيْلٌ وَنَهَارْ
وَرِخَاخُ (١) ٱللَّوْحِ شِيبٌ وَصِغَارْ
عَاثَ فِيهَا لَاعِبٌ قَدْ غَشَمَا
ثُمَّ أَرْدَاهَا وَأَوْعَاهَا ٱلرِّجَامْ.(٢)

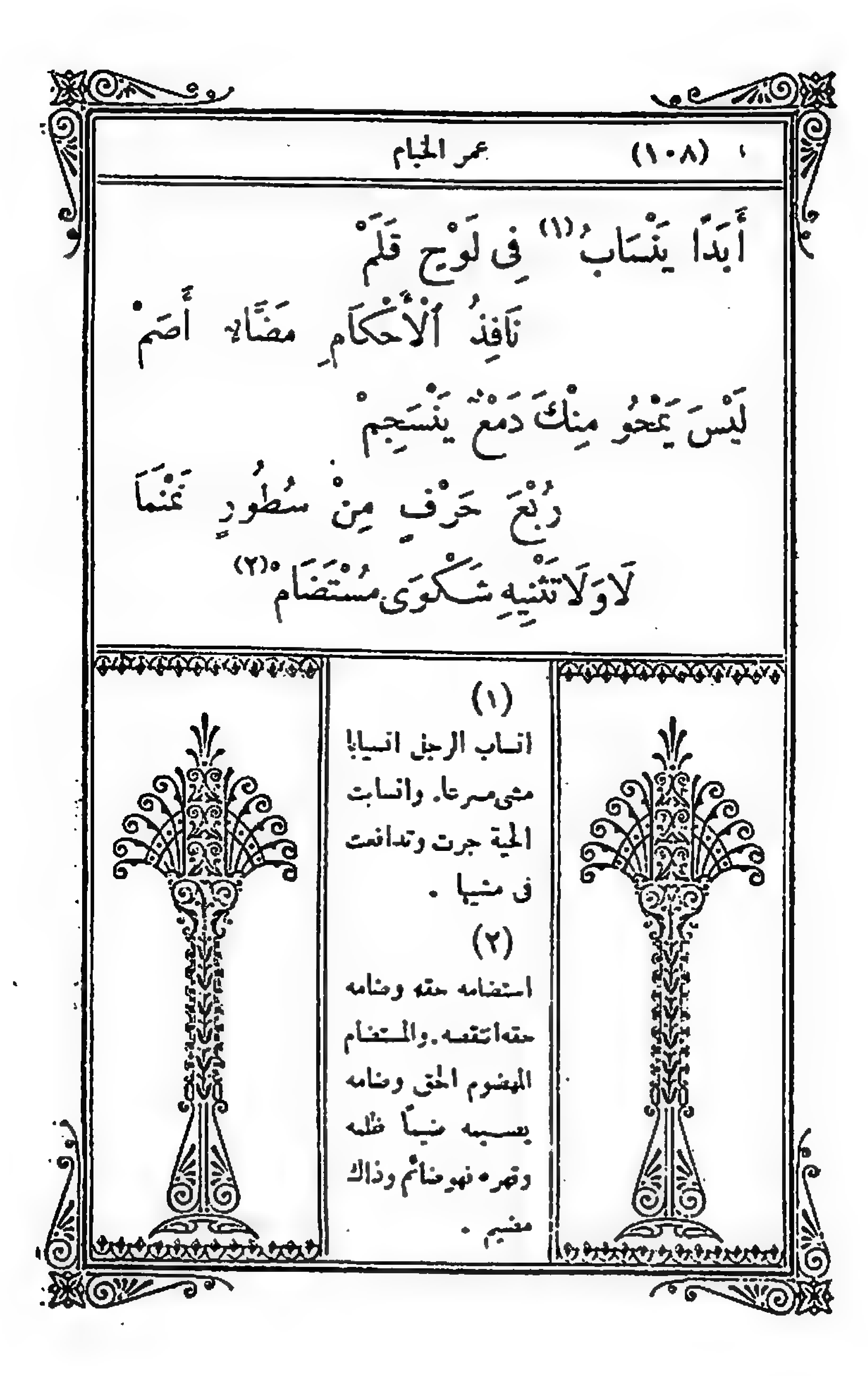
(١) رخاخ جمع رخ أحد أصناف القطع التى يلعب بها الشطرنج وهى الشاه والفرزان والرخ والفرس والفيل والبيذق . ولكل قطعة شكل مخصوص ومشية مخصوصة . والشطرنج من مخترعات الفرس وقيل من مخترعات الهنود .

(٢) الرجام جمع رجم وهو القبر والقبر يقال له رجمة ورجمة أيضاً والجمع رجم ورجام . والرجمة والرجمة أيضاً حجارة تنصب على القبر أو هى علامة توضع عليه .



كُرَةُ ٱلرَّجَامِ لَمَّا رَجَمَا
كَيْفَ تَدْرِى أَيْنَ تُلْقَى وَلِمَا
هِيَ تَهْوِى حَيْثُمَا ٱلرَّامِى رَمَى
يَمْنَةً أَوْ يَسْرَةً ، لَنْ يَعْلَمَا
غَيْرُهُ أَنَّى وَفِيمَا وَإِلَامْ[1]

(١) المعنى :— اذا خرجت الكرة من يد القذاف تهوى فى الفضاء كانت مسيرة لامخيرة جاهلة لماذا أرسلها القاذف ومن أين والى أين . وكل ما تعلمه هى انها تهوى حيثما أراد الرامى يميناً أو يسارا



أَبَدًا يَنْسَابُ(١) فِى لَوْحٍ قَلَمْ

نَافِذُ الأَحْكَامِ مَضَّاءٌ أَصَمْ

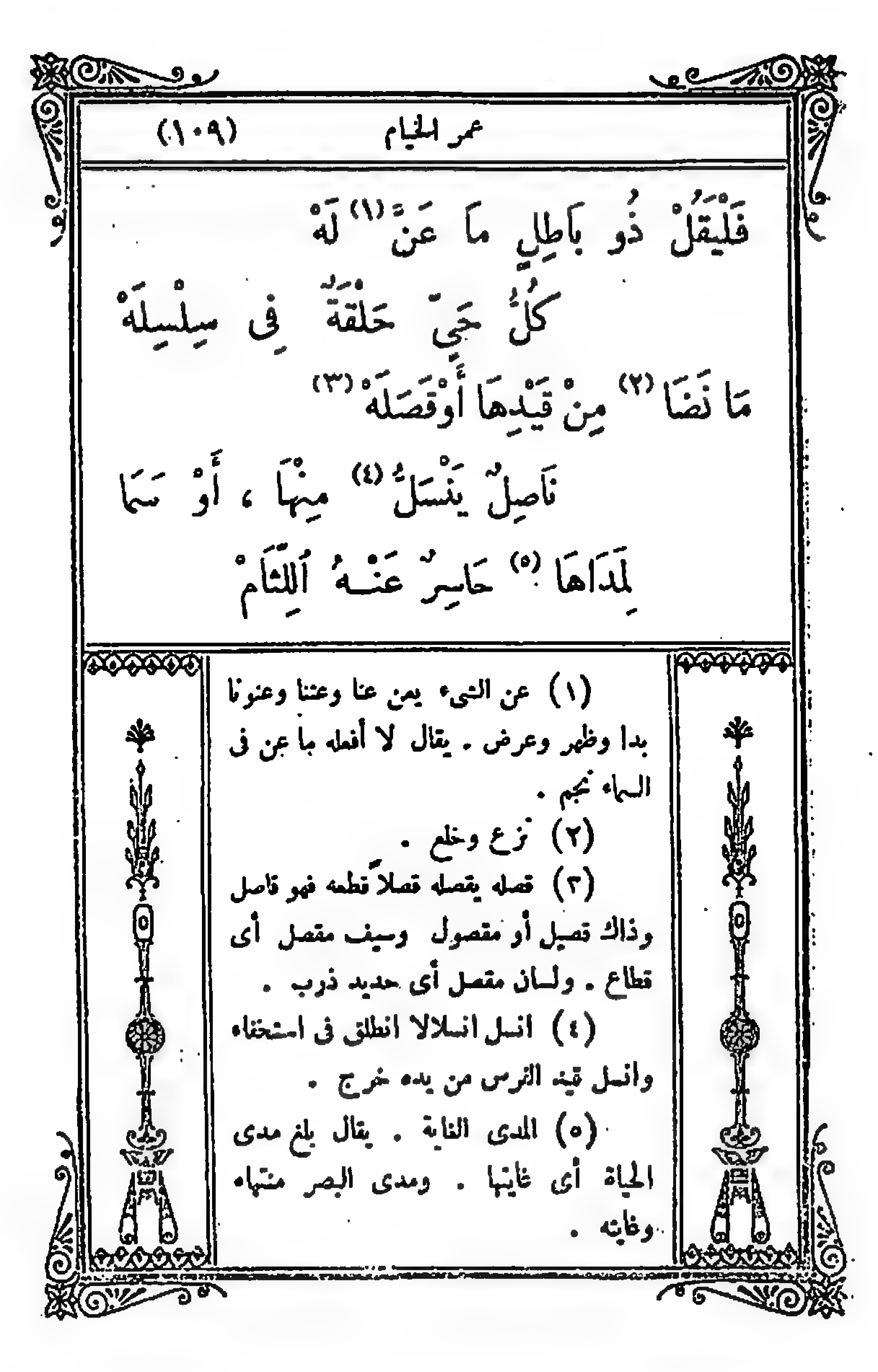
لَيْسَ يَمْحُو مِنْكَ دَمْعٌ يَنْسَجِمْ

رُبْعَ حَرْفٍ مِنْ سُطُورٍ تَمَّمَا

لَا وَلَا تَثْنِيهِ شَكْوَى مُسْتَضَامٍ(٢)٠

(١) انساب الرجل انسيابا مشى مسرعا. وانسابت الحية جرت وتدافعت فى مشيا .

(٢) استضامه حقه وضامه حقه انتقصه . والمستضام المهضوم الحق وضامه يضيمه ضيماً ظلمه وقهره فهو ضائم وذاك مضيم .



فَلْيَقُلْ ذُو بَاطِلٍ مَا عَنَّ (١) لَهْ

كُلُّ حَيٍّ حَلْقَةٌ فِي سِلْسِلَهْ

مَا نَضَا (٢) مِنْ قَيْدِهَا أَوْقَصَلَهْ (٣)

نَاصِلٌ يَنْسَلُّ (٤) مِنْهَا ، أَوْ سَمَا

لِمَدَاهَا (٥) حَاسِرٌ عَنْهُ اللِّثَامْ

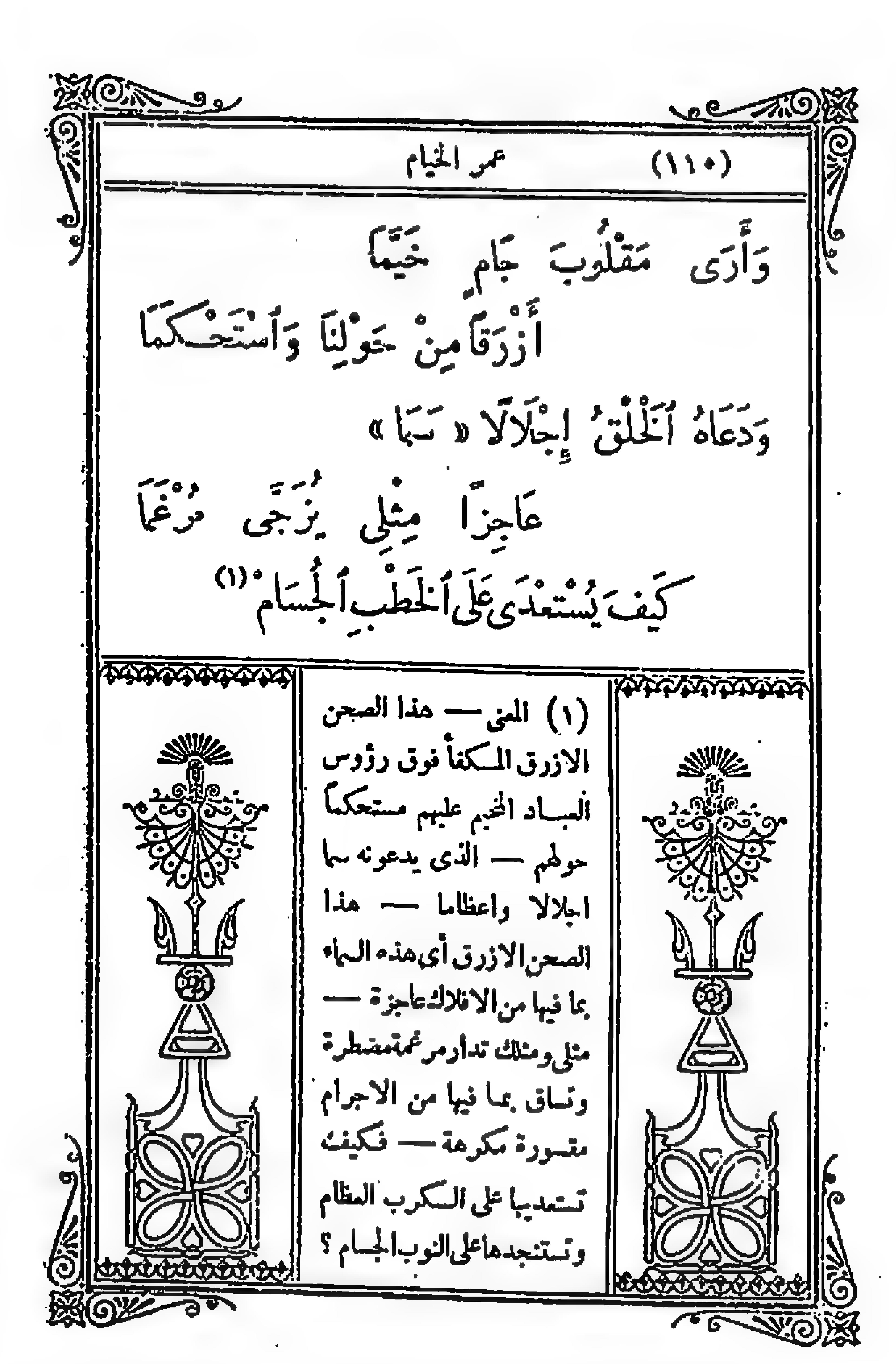
(١) عن الشيء يعن عنا وعننا وعنونا بدا وظهر وعرض . يقال لا أفعله ما عن فى السماء نجم .

(٢) نزع وخلع .

(٣) قصله يقصله قصلاً قطعه فهو قاصل وذاك قصيل أو مقصول وسيف مقصل أى قطاع . ولسان مقصل أى حديد ذرب .

(٤) انسل انسلالا انطلق فى استخفاء وانسل قيد الترس من يده خرج .

(٥) المدى الغاية . يقال بلغ مدى الحياة أى غايتها . ومدى البصر منتهاه وغايته .



وَأَرَى مَقْلُوبَ جَامٍ خَيَّمَا
أَزْرَقًا مِنْ حَوْلِنَا وَاسْتَحْكَمَا
وَدَعَاهُ الْخَلْقُ إِجْلَالًا « سَمَا »
عَاجِزًا مِثْلِي يُزَجَّى مُرْغَمَا
كَيْفَ يُسْتَعْدَى عَلَى الْخَطْبِ الْجُسَامْ (١)

(١) المعنى — هذا الصحن الازرق المكفأ فوق رؤوس العباد المخيم عليهم مستحكما حولهم — الذى يدعونه سما اجلالا واعظاما — هذا الصحن الازرق أي هذه السماء بما فيها من الافلاك عاجزة — مثلي ومثلك تدار مرغمة مضطرة وتساق بما فيها من الاجرام مقسورة مكرهة — فكيف تستعديها على الكرب العظام وتستنجدها على النوب الجسام ؟

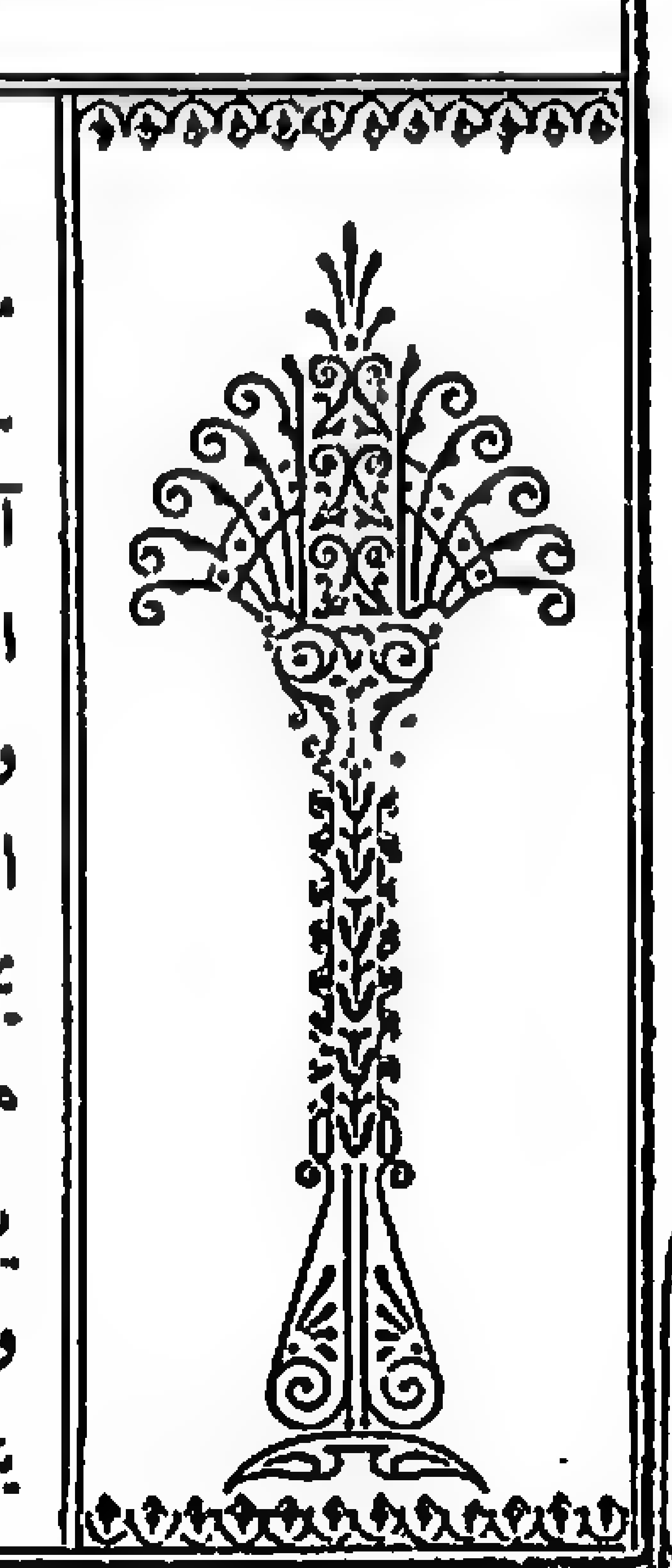
يَوْمَ بَدْءِ ٱلْخَلْقِ أَنْشَا ٱلصَّانِعُ

آخِرَ ٱلنَّاسِ ، وَأَلْقَى ٱلزَّارِعُ

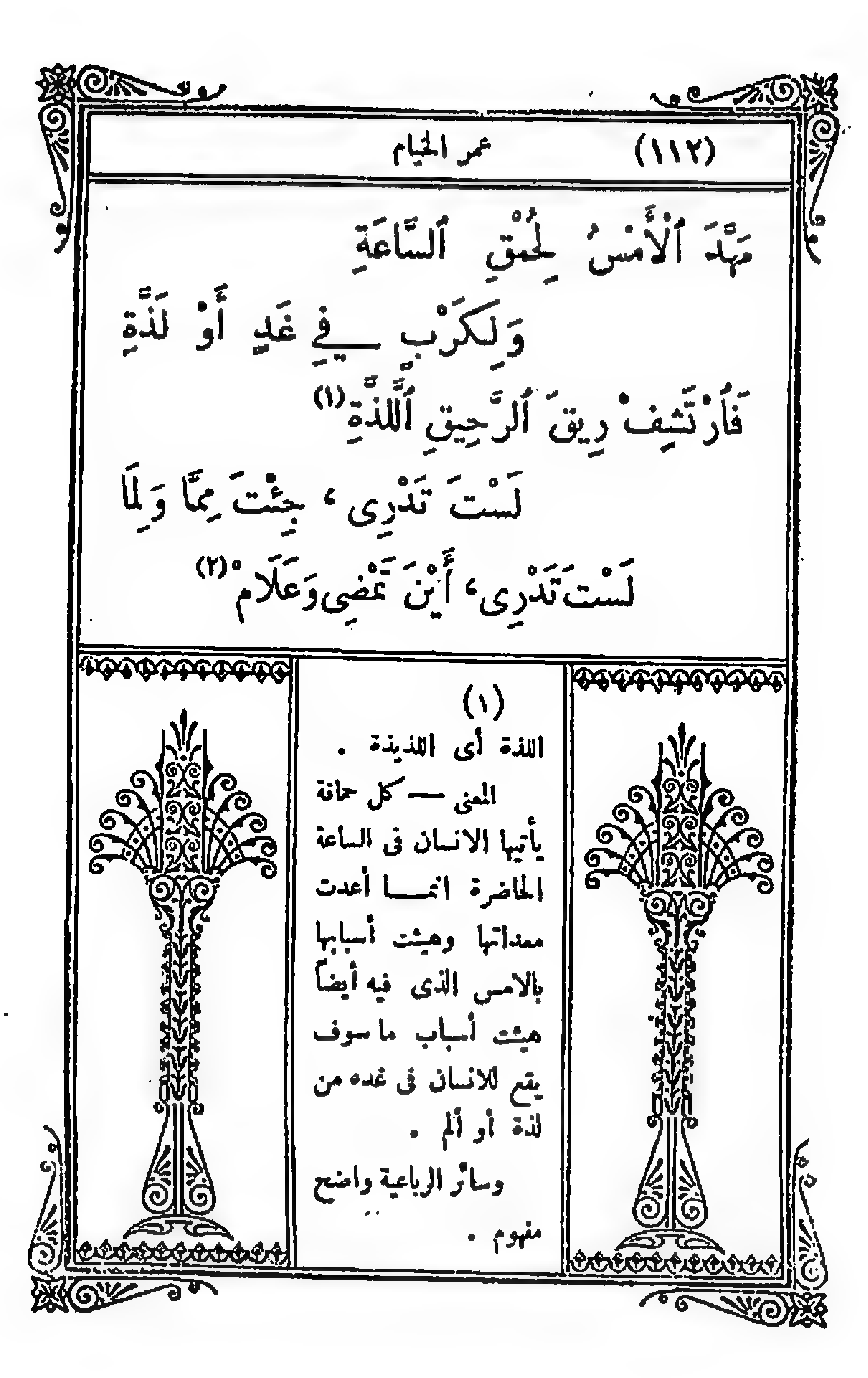
بِذْرَةً يَبْدُو جَنَاهَا ٱلْيَانِعُ

آخِرَ ٱلدَّهْرِ ، وَمَا قَدْ رُقِمَا

مَبْدَأً يَتْلَى حِسَابًا فِي ٱلْخِتَامْ (١)



(١) كل شيء مقدر أزلا بقضاء سابق — حتى أن آخر انسان يأتى فى الدنيا قد سبق خلقه وتكوينه يوم بدء الخليقة وآخر عمل يحدث فى الدنيا انما هو ثمرة بذرة غرست يوم بدء الخليقة أيضاً والذى دون فى البداية يتلى حسابا فى النهاية



مَهَّدَ ٱلْأَمْسُ لِحُمْقِ ٱلسَّاعَةِ

وَلِكَرْبٍ فِي غَدٍ أَوْ لَذَّةِ

فَٱرْتَشِفْ رِيقَ ٱلرَّحِيقِ ٱللَّذَّةِ (١)

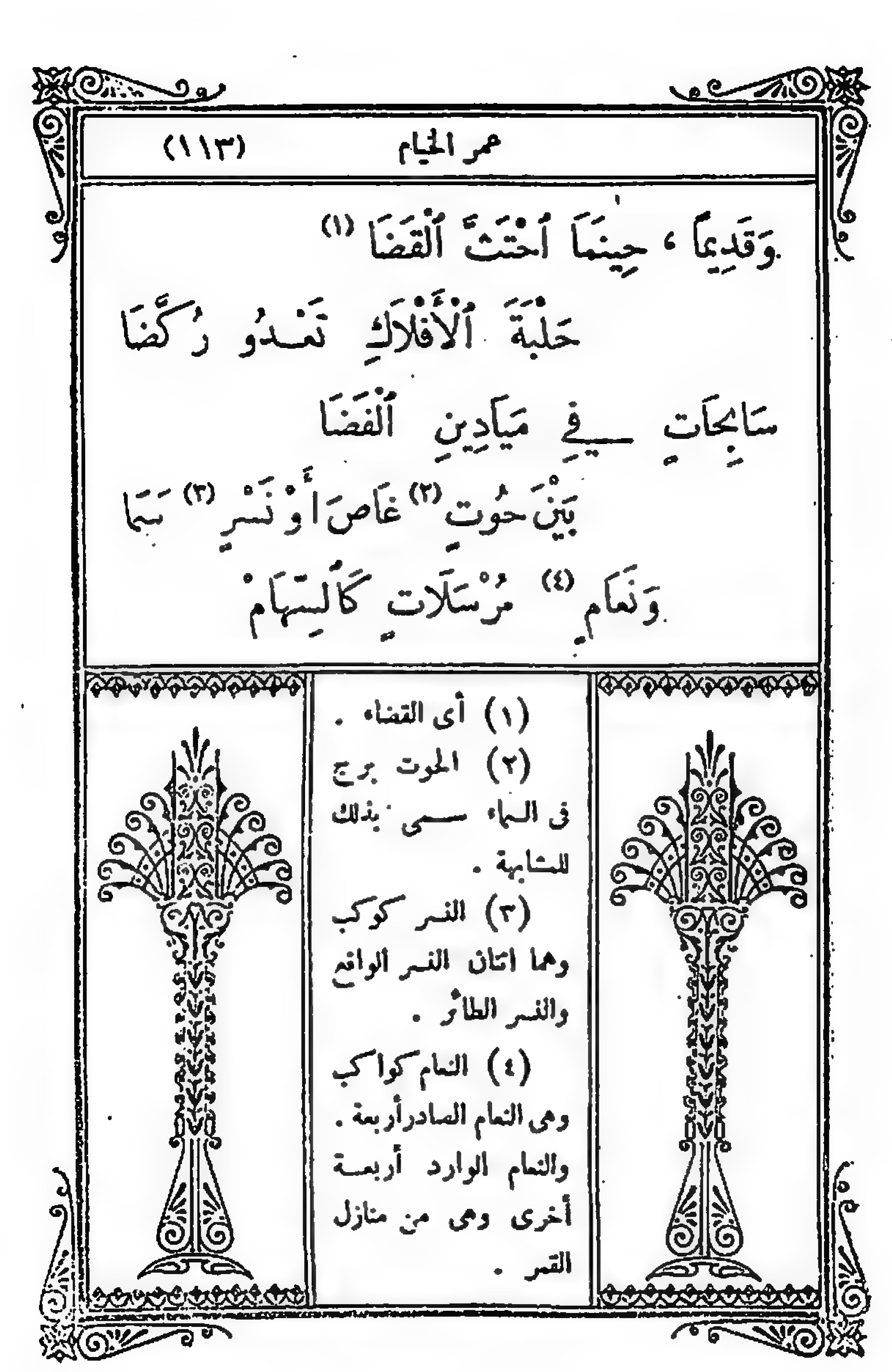
لَسْتَ تَدْرِي ، جِئْتَ مِمَّا وَلِمَا

لَسْتَ تَدْرِي ، أَيْنَ تَمْضِي وَعَلَامَ (٢)

(١)
اللذة أى اللذيذة .

المعنى — كل حماقة يأتيها الانسان فى الساعة الحاضرة انما أعدت معداتها وهيئت أسبابها بالامس الذى فيه أيضاً هيئت أسباب ما سوف يقع للانسان فى غده من لذة أو ألم .

وسائر الرباعية واضح مفهوم .



وَقَدِيماً ، حِينَمَا احْتَثَّ الْقَضَا (١)
حَلْبَةَ الأَفْلَاكِ تَعْدُو رُكَّضَا
سَابِحَاتٍ فِي مَيَادِينِ الْفَضَا
بَيْنَ حُوتٍ (٢) غَاصَ أَوْ نَسْرٍ (٣) سَمَا
وَنَعَامٍ (٤) مُرْسَلَاتٍ كَالسِّهَامْ

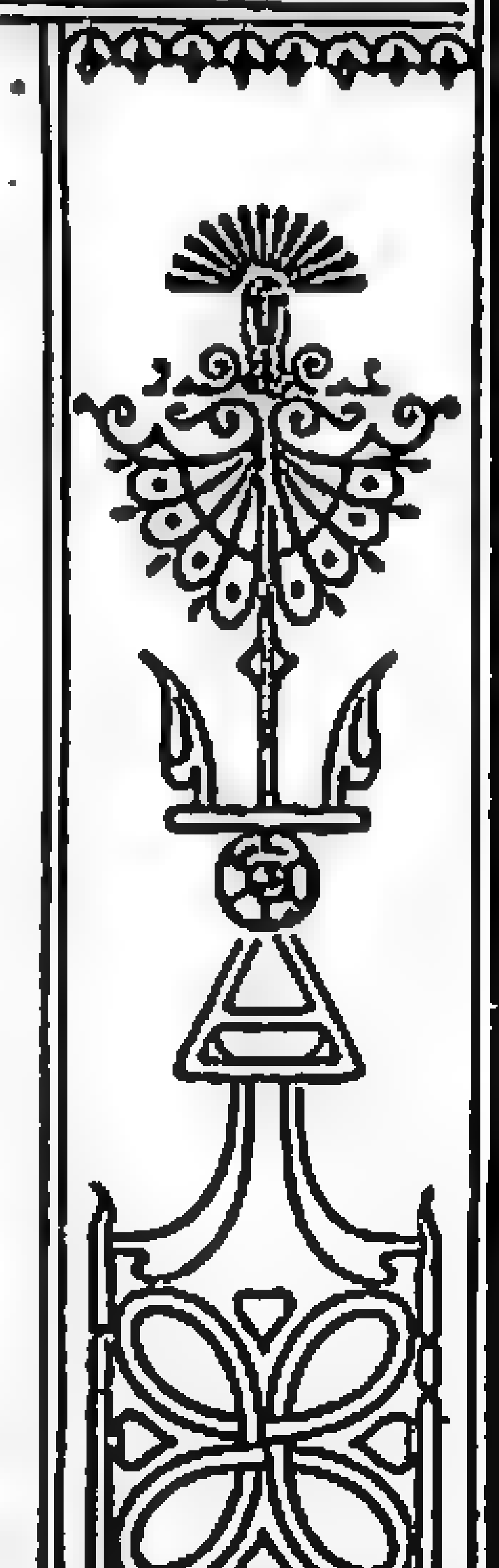
(١) أى القضاء .

(٢) الحوت برج فى السماء سمى بذلك للمشابهة .

(٣) النسر كوكب وهما اثنان النسر الواقع والنسر الطائر .

(٤) النعام كواكب وهى النعام الصادر أربعة . والنعام الوارد أربعة أخرى وهى من منازل القمر .

حِينَذَيَّاكَ ، سَرَتْ مِنْ كَرْمَةٍ
وَاشِجَاتٌ (١) نَشِبَتْ (٢) فِى طِينَتِي
قَبْلَمَا تُبْدَعَ مِنْهَا صُورَتِى
فَرَوَتْ مِنْ تُرْبَتِي حَرَّ الظَّمَا
قَبْلَمَا يَرْوَى مِنَ الْخَمْرِ نِدَامْ (٣)



(١) عروق واشجات أى مشتبكة ملتف بعضها على بعض . ويقال وشجت بك قرابته أى اشتبكت والواشجة الرحم المشتبكة . يقال بينهم واشجة .

(٢) نشب الشىء فى الشىء نشباً ونشوبا ونشبة علق . والعظم فى حلقه لم ينفذ . والحرب بين القوم ثارت . ونشب فلان منشب سوء وقع فيما لا مخلص منه .

(٣) النِّدام والنداى والندمان جمع نديم . والنِّدام هنا خلاف النَّدام المصدر الذى هو بمعنى المنادمة .

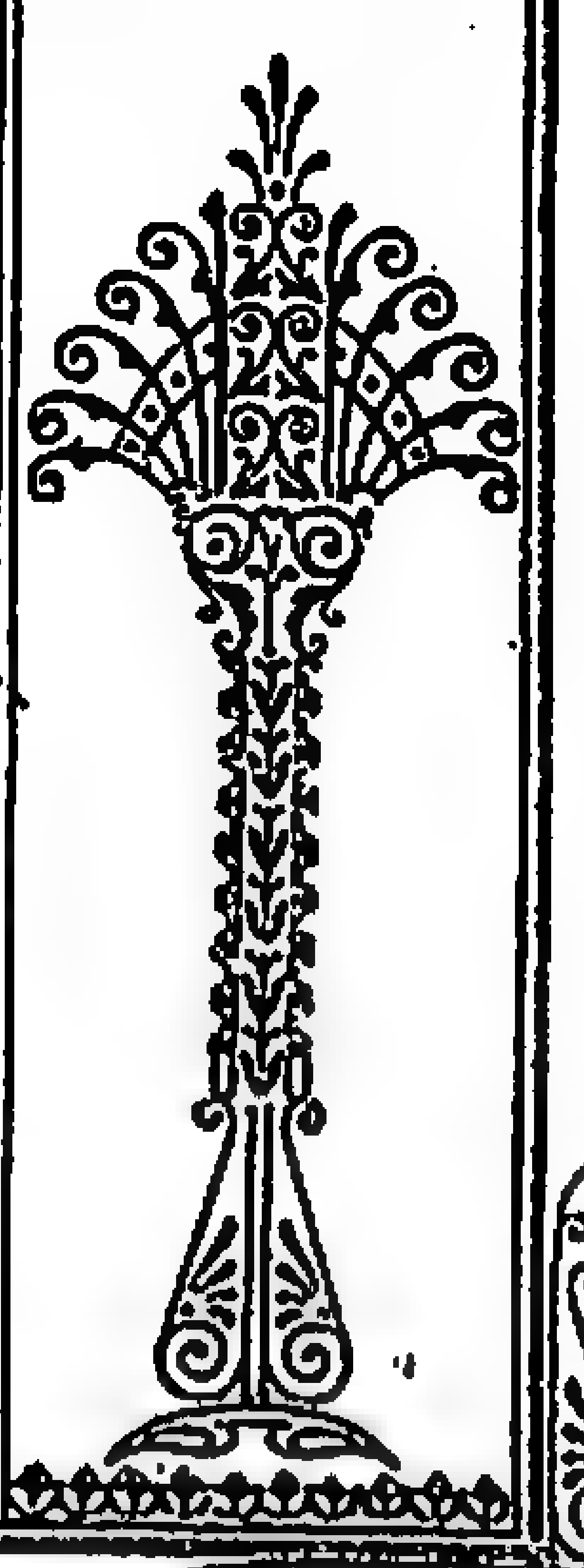
فَلْيَلُمْ مَنْ شَاءَ أَوْ فَلْيَعْذِلِ

إِنَّنِي ، مِنْ مَعْدِنِي الْمُسْتَرْذَلِ ،

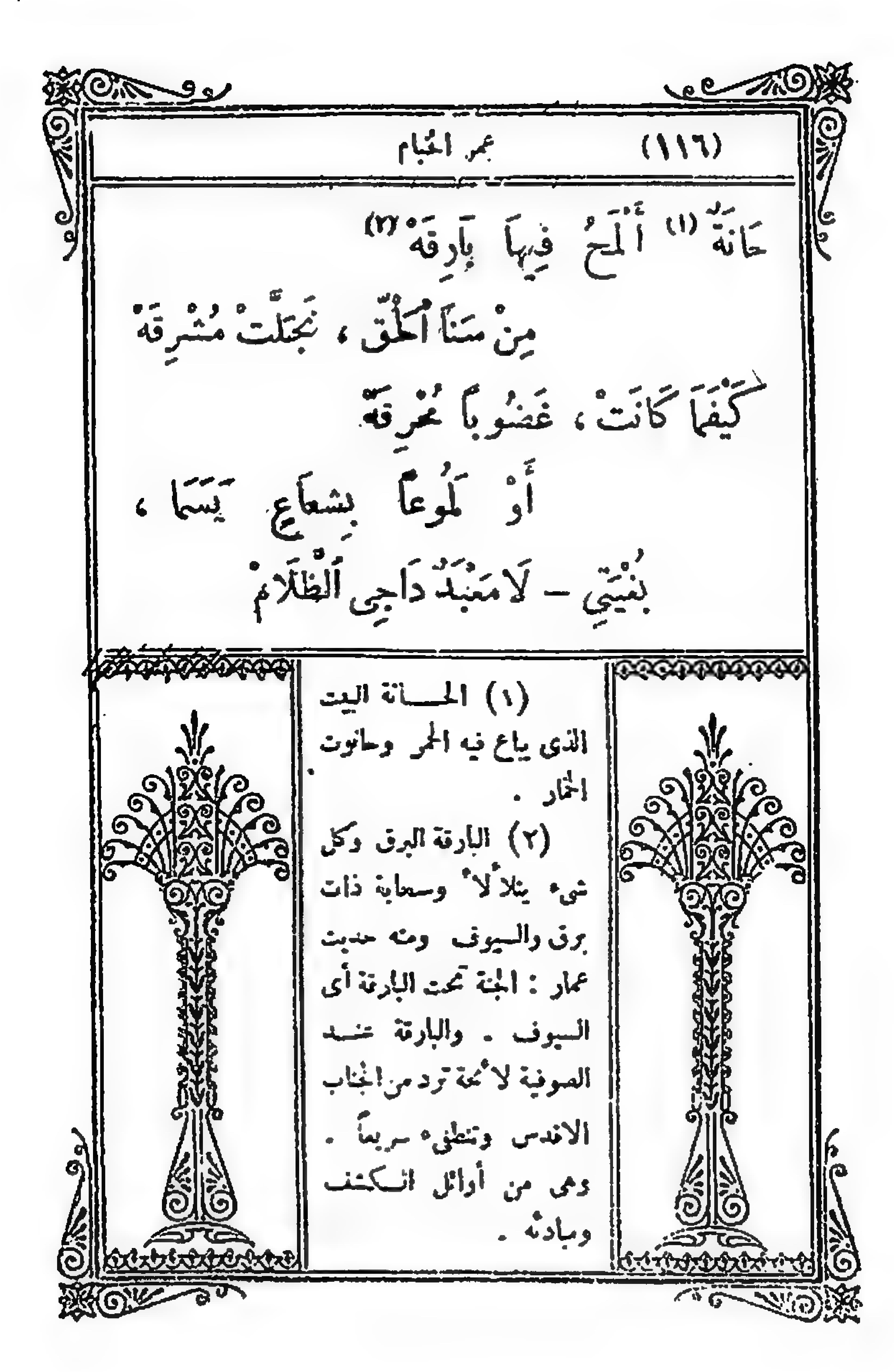
صُغْتُ مِفْتَاحًا لِبَابٍ مُقْفَلِ

خَلْفَهُ مَأْمُولُ كَنْزٍ طَالَمَا

رَامَ مِنْهُ النُّسْكُ حِصْنًا لَا يُرَامْ (١)



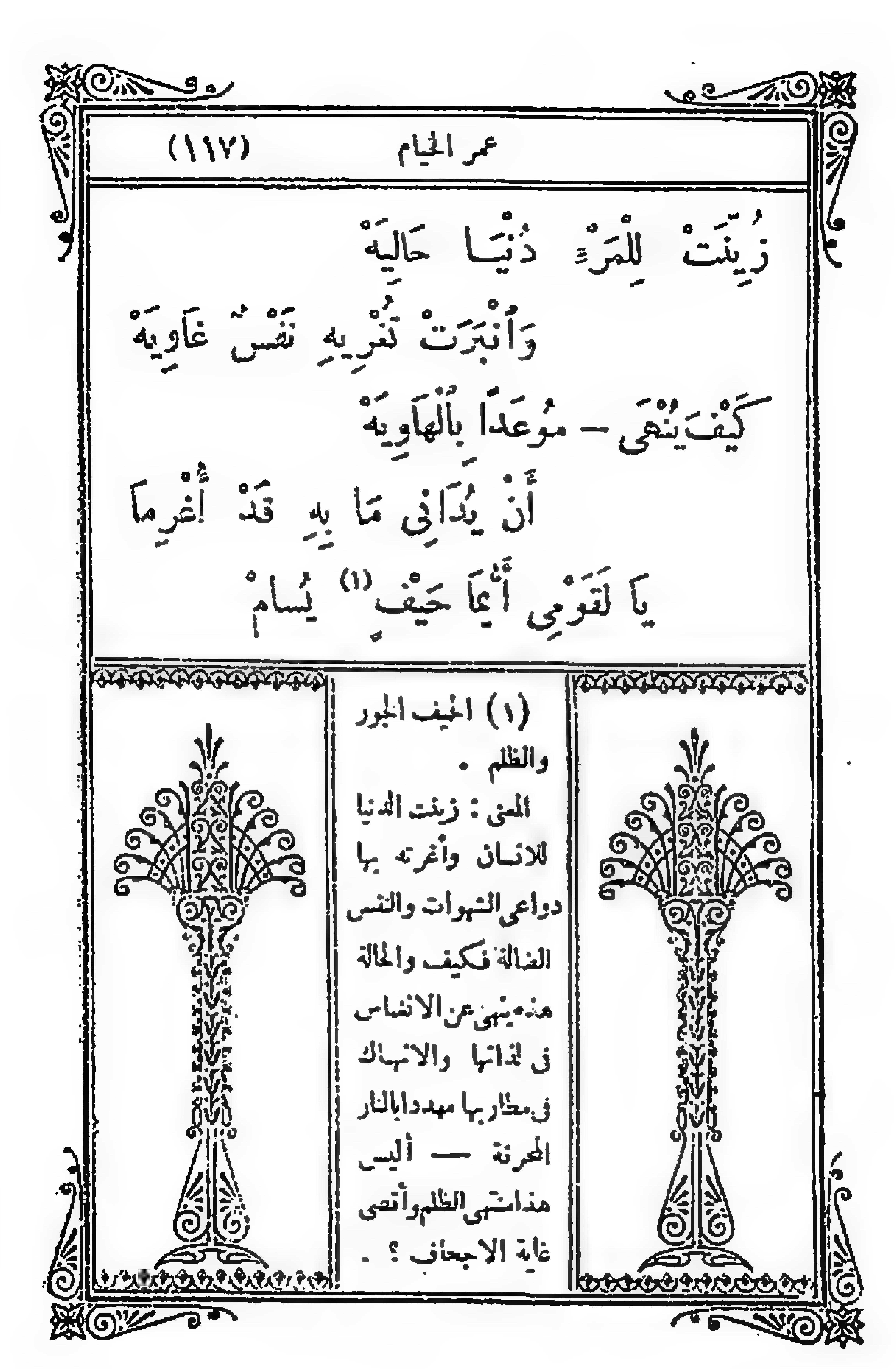
(١) المعنى : لقد صغت من معدني المسترذل (يريد الخمر . لان الناس يسترذلونها ويلحونه فيها) مفتاحا لباب الغيب المقفل المفضى الى كنز الحقيقة المأمول : يزعم ان ما تحدثه الخمرة فيه من النشوة هو السبيل الوحيد المفضى من أسرار الغيب الى ذلك الكنز الثمين كنز الحقيقة الذى يعجز عن فتحه الصوفيون بكل مالديهم من مفاتيح النسك والعبادة .



حانَةٌ (١) أَلْمَحُ فِيهَا بَارِقَهْ (٢)
مِنْ سَنَا ٱلْحَقِّ ، تجلَّتْ مُشْرِقَهْ
كَيْفَمَا كَانَتْ ، غضُوباً مُحْرِقَهْ
أَوْ لَمُوعاً بِشعَاعٍ يَسَمَا ،
بُغْيَتِي – لَا مَعْبَدُ دَاجِي ٱلظَّلَامْ

(١) الحانة البيت الذى يباع فيه الخمر وحانوت الخمار .

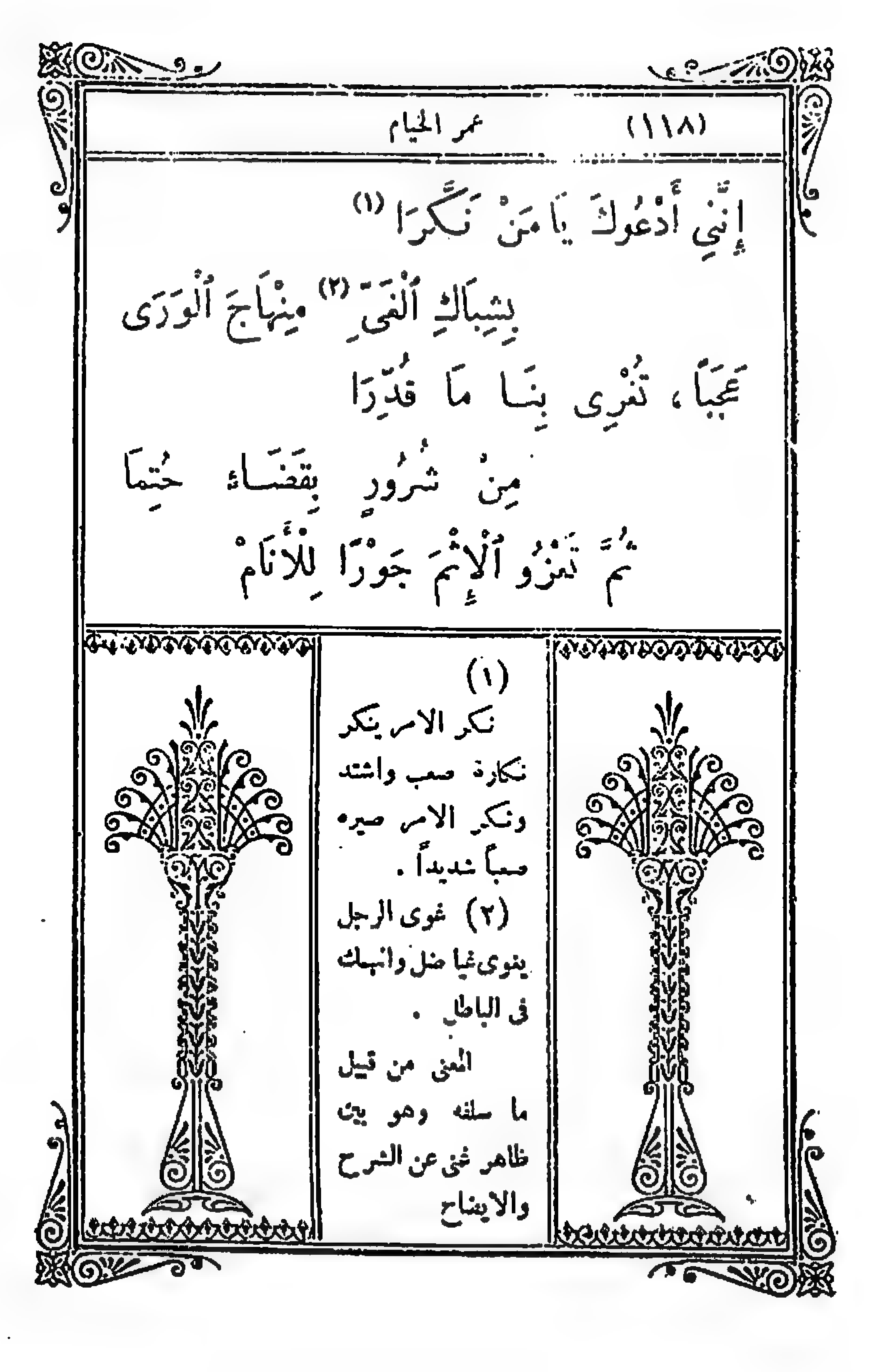
(٢) البارقة البرق وكل شىء يتلألأ وسحابة ذات برق والسيوف ومنه حديث عمار : الجنة تحت البارقة أى السيوف . والبارقة عند الصوفية لائحة ترد من الجناب الاقدس وتنطوى سريعاً . وهى من أوائل الكشف ومباديه .



زُيِّنَتْ لِلْمَرْءِ دُنْيَا حَالِيَهْ
وَأَنْبَرَتْ تُغْرِيهِ نَفْسٌ غَاوِيَهْ
كَيْفَ يُنْهَى — مُوعَداً بِالْهَاوِيَهْ
أَنْ يُدَانِي مَا بِهِ قَدْ أُغْرِمَا
يَا لَقَوْمِي أَيُّمَا حَيْفٍ[1] يُسَامْ

(١) الحيف الجور والظلم.

المعنى: زينت الدنيا للانسان وأغرته بها دواعي الشهوات والنفس الغالة فكيف والحالة هذه ينهى عن الانغماس في لذاتها والانهماك في مطاربها مهددا بالنار المحرقة — أليس هذا منتهى الظلم وأقصى غاية الاجحاف؟.



إِنَّنِي أَدْعُوكَ يَا مَنْ نَكَّرَا (١)

بِشِبَاكِ الْغَيِّ (٢) مِنْهَاجَ الْوَرَى

عَجَبًا، تَغْرِي بِنَا مَا قُدِّرَا

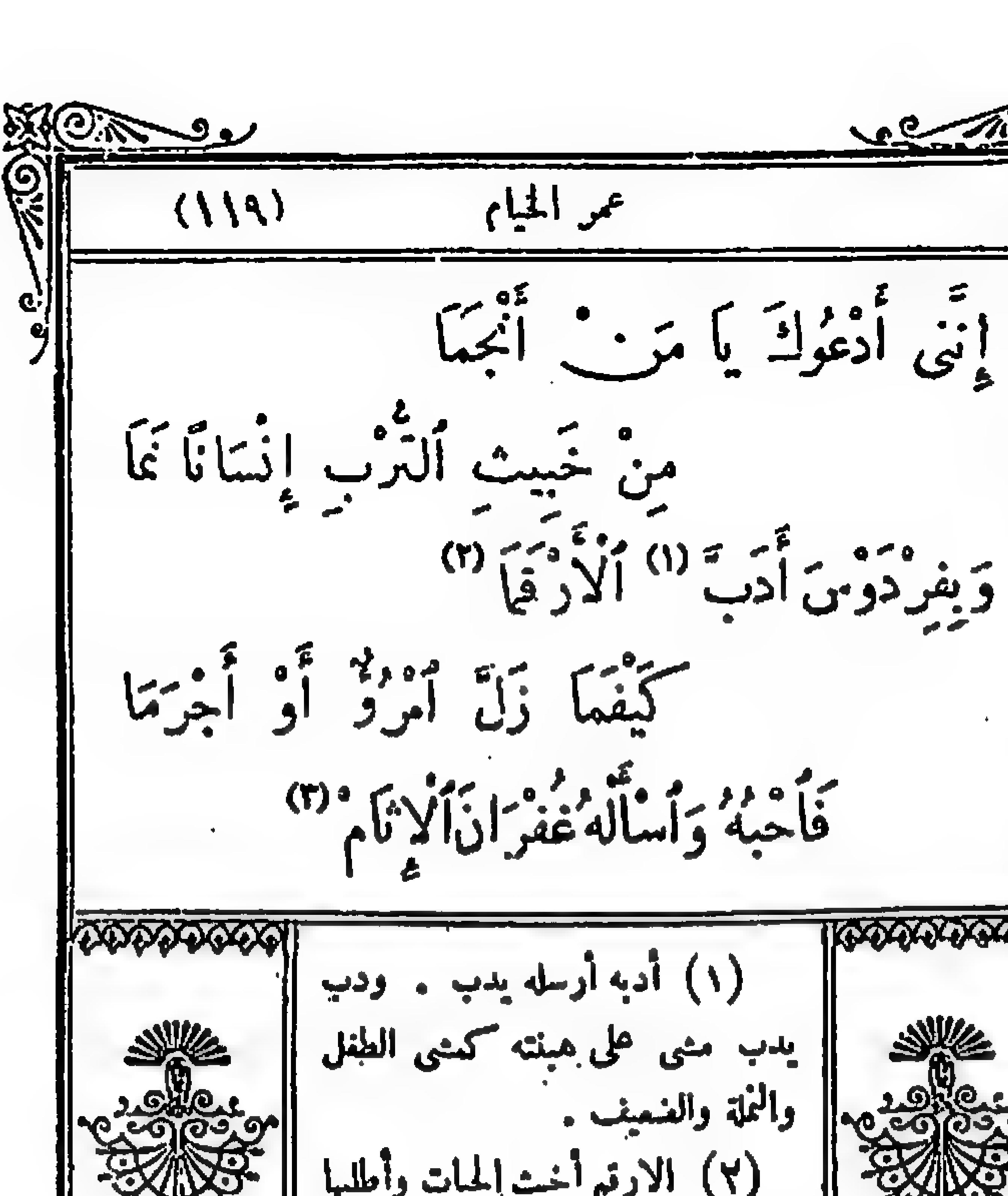
مِنْ شُرُورٍ بِقَضَاءٍ حُتِمَا

ثُمَّ تَعْزُو الْإِثْمَ جَوْرًا لِلْأَنَامْ

(١) نكر الامر ينكر نكارة صعب واشتد ونكر الامر صيره صعباً شديداً .

(٢) غوى الرجل يغوى غيا ضل وانهمك فى الباطل .

المعنى من قبيل ما سلفه وهو بين ظاهر غنى عن الشرح والايضاح



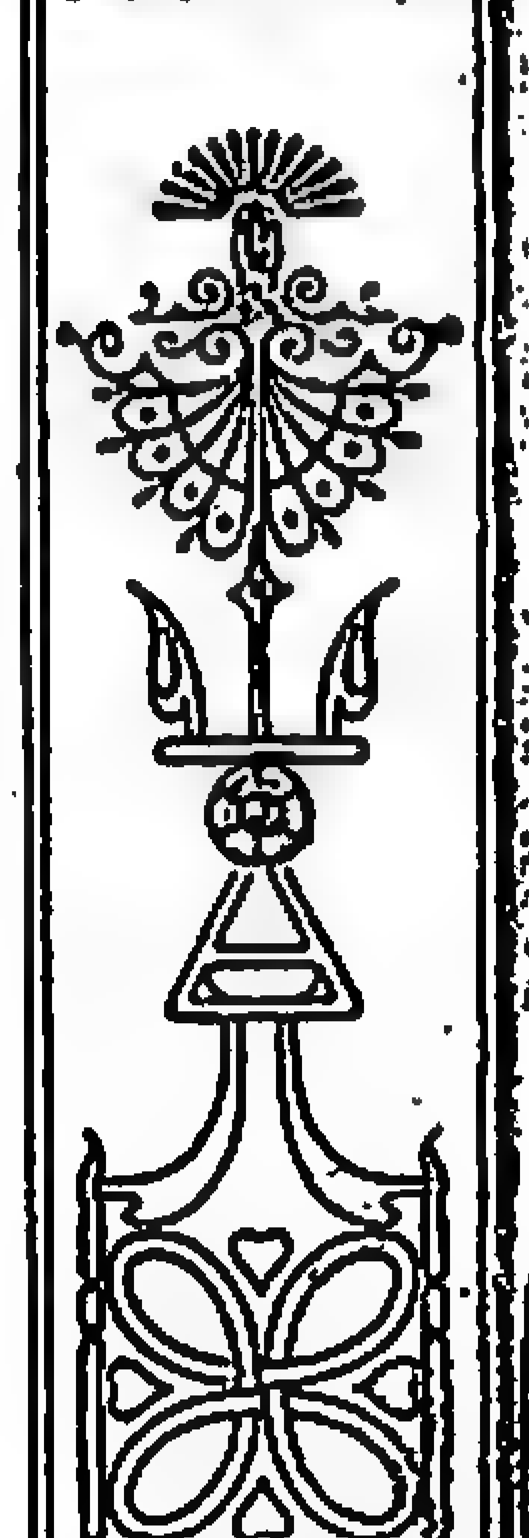
إِننى أَدْعُوكَ يا مَنْ أَنْجَمَا

مِنْ خَبيثِ ٱلتُّرْبِ إِنسانًا نَمَا

وَبِفِرْدَوْسَ أَدَبَّ (١) ٱلأَرْقَمَا (٢)

كَيْفَمَا زَلَّ ٱمْرُؤٌ أَوْ أَجْرَمَا

فَأَحِبهُ وَٱسْأَلهُ غُفْرانَ ٱلآثام (٣)



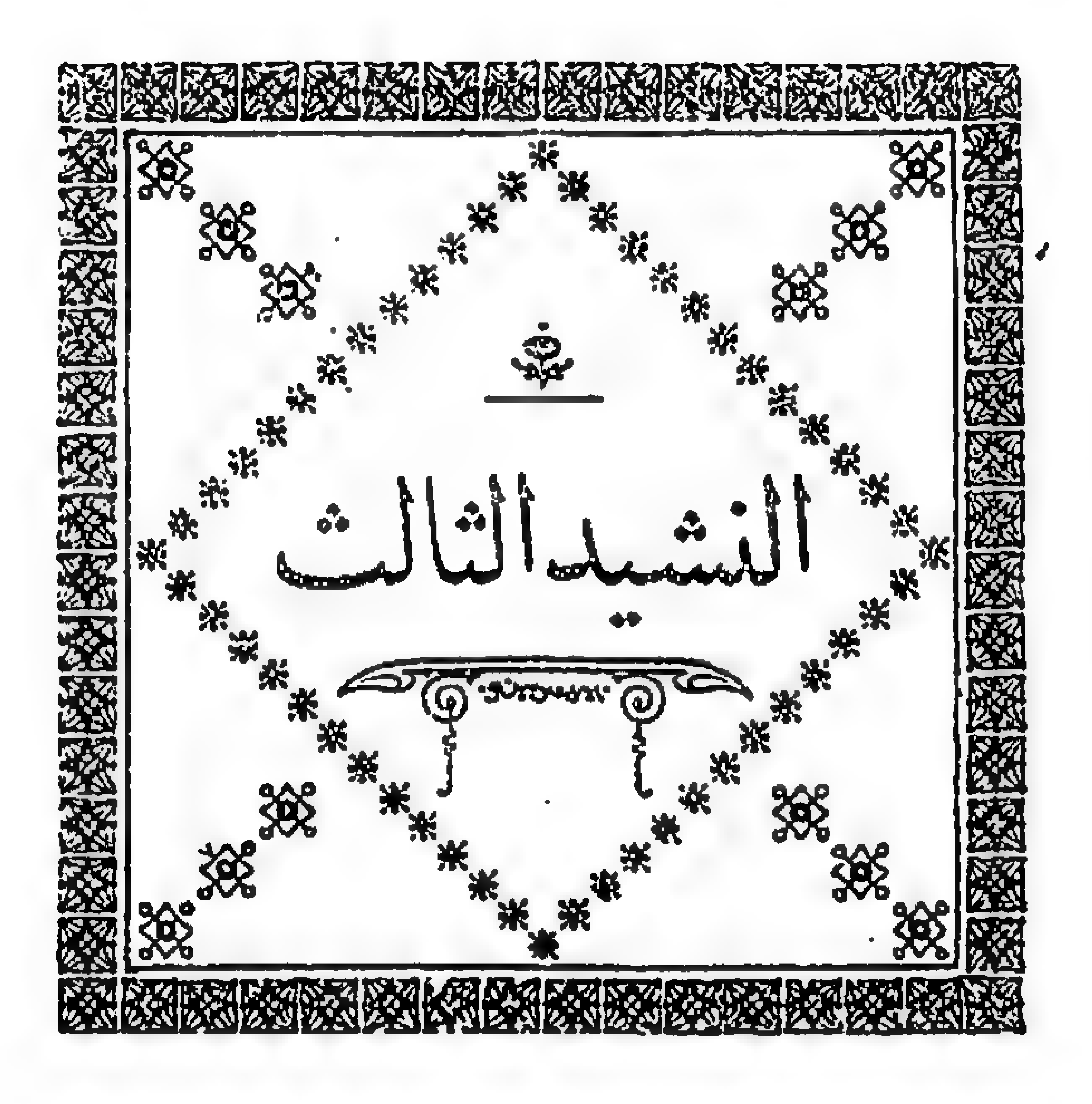
(١) أدبه أرسله يدب . ودب يدب مشى على هينته كمشى الطفل والنملة والضعيف .

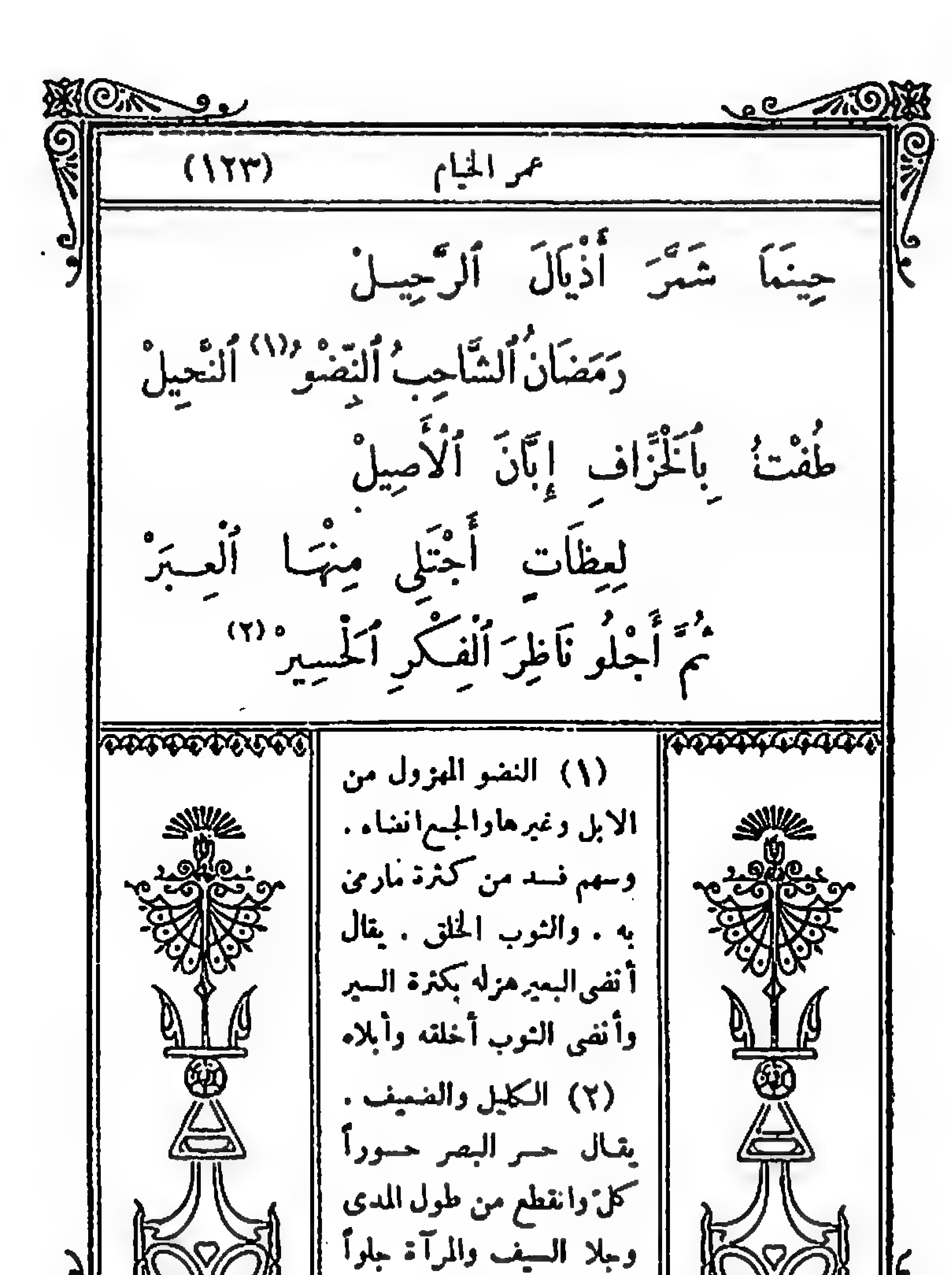
(٢) الارقم أخبث الحيات وأطلبها للناس أو ما فيه سواد وبياض أو ذكر الحيات . والجمع أراقم .

(٣) الآثام هو الاثم ذاته أو هو عقوبة الاثم ومعناه هنا الاثم ذاته — لا عقوبته كما جاء فى الآية « ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة » .



* فاحتسُ جلدًا خمرة الموت الزؤام *


النشيد الثالث



حِينَمَا شَمَّرَ أَذْيَالَ ٱلرَّحِيلْ

رَمَضَانُ ٱلشَّاحِبُ ٱلنِّضْوُ[(١)] ٱلنَّحِيلْ

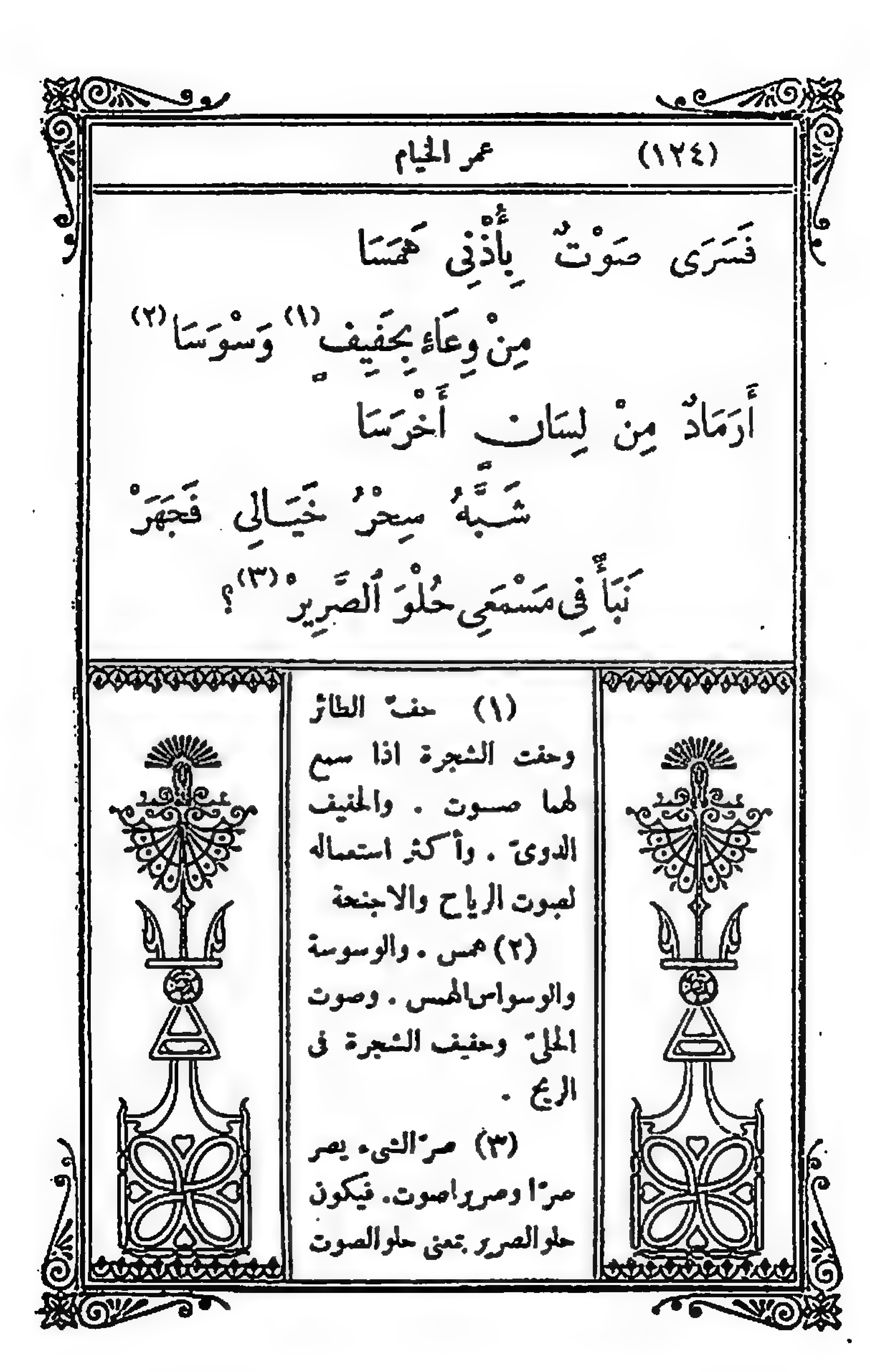
طُفْتُ بِٱلْخَزَّافِ إِبَّانَ ٱلْأَصِيلْ

لِعِظَاتٍ أَجْتَلِي مِنْهَا ٱلْعِبَرْ

ثُمَّ أَجْلُو نَاظِرَ ٱلْفِكْرِ ٱلْحَسِيرْ[(٢)]

(١) النضو المهزول من الابل وغيرها والجمع انضاء . وسهم فسد من كثرة مارمى به . والثوب الخلق . يقال أنضى البعير هزله بكثرة السير وأنضى الثوب أخلقه وأبلاه

(٢) الكليل والضعيف . يقال حسر البصر حسوراً كلّ وانقطع من طول المدى وجلا السيف والمرآة جلواً وجلاء صقلهما وجلا البصر بالكحل روّقه .



فَسَرَى صَوْتٌ بِأُذْنِى هَمَسَا

مِنْ وِعَاءٍ بِحَفِيفٍ[١] وَسْوَسَا[٢]

أَرَمَادٌ مِنْ لِسَانٍ أَخْرَسَا

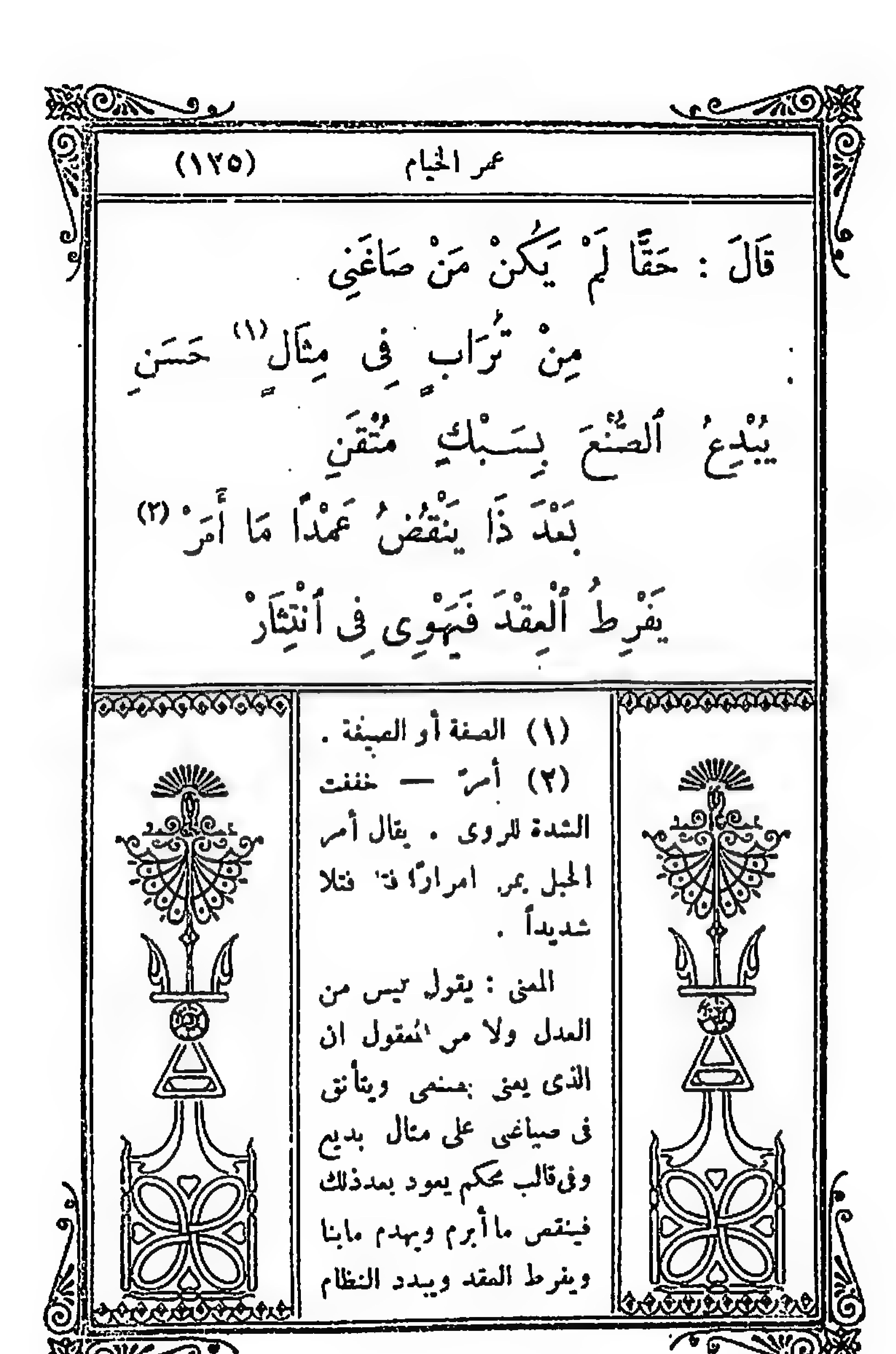
شَبَّهُ سِحْرُ خَيَالِى فَجَهَرْ

نَبَأً فِى مَسْمَعِى حُلْوَ الصَّرِيرْ[٣]؟

(١) حفّ الطائر وحفت الشجرة اذا سمع لها صوت . والحفيف الدوىّ . وأكثر استعماله لصوت الرياح والاجنحة

(٢) همس . والوسوسة والوسواس الهمس . وصوت الحلىّ وحفيف الشجرة فى الريح .

(٣) صرّ الشىء يصر صرّا وصريرا صوت. فيكون حلو الصرير بمعنى حلو الصوت



قَالَ : حقًّا لَمْ يَكُنْ مَنْ صَاغَنِي

مِنْ تُرَابٍ فِى مِثَالٍ[١] حَسَنِ

يُبْدِعُ الصُّنعَ بِسَبْكٍ مُتْقَنِ

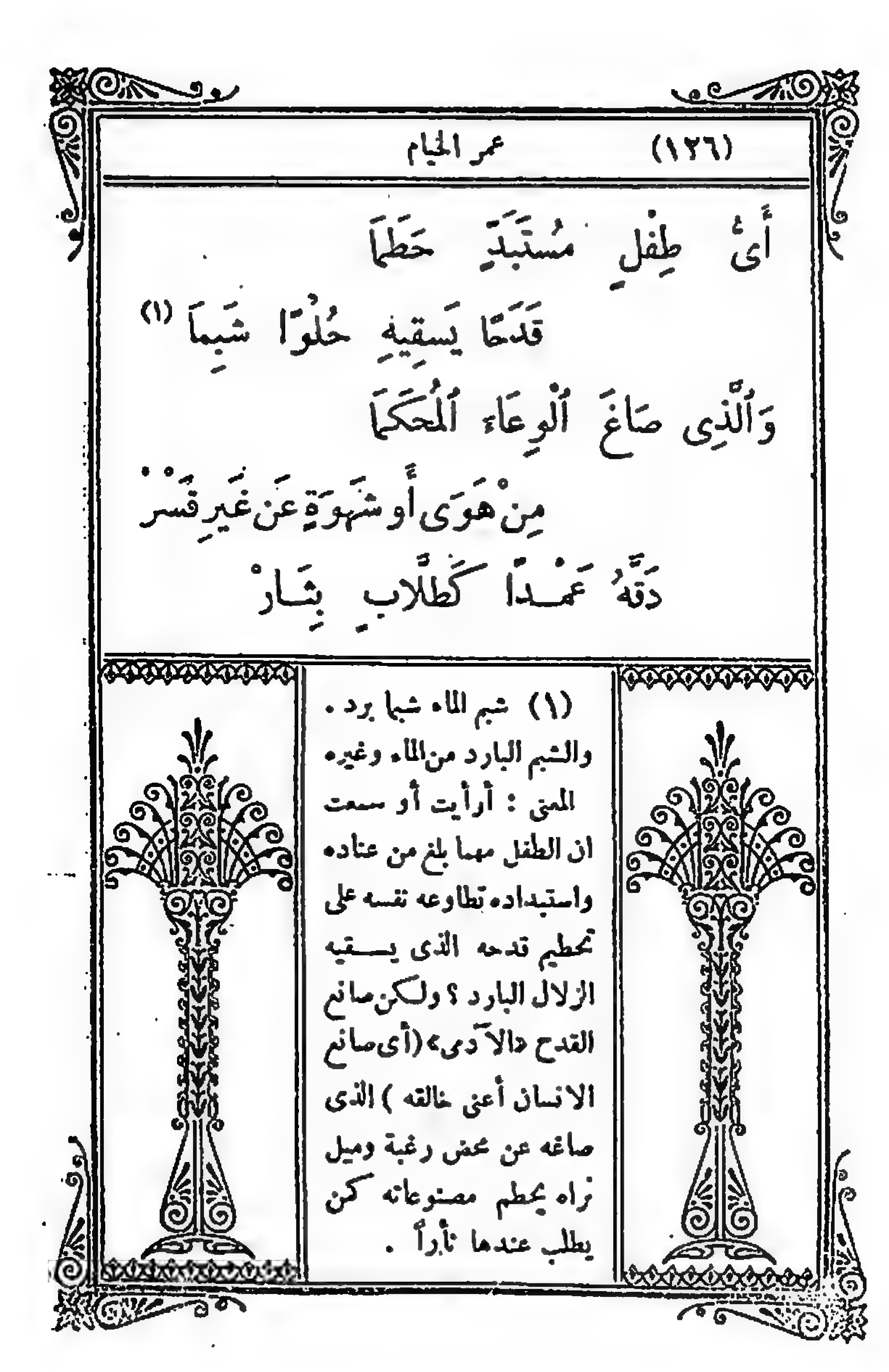
بَعْدَ ذَا يَنْقُضُ عَمْدًا مَا أَمَرْ[٢]

يَفْرِطُ الْعِقْدَ فَيَهْوِى فِى انْتِثَارْ

(١) الصفة أو الصيغة .

(٢) أمرّ — خففت الشدة للروى . يقال أمر الحبل يمر امراراً فتله فتلا شديداً .

المعنى : يقول ليس من العدل ولا من المعقول ان الذى يعنى بصنعى ويتأنق فى صياغتى على مثال بديع وفى قالب محكم يعود بعد ذلك فينقض ما أبرم ويهدم مابنا ويفرط العقد ويبدد النظام



أَيُّ طِفلٍ مُستَبِدٍّ حَطَمَا

قَدَحًا يَسقِيهِ حُلوًا شَبِمَا (١)

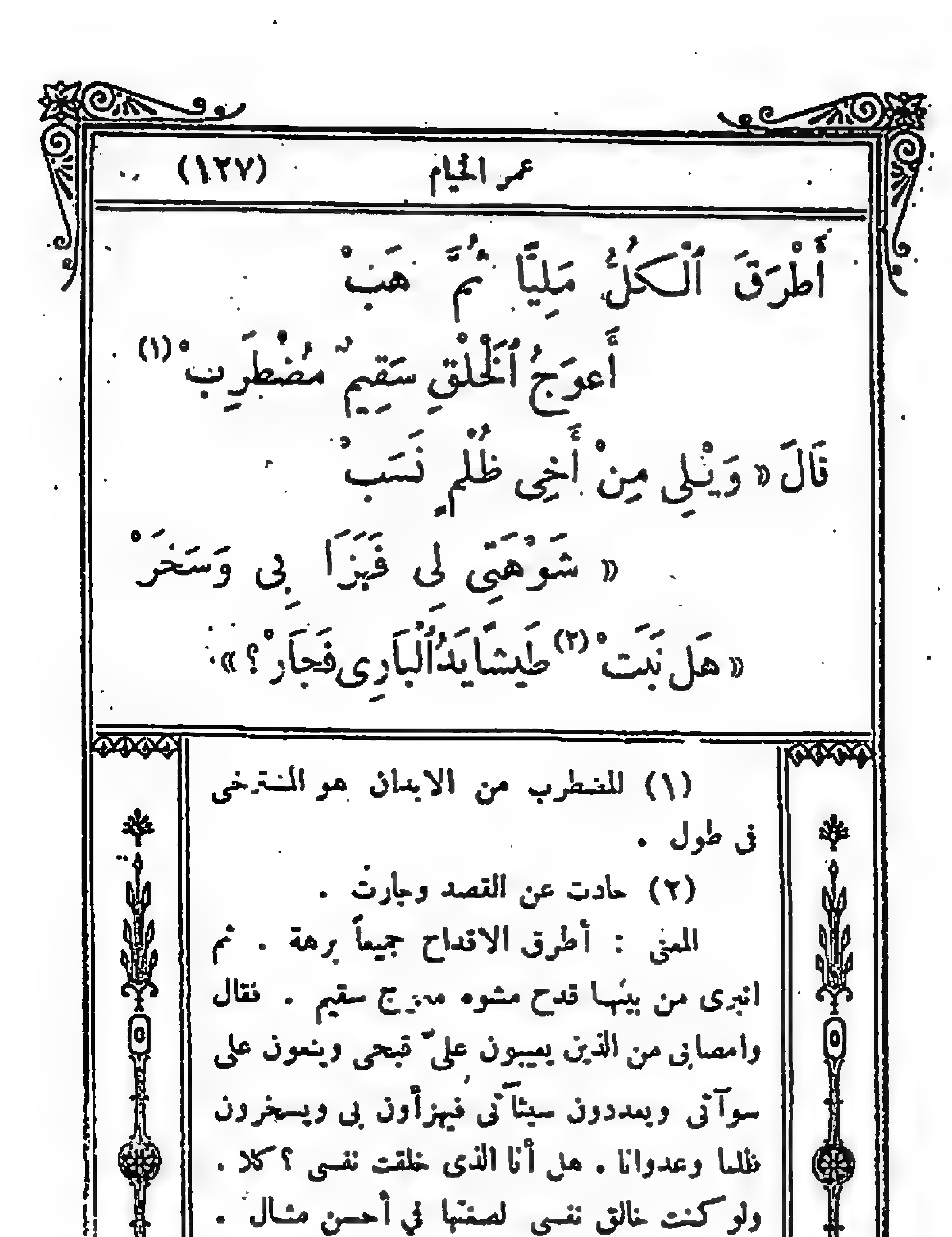
وَالَّذِي صَاغَ الوِعَاءَ المُحكَمَا

مِنْ هَوًى أَوشَهوَةٍ عَن غَيرِ قَسْرْ

دَقَّهُ عَمْداً كَطَلَّابٍ بِثَارْ

(١) شبم الماء شبما برد . والشبم البارد من الماء وغيره

المعنى : أرأيت أو سمعت ان الطفل مهما بلغ من عناده واستبداده تطاوعه نفسه على تحطيم قدحه الذي يسقيه الزلال البارد ؟ ولكن صانع القدح «الآدمي» (أي صانع الانسان أعني خالقه) الذي صاغه عن محض رغبة وميل تراه يحطم مصنوعاته كمن يطلب عندها ثأراً .



أَطْرَقَ ٱلْكُلُّ مَلِيًّا ثُمَّ هَبْ

أَعوجُ ٱلْخَلْقِ سَقِيمٌ مُضْطَرِبْ (١)

قَالَ « وَيْلِي مِنْ أَخِي ظُلْمٍ نَسَبْ

« شَوَّهَنِي لِي فَهَزَا بِي وَسَخَرْ

« هَلْ نَبَتْ (٢) طَيْشًا يَدُ ٱلْبَارِي فَجَارْ ؟ »

(١) المضطرب من الابدان هو المسترخى فى طول .

(٢) حادت عن القصد وجارت .

المعنى : أطرق الاقداح جميعاً برهة . ثم انبرى من بينها قدح مشوه معوج سقيم . فقال وامصابى من الذين يعيبون علىّ قبحى وينمون على سوآتى ويعددون سيئاتى فيهزأون بى ويسخرون ظلما وعدوانا . هل أنا الذى خلقت نفسى ؟ كلا . ولو كنت خالق نفسى لصغتها فى أحسن مثال . وأفرغتها فى أجمل قالب . ولكنى أحسب الذى صنعنى طاشت يده وجارت ساعة كان يصوغنى ويصنعنى .

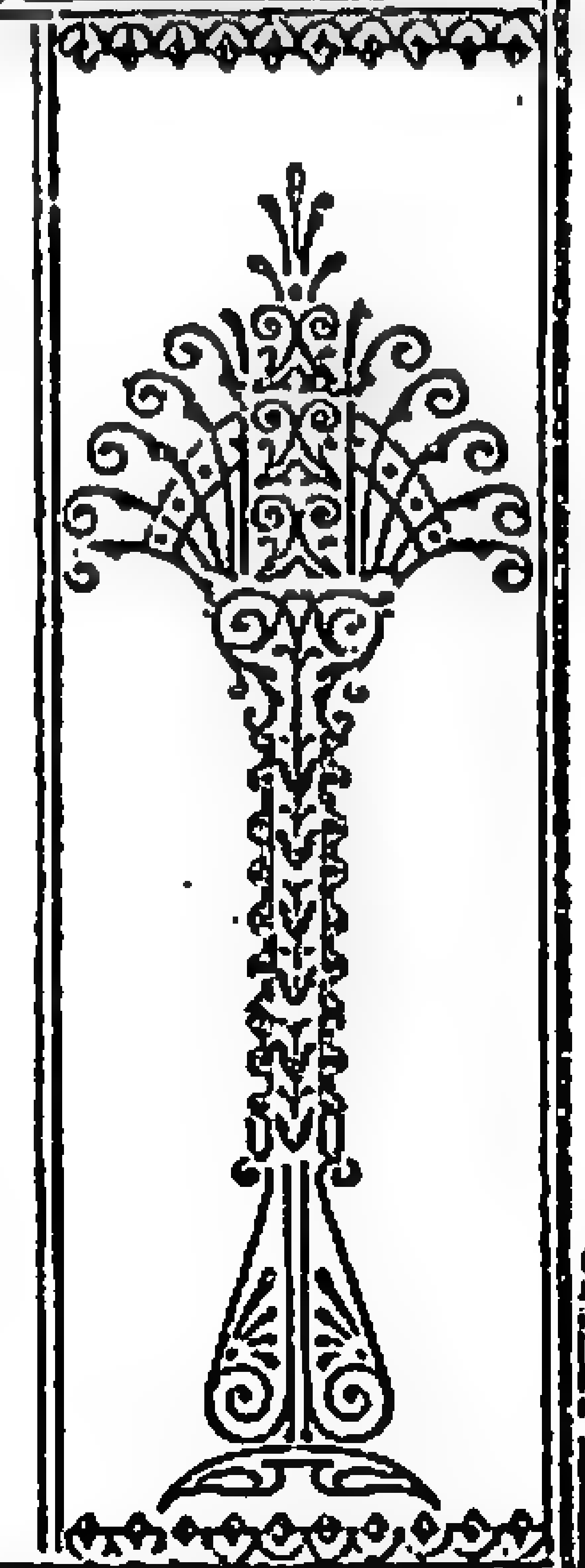
قَالَ كُوبٌ ثَالِثٌ « قَدْ أَكْثَرُوا

« مِن هُرَاءٍ عَن غَضُوبٍ يُنْذِرُ

« بِعَذَابٍ فِي جَحِيمٍ يُسْعَرُ

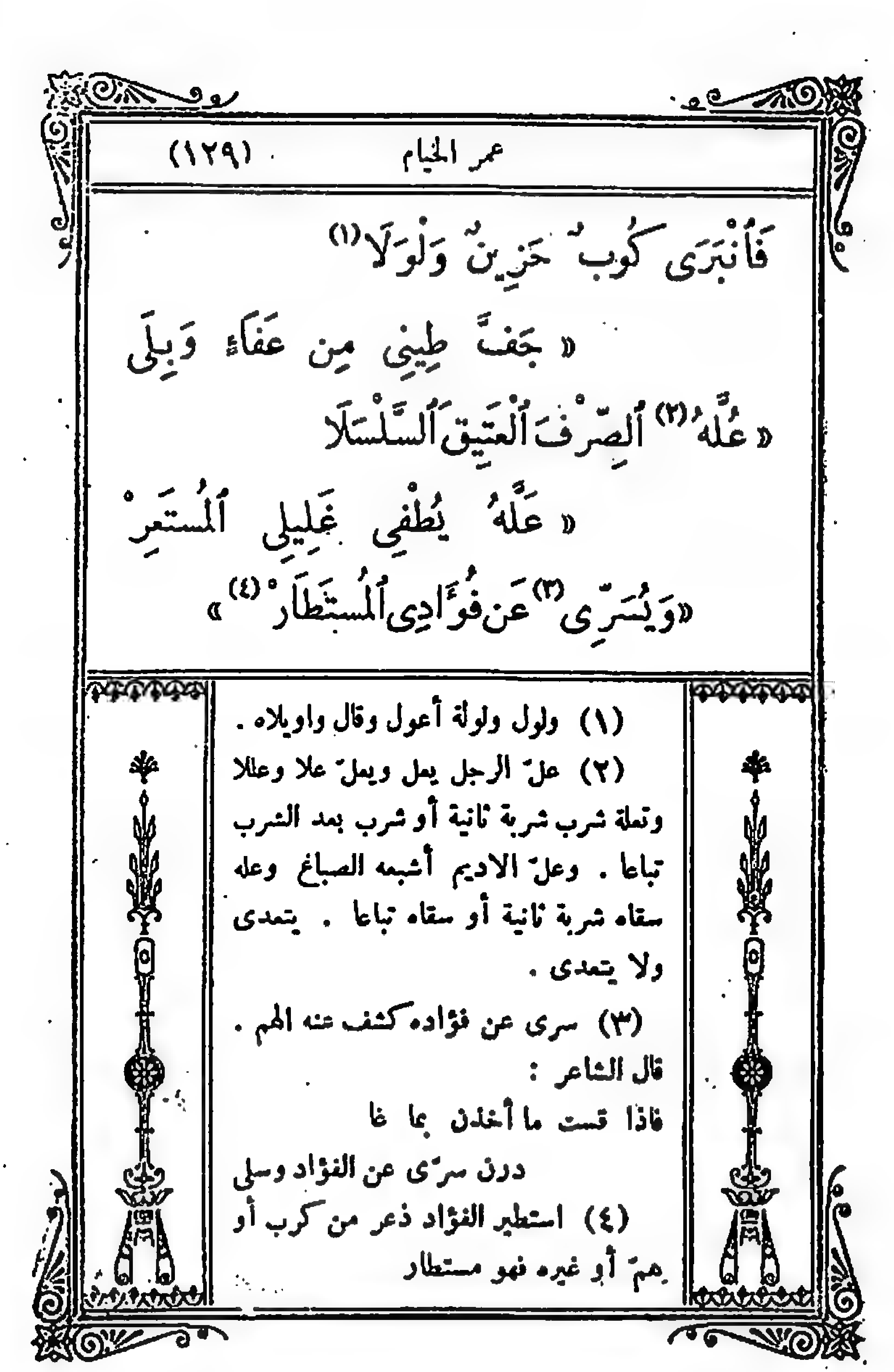
« كُوبَةٌ شَوَّهَهَا لَمَّا أَسَرْ[1]

لَا تَخَفْهُ إِنَّهُ بِالْخَلْقِ بَارْ »



(١) أسر الله المخلوق خلقه ذا قوة وشدة : «نحن خلقناهم وشددنا أسرهم .

المعنى : قد أكثر الناس من نسبة الجبروت والانتقام الى الله وانه سيعذب فى نار الجحيم أناسا عوجا شوها هو الذى شوههم وعوجهم حين خلقهم وهذا لا يتفق مع عدالته وانصافه — فهذا لا يمكن أن يكون أبدا . فلا تخفه ولا تخشه فانه لطيف بعباده.



فَٱنْبَرَى كُوبُ حَزِينٌ وَلْوَلَا(١)

« جَفَّ طِينِي مِن عَفَاءٍ وَبِلَى

« عُلَّهُ(٢) ٱلصِّرْفَ ٱلْعَتِيقَ ٱلسَّلْسَلَا

« عَلَّهُ يُطْفِي غَلِيلِي ٱلْمُسْتَعِرْ

« وَيُسَرِّي(٣) عَن فُؤَادِي ٱلْمُسْتَطَارْ(٤) »

(١) ولول ولولة أعول وقال واويلاه .

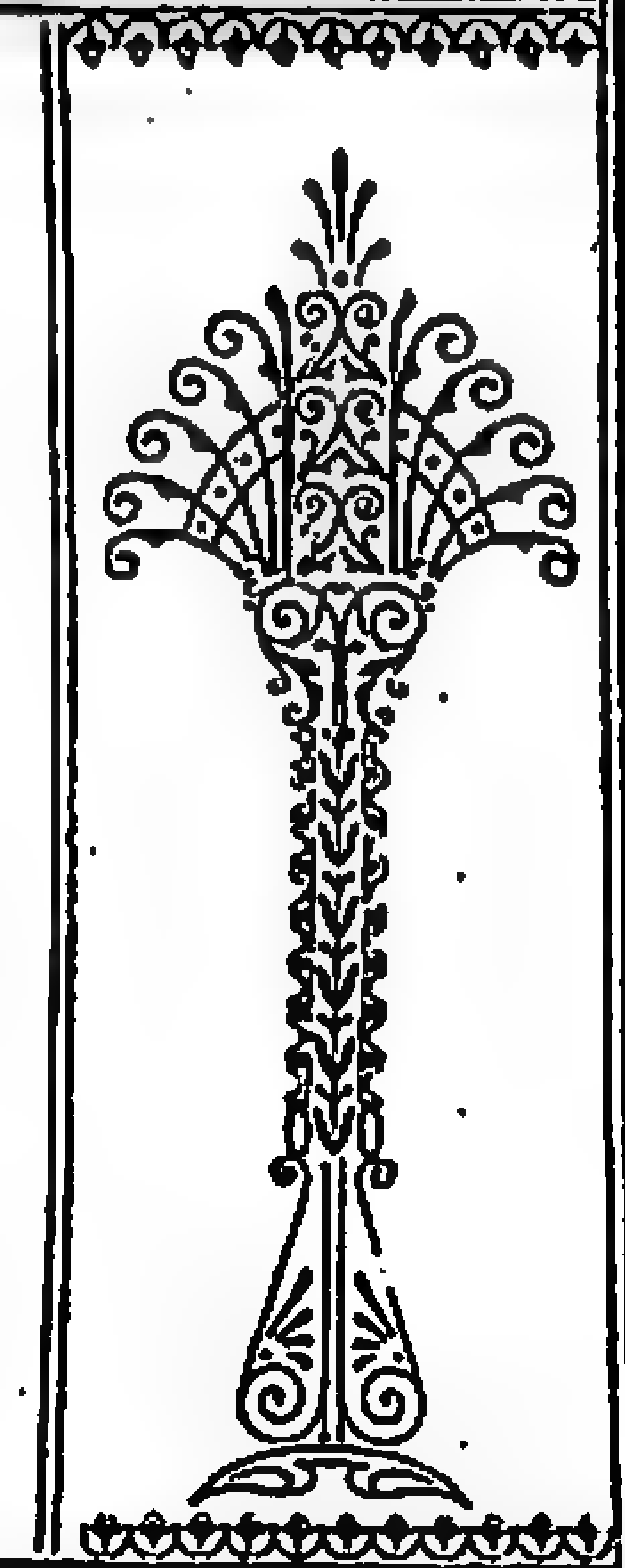
(٢) علّ الرجل يعل ويعلّ علا وعللا وتعلة شرب شربة ثانية أو شرب بعد الشرب تباعا . وعلّ الاديم أشبعه الصباغ وعله سقاه شربة ثانية أو سقاه تباعا . يتعدى ولا يتعدى .

(٣) سرى عن فؤاده كشف عنه الهم . قال الشاعر :

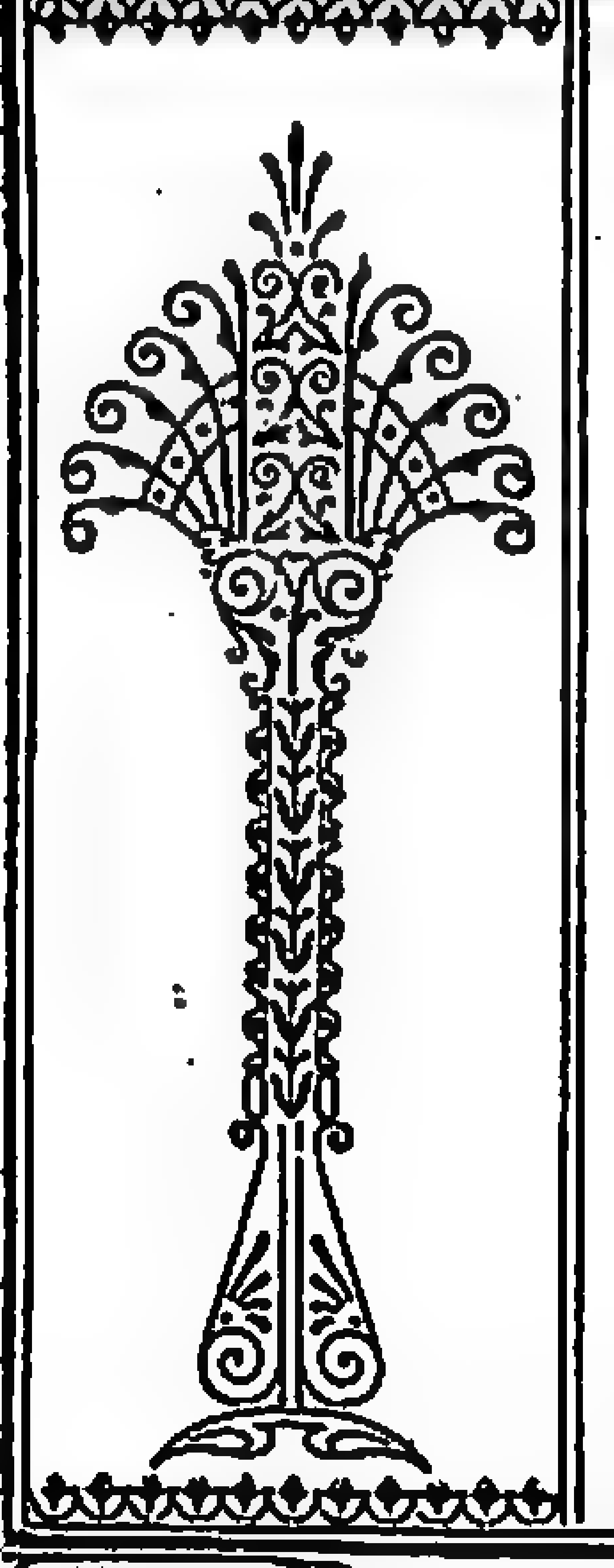
فاذا قست ما أخذن بما غا
درن سرّى عن الفؤاد وسلى

(٤) استطير الفؤاد ذعر من كرب أو همّ أو غيره فهو مستطار

بَيْنَمَا ٱلْأَكْوَابُ فِي قِيلٍ وَقَالْ
لَاحَ وَهَاجَ ٱلسَّنَا قَوسُ ٱلْهِلَالْ
فَٱنْثَنَى مِنْ طَرَبٍ كُلٌّ وَمَالْ
«زَفَّ بُشْرَى ٱلْأُنْسِ مَيْمُونٌ أَغَرّْ (١)
«وَٱنْجَلَتْ مِنْ خِدْرِهَا شَمْسُ ٱلْعُقَارْ»



(١) الاغر ما كان بجبهته غرة والحسن الابيض من كل شيء . والمراد به هنا الهلال . ويقال غرّ الوجه يغر غرراً وغرة وغرارة صار ذا غرة وحسن . والميمون المبارك يقال يمنه الله يمناً جعله مباركا . ويمن الشيء على البناء للمجهول يمنا وميمنة كان مباركا فهو أيمن وميمون



رَوِّ قَبْلَ ٱلْمَوْتِ مِنْ بَرْدِ ٱلشَّمُولِ (١)

عُودِيَ ٱلْيَابِسَ مِنْ قَبْلِ ٱلذُّبُولِ

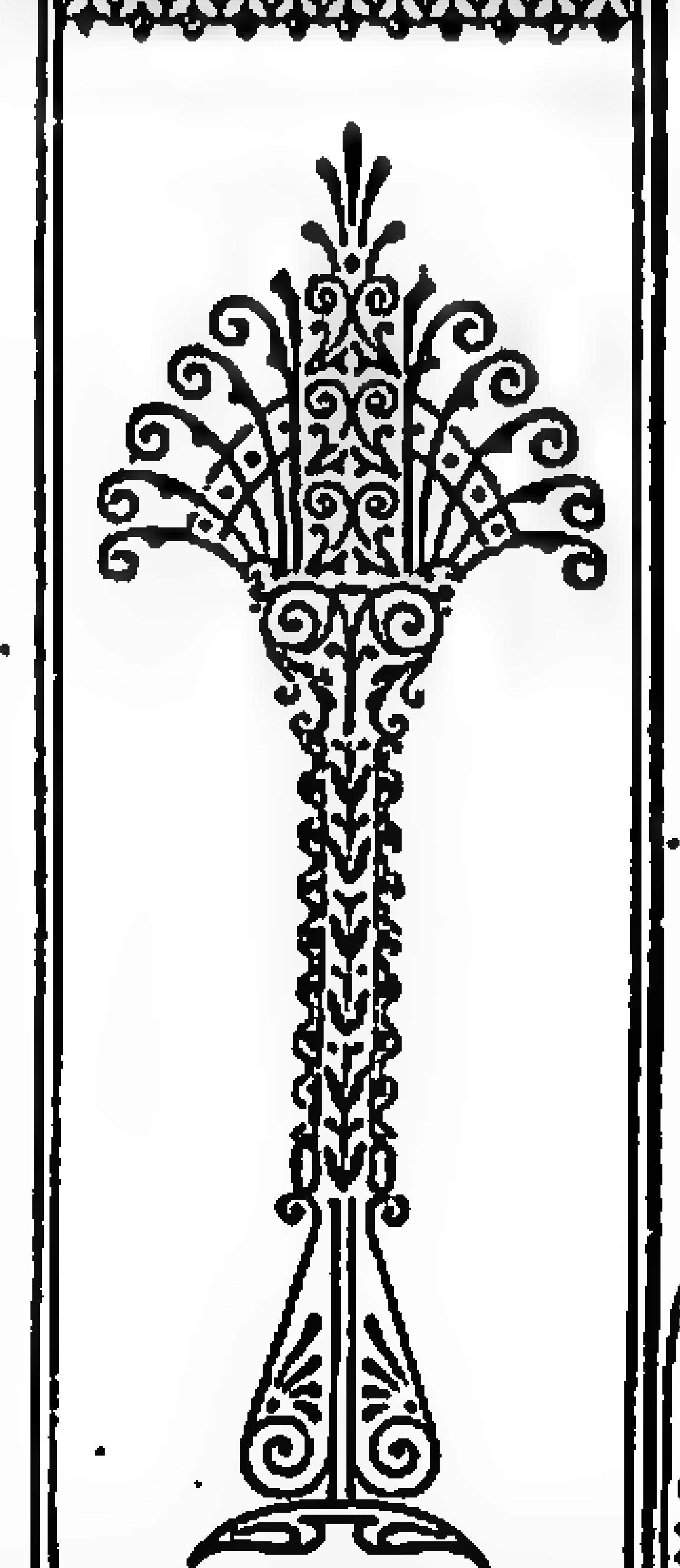
وَإِذَا مَا مِتُّ فَٱجْعَلْهَا غَسُولِي

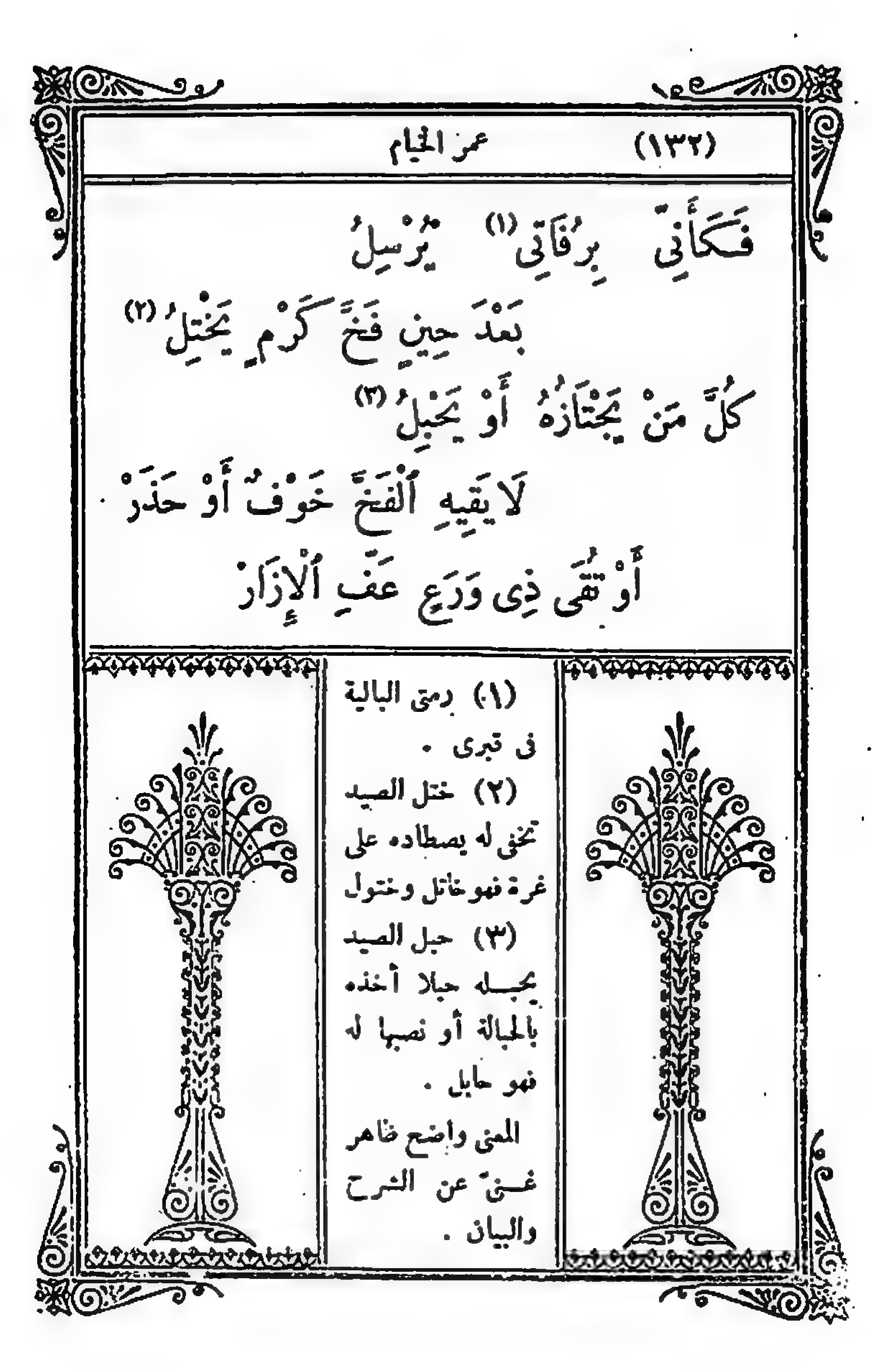
وَبِأَفْيَاءِ ٱلْعَنَاقِيدِ ٱحْتَفِرْ

لِي وَكَفِّنِّي بِأَوْرَاقِ ٱلثِّمَارْ

(١) الشمول الخمر أو الباردة منها — قيل لها ذلك لأنها تشمل بريحها الناس أو لأن لها عصفة كعصفة الشمال أو لأنها تجمع شمل شاربيها . أو لانها تشتمل على العقل فتملكه وتذهب به .

المعنى واضح ظاهر لا يحتاج لشرح ولا بيان .



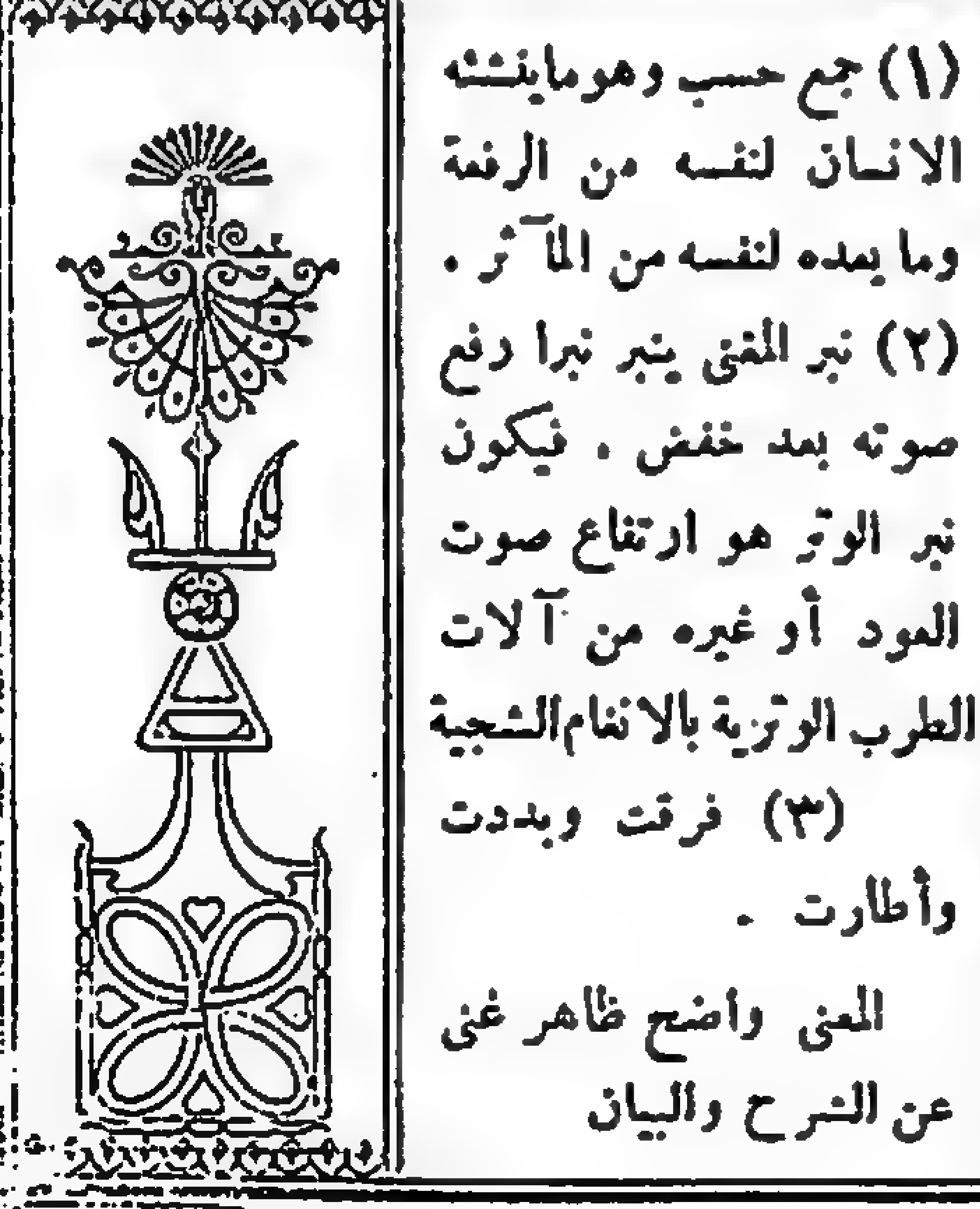


فَكَأَنِي بِرُفَاتِي(١) يُرْسِلُ
بَعْدَ حِينٍ فَخَّ كَرْمٍ يَخْتِلُ(٢)
كُلَّ مَنْ يَجْتَازُهُ أَوْ يَحْبِلُ(٣)
لَايَقِيهِ الْفَخَّ خَوْفٌ أَوْ حَذَرْ
أَوْ تُقَى ذِي وَرَعٍ عَفِّ الإِزَارْ

(١) رمتى البالية فى قبرى .
(٢) ختل الصيد تخفى له يصطاده على غرة فهو خاتل وختول
(٣) حبل الصيد يحبله حبلا أخذه بالحبالة أو نصبها له فهو حابل .

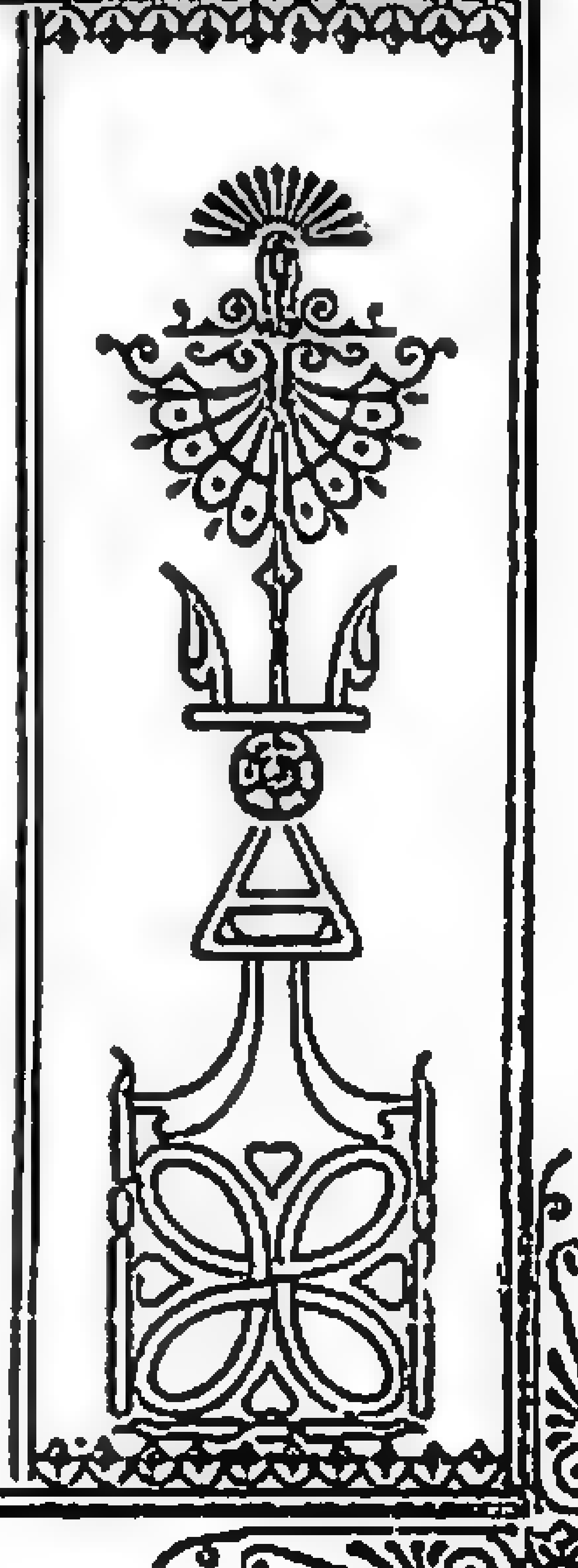
المعنى واضح ظاهر غنىّ عن الشرح والبيان .

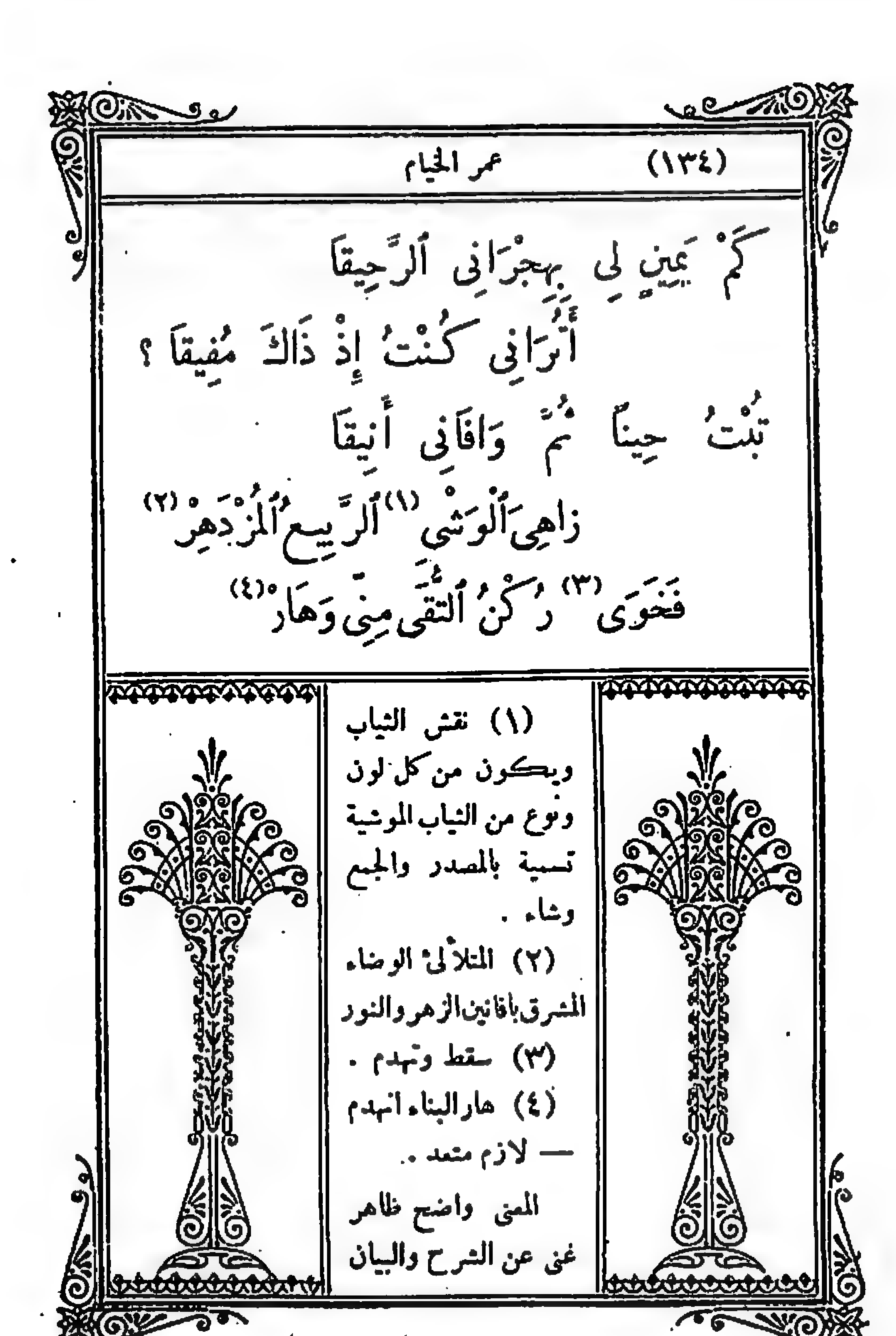
وَيْلَ حُرٍّ مِنْ دَوَاعِي شَهْوَتِهْ
أَرْخَصَتْ سَوْآتُهَا مِنْ قِيمَتِهْ
أَغْرَقَتْ أَحْسَابَهُ[١] فِي كُوبَتِهْ
وَأَبَاحَتْ عِرْضَهُ نَبْرَ[٢] الْوَتَرْ
وَذَرَتْ[٣] مَسْعَاهُ فِي رِيحِ الْخَسَارْ



(١) جمع حسب وهو ما يثبته الانسان لنفسه من الرفعة وما يعده لنفسه من المآثر .
(٢) نبر المغنى ينبر نبرا رفع صوته بعد خفض . فيكون نبر الوتر هو ارتفاع صوت العود أو غيره من آلات الطرب الوترية بالانغام الشجية
(٣) فرقت وبددت وأطارت .

المعنى واضح ظاهر غنى عن الشرح والبيان





كَمْ يَمِينٍ لِي بِهِجْرَانِي الرَّحِيقَا

أَتُرَانِي كُنْتُ إِذْ ذَاكَ مُفِيقَا ؟

تُبْتُ حِيناً ثُمَّ وَافَانِي أَنِيقَا

زَاهِيَ الْوَشْيِ[1] الرَّبِيعُ الْمُزْدَهِرْ[2]

فَخَوَى[3] رُكْنُ التُّقَى مِنِّي وَهَارْ[4]

(١) نقش الثياب ويكون من كل لون ونوع من الثياب الموشية تسمية بالمصدر والجمع وشاء .

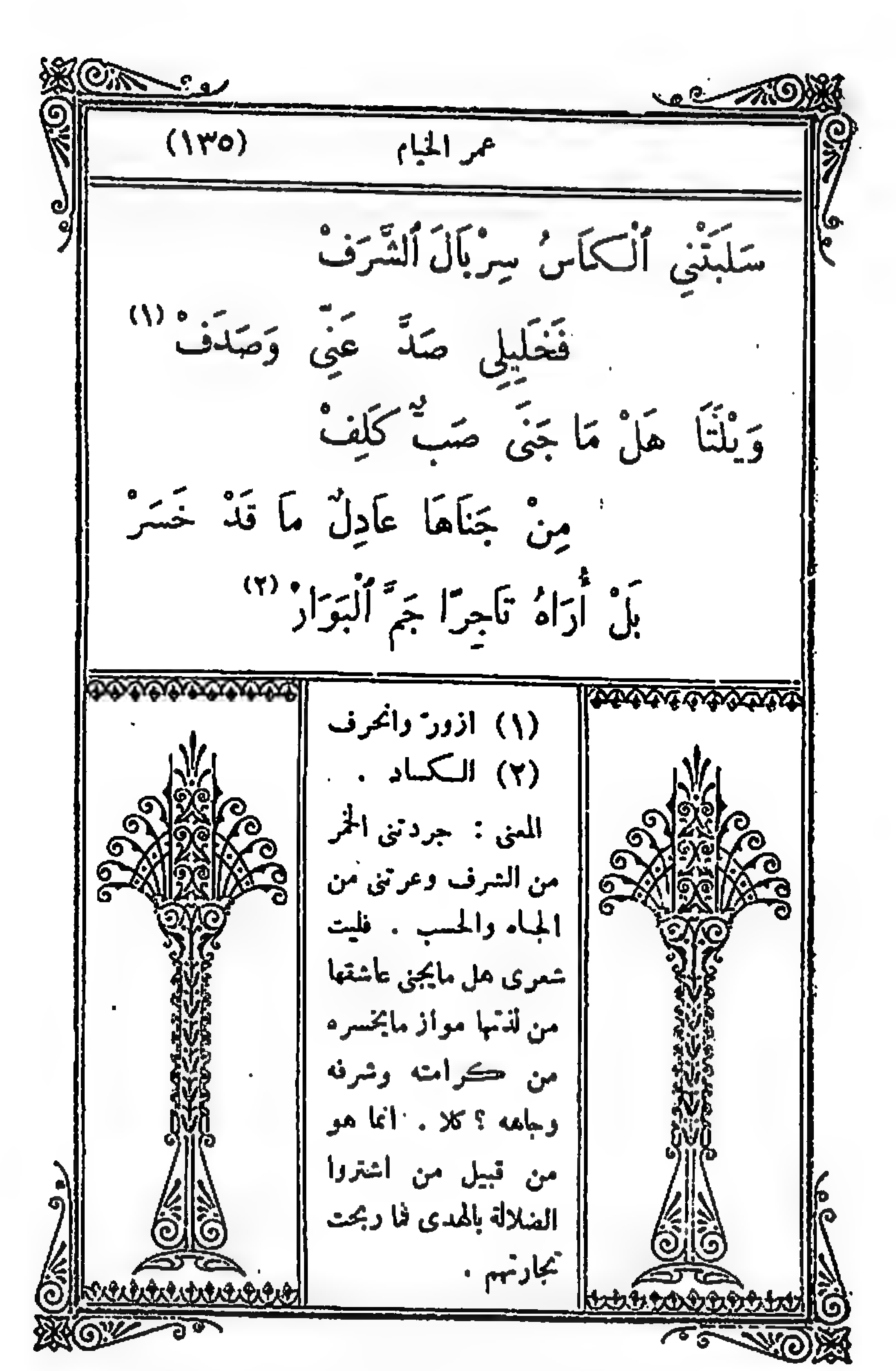
(٢) المتلألئ الوضاء المشرق بأفانين الزهر والنور

(٣) سقط وتهدم .

(٤) هار البناء انهدم — لازم متعد .

المعنى واضح ظاهر غنى عن الشرح والبيان

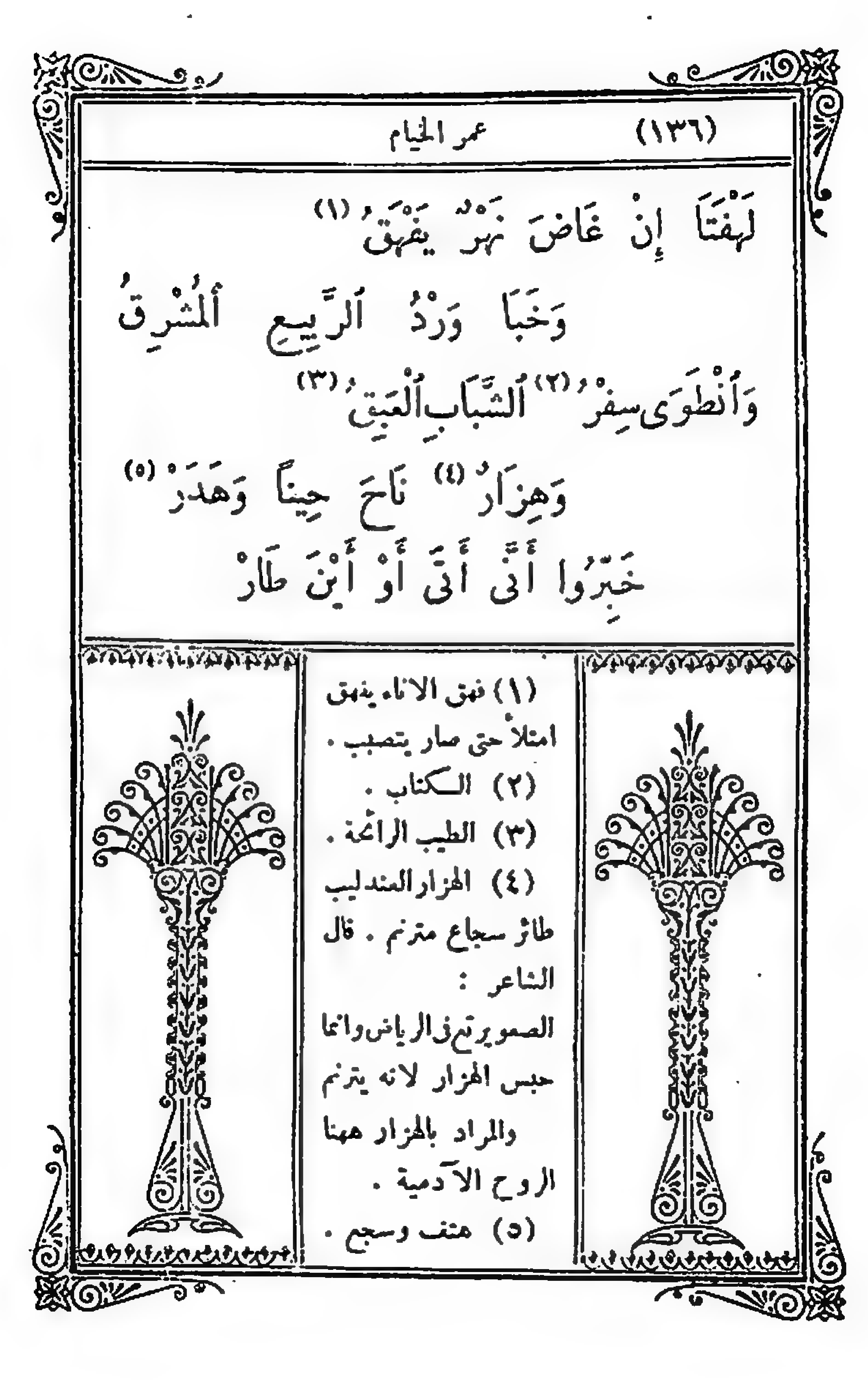
سَلَبَتْنِي ٱلْكَأسُ سِرْبَالَ ٱلشَّرَفْ
فَخَلِيلِي صَدَّ عَنِّي وَصَدَفْ (١)
وَيْلَتَا هَلْ مَا جَنَى صَبٌّ كَلِفْ
مِنْ جَنَاهَا عَادِلٌ مَا قَدْ خَسَرْ
بَلْ أَرَاهُ تَاجِرًا جَمَّ ٱلْبَوَارْ (٢)



(١) ازورّ وانحرف

(٢) الكساد .

المعنى : جردتنى الخمر من الشرف وعرتنى من الجاه والحسب . فليت شعرى هل مايجنى عاشقها من لذتها مواز مايخسره من كرامته وشرفه وجاهه ؟ كلا . انما هو من قبيل من اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم .



لَهْفَتَا إِنْ غَاضَ نَهْرٌ يَفْهَقُ [١]

وَخَبَا وَرْدُ ٱلرَّبِيعِ ٱلْمُشْرِقُ

وَٱنْطَوَى سِفْرُ [٢] ٱلشَّبَابِ ٱلْعَبِقُ [٣]

وَهِزَارٌ [٤] نَاحَ حِيناً وَهَدَرْ [٥]

خَبِّرُوا أَنَّى أَوْ أَيْنَ طَارْ

(١) فهق الاناء يفهق امتلأ حتى صار يتصبب .

(٢) الكتاب .

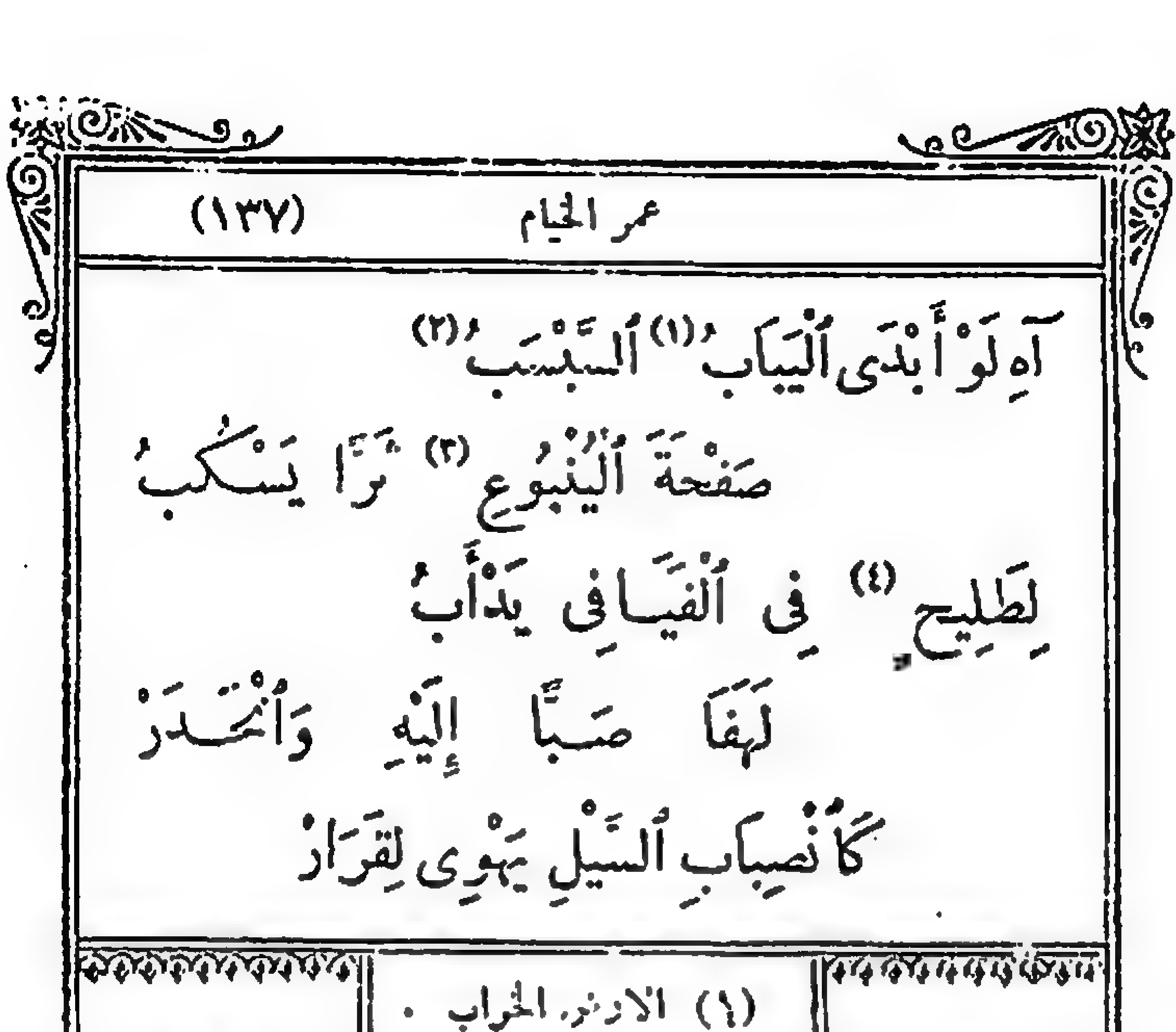
(٣) الطيب الرائحة .

(٤) الهزار العندليب طائر سجاع مترنم . قال الشاعر :

الصمو يرتع في الرياض وانما حبس الهزار لانه يترنم

والمراد بالهزار ههنا الروح الآدمية .

(٥) هتف وسجع .



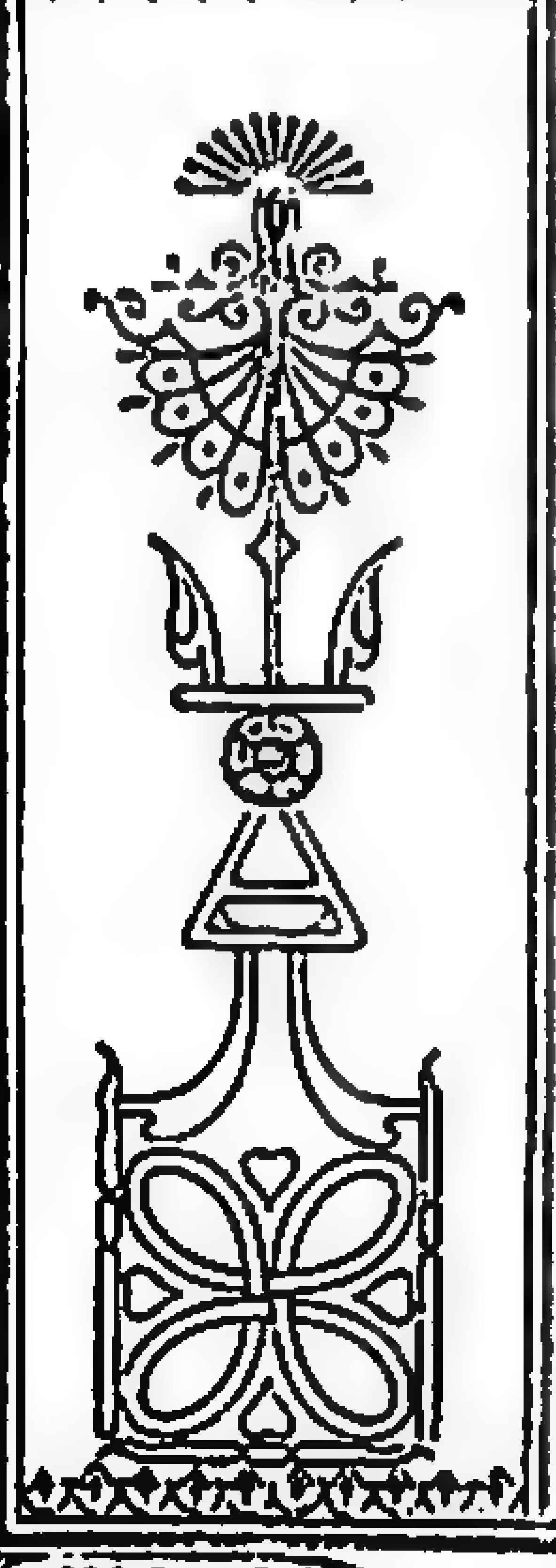
آهِ لَوْ أَبْدَى ٱلْيَبَابُ[1] ٱلسَّبْسَبُ[2]

صَفْحَةَ ٱلْيُنْبُوعِ[3] ثَرًّا يَسْكُبُ

لِطَلِيحٍ[4] فِي ٱلْفَيَافِي يَدْأَبُ

لَهَفَا صَبًّا إِلَيْهِ وَٱنْحَدَرْ

كَٱنْصِبَابِ ٱلسَّيْلِ يَهْوِي لِقَرَارْ

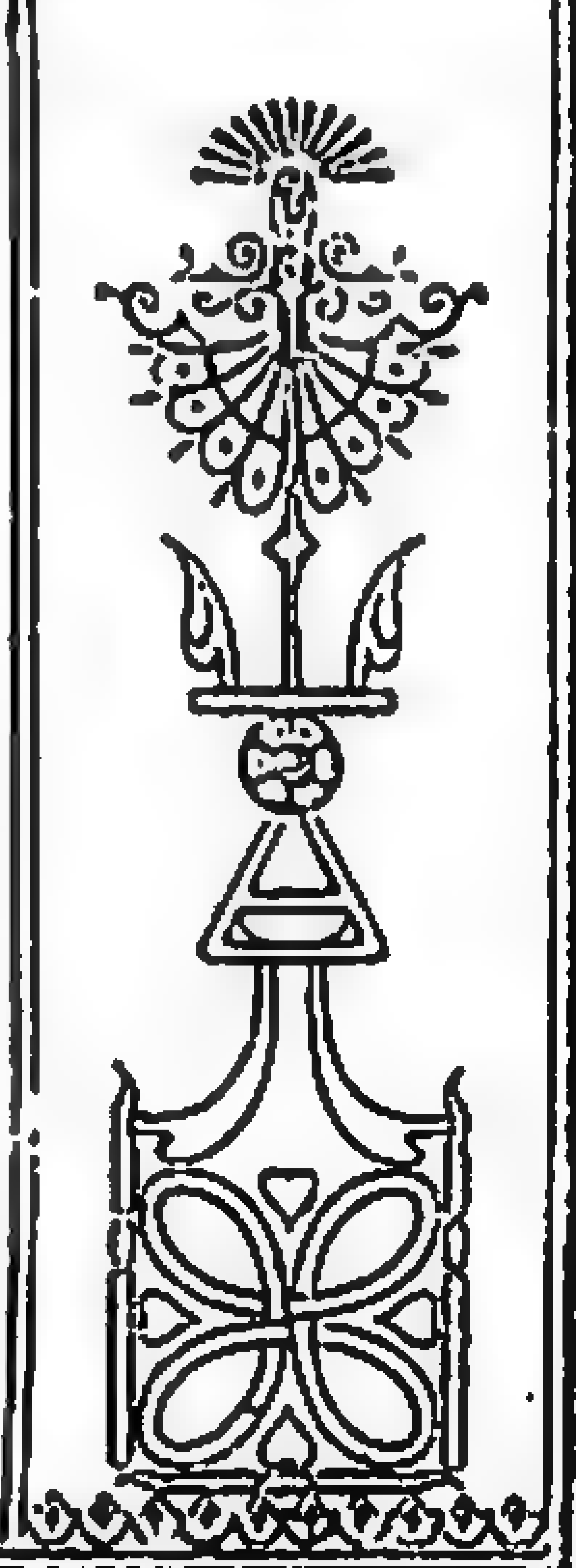


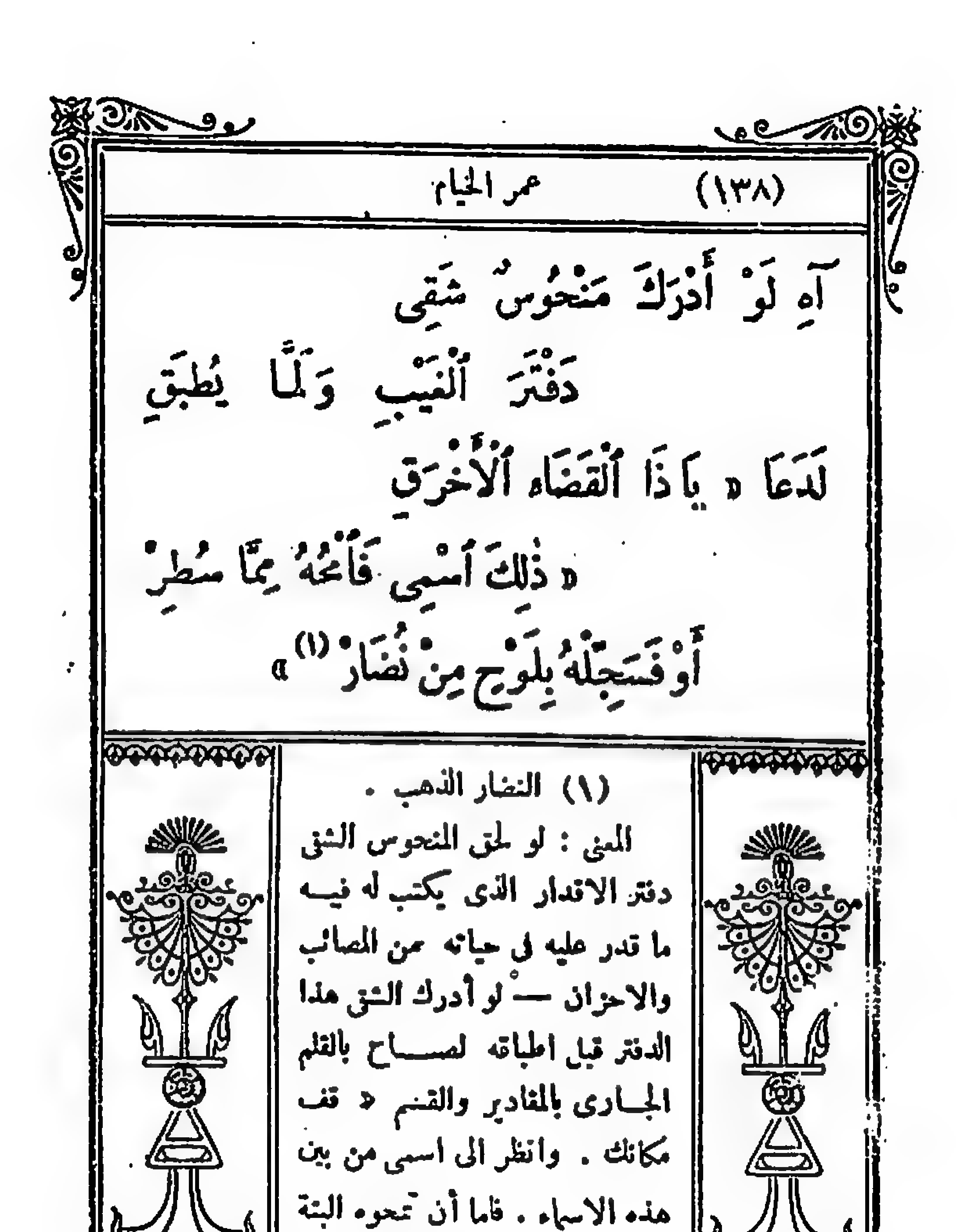
(١) اليباب الخراب .

(٢) السبسب الفلاة القفرة والمراد به ههنا صحراء الحياة أى الحياة الدنيا التى يضل بها أهلها ويعطبون كما يضل بسالك الصحراء

(٣) الينبوع منبع الماء والمراد به ههنا منبع النور الابدى ومصدر شعاع الحق الذى لا يلوح الا لابصار من انكشف لهم حجاب الغيب

(٤) الطليح الكليل المعي





آهِ لَوْ أَدْرَكَ مَنْحُوسٌ شَقِي

دَفْتَرَ ٱلْغَيْبِ وَلَمَّا يُطبَقِ

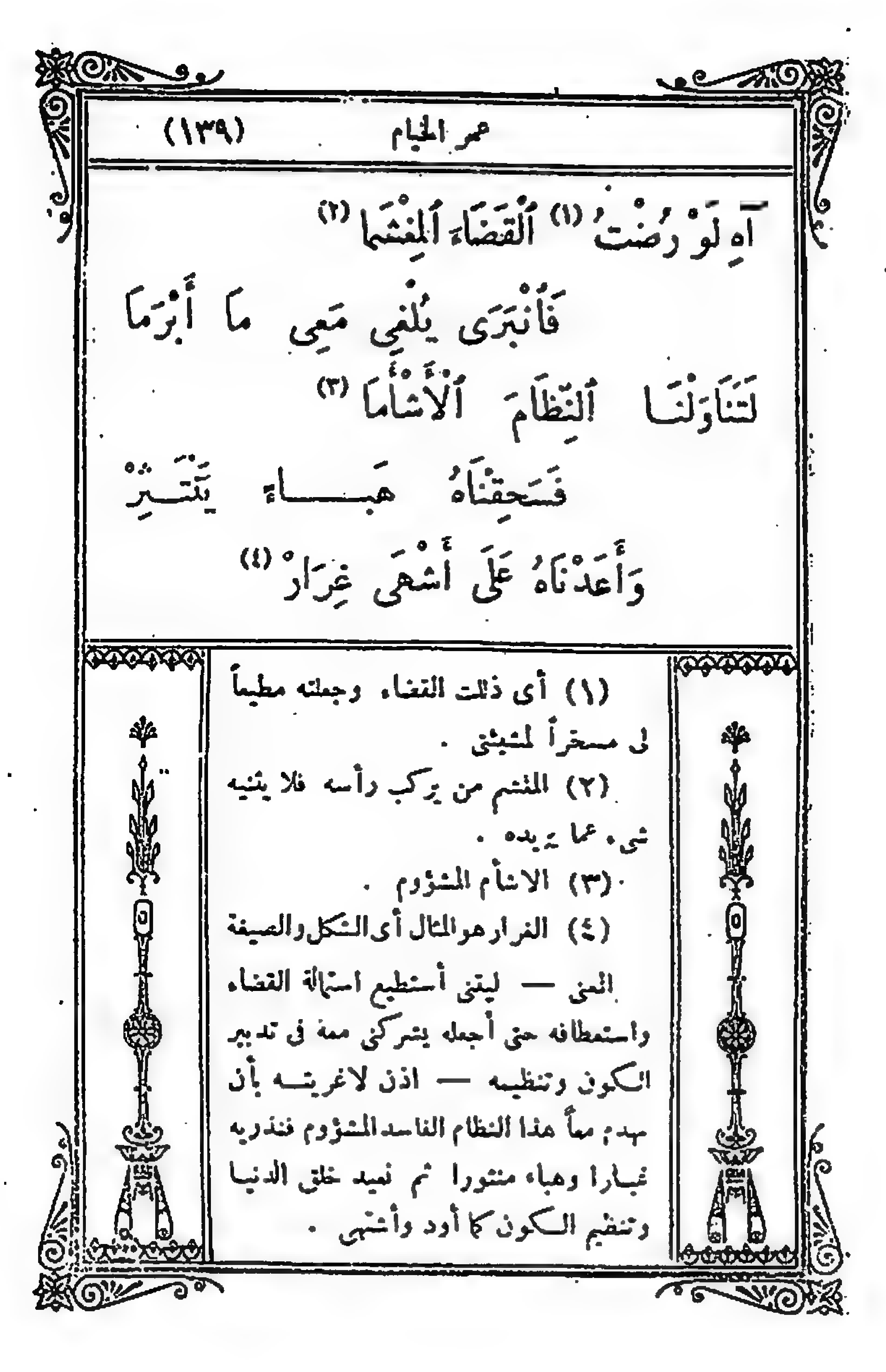
لَدَعَا « يَا ذَا ٱلْقَضَاءِ ٱلْأَخْرَقِ

« ذَلِكَ ٱسْمِي فَٱمْحُهُ مِمَّا سُطِرْ

أَوْ فَسَجِّلْهُ بِلَوْحٍ مِنْ نُضَارْ[1] »

(١) النضار الذهب .

المعنى : لو لحق المنحوس الشقى دفتر الاقدار الذى يكتب له فيه ما قدر عليه فى حياته من المصائب والاحزان — لو أدرك الشقى هذا الدفتر قبل اطباقه لصاح بالقلم الجارى بالمقادير والقسم « قف مكانك . وانظر الى اسمى من بين هذه الاسماء . فاما أن تمحوه البتة من العالم واما أن تسجله بصحيفة من ذهب [كناية عن السعادة والغبطة والنعيم] .



آهِ لَوْ رُضْتُ (١) ٱلْقَضَاءَ ٱلْمُغْشَمَا (٢)

فَٱنْبَرَى يُلْفِي مَعِي مَا أَبْرَمَا

لَتَنَاوَلْنَا ٱلنِّظَامَ ٱلْأَشْأَمَا (٣)

فَسَحِقْنَاهُ هَبَاءً يَنْتَثِرْ

وَأَعَدْنَاهُ عَلَى أَشْهَى غِرَارْ (٤)

(١) أى ذللت القضاء وجعلته مطيعاً لى مسخراً لمشيئتى .

(٢) المغشم من يركب رأسه فلا يثنيه شىء عما يريده .

(٣) الاشأم المشؤوم .

(٤) الغرار هو المثال أى الشكل والصيغة

المعنى — ليتنى أستطيع استمالة القضاء واستعطافه حتى أجعله يشركنى معه فى تدبير الكون وتنظيمه — اذن لاغريته بأن نهدم معاً هذا النظام الفاسد المشؤوم فنذريه غبارا وهباء منثورا ثم نعيد خلق الدنيا وتنظيم الكون كما أود وأشتهى .

بَدْرَ أُنْسِي مَنْ تَعَالَى فِى ٱلْغُرَرْ (١)

عَنْ مِحَاقٍ (٢) وَسِرَارٍ (٣) وَبَهَرْ (٤)

لَهْفَ نَفْسِي، إِنْ طَوَى شَخْصِي ٱلْقَدَرْ ،

كَمْ بِهٰذَا ٱلرَّوْضِ يَبْغِينِي ٱلْقَمَرْ

عَبَثًا مَا بَيْنَ وَرْدٍ وَبَهَارْ (٥)

---

(١) جمع غرة وهى البياض فى الجبهة . ورجل أغر الوجه أبيض الوجه . وغرة الهلال طلعته . والمراد هنا بالغرر طلعات الاقمار أو الوجوه المشرقة . والغرر أيضاً الثلاث الليال الاول من كل شهر .

(٢) المحاق امتحاق الهلال آخر الشهر . قال الشاعر يصف امرأة قبيحة :

أتونى بها . قبل المحاق بليلة
فكان محاقا كله ذلك الشهر

(٣) السرار اختفاء الهلال آخر ليلة أوليلتين من الشهر .

(٤) بهر القمر النجوم غمرها بضوئه .

(٥) البهار وهو أيضاً العرار نبت طيب الريح جعد له فقاحة صفراء ينبت أيام الربيع .

وَإِذَا أَسْرَيْتَ يَا صِنْوَ(١) ٱلْقَمَرْ
سُحْرَةً تَجْلُو ظَلَاماً يَعْتَكِرْ(٢)
بَيْنَ نَدْمَانٍ كَمَنْثُورِ ٱلدُّرَرْ
فَتَرَيَّثْ حَيْثُمَا كُنْتُ أَقِرْ
وَٱسْقِ حَرَّانَ ٱلثَّرَى كَأْسَ عُقَارْ

(١) الصنو الاخ والشقيق والانثى صنوة وأصل الصنو انما هو فى النخل . يقال فلان صنو فلان أى أخوه ولا يسمى صنوا حتى يكون معه آخر فهما حينئذ صنوان . وكل واحد صنو صاحبه وأصله ان تطلع نخلتان من عرق واحد . والجمع صنوان برفع النون . وركيتان صنوان متجاورتان اذا تقاربتا ونبعتا من عين واحدة .

(٢) اعتكر الليل اشتد سواده والتبس واختلط . قال رؤبة :

* وأعسف الليل اذا الليل اعتكر * ووصف شاعر حاله فقال :

تقارب الخطو وسوء فى البصر
وكثرة النسيان فيما يذكر
وقلة النوم اذا الليل اعتكر
وترك الحسناء فى قبل الطهر



الإشراف اللغوى: حسام عبد العزيز
الإشراف الفنـــى: حســـن كامـــــل